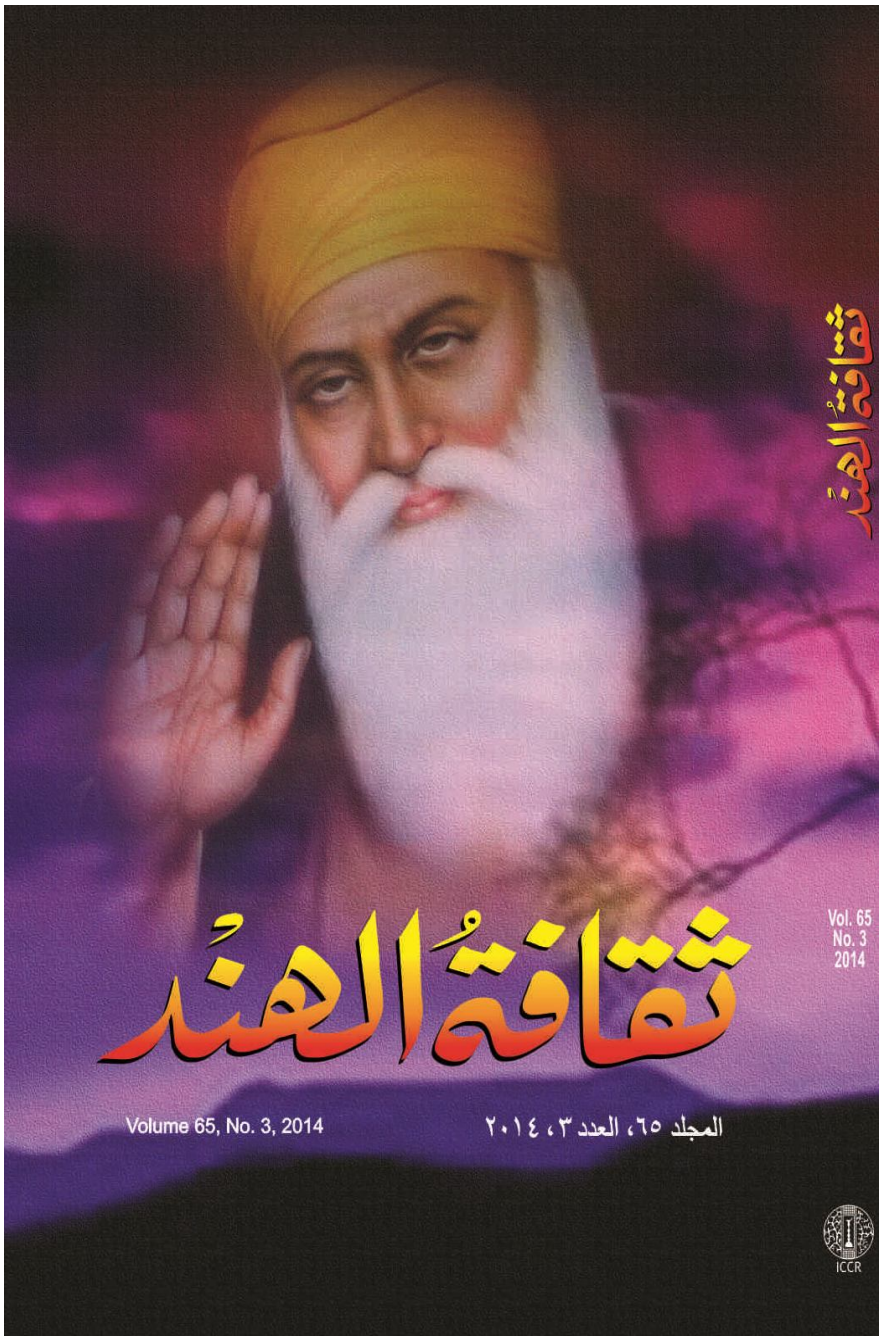
ثقافة الهند
Vol. 65
No. 3
2014
ثقافةُ الهنُد
Volume 65, No. 3, 2014
المجلد ٦٥، العدد ٣، ٢٠١٤
ICCR

ISSN 0970-3713

ثقافة الهند

مجلة علمية ثقافية جامعة فصلية

المجلد ٦٥، العدد ٣ ، ٢٠١٤

رئيس التحرير
البروفيسور ذكر الرحمن

Indian Council for Cultural Relations
भारतीय सांस्कृतिक सम्बंध परिषद

المجلس الهندي للعلاقات الثقافية

بالتعاون مع
المركز الثقافي الهندي العربي
الجامعة الملية الإسلامية
نيودلهي

إن المجلس الهندي للعلاقات الثقافية منظمة حرة لوزارة الشؤون الخارجية للحكومة الهندية أنشئت عام ١٩٥٠م لإنشاء وتنمية العلاقات الثقافية والتفاهم المتبادل بين الهند والبلدان الأخرى، وضمن برنامج مطبوعاته ينشر المجلس، بين ما ينشر، عدة مجلات، ففي العربية "ثقافة الهند" وفي الإنكليزية "Indian Horizons" و "Africa Quarterly" وفي الفرنسية "Rencontre Avec L'Inde" وفي الأسبانية "Papeles de la India" وفي الهندية "Gagananchal" وكلها يصدر أربع مرات في السنة.

والمراسلات المتعلقة بالاشتراك في الطباعة والنشر توجه إلى:

EDITOR, Thaqafatul Hind
India Arab Cultural Centre
Imarat Ibn-e- Khaldun
Jamia Millia Islamia
New Delhi-110025
E-mail: edit.thaqafatulhind@gmail.com

ودفع الثمن يُوجه إلى:

The Programme Director (Pub.)
Indian Council for Cultural Relations
Azad Bhavan , Indraprastha Estate
New Delhi-110002 (India)

وحقوق جميع المقالات المنشورة في ثقافة الهند محفوظة فلا يجوز نشرها بدون الإذن، والآراء التي تحويها المقالات هي آراء شخصية للمساهمين والكتاب ولا تعكس سياسة المجلس بالضرورة.

بدل الاشتراك للمجلات الصادرة عن المجلس:

ثمن النسخة	الاشتراك السنوي	اشتراك ثلاثة أعوام
٢٥ روبية	١٠٠ روبية	٢٥٠ روبية
١٠ دولارات	٤٠ دولارا	١٠٠ دولار
٤ جنيهات	١٦ جنيها	٤٠ جنيها

نشرها وطبعها السيد ستيش مهتا، المدير العام للمجلس الهندي للعلاقات الثقافية – آزاد بهوان، نيودلهي، الهند بالتعاون مع المركز الثقافي الهندي العربي، الجامعة الملية الإسلامية، نيودلهي الذي قام بإعدادها وإنتاجها.

صورة الغلاف : ----------

صورة في الخلف: ----------

ثقافة الهند

المجلد ٦٥، العدد ٣ ، ٢٠١٤م

في هذا العدد

▪ **افتتاحية العدد**	
▪ غورو نانك وتأسيس الديانة السيخية **محمد هشام بوتكدان**	١
▪ مختارات من شعر كيرالا المعاصر **شهاب غانم**	٢٦
▪ المقالة عند الدكتور محي الدين الألواي **محمد إقبال الندوي**	٥٠
▪ العلامة السيد محمد إعجاز أحمد السهسوانى و ديوانه الدراري المضيئة **الدكتور عرفان أحمد الندوي**	٧٠
▪ المستشرقة آنا ماري شيمل وعنايتها بالتاريخ الإسلامي في الهند **سيد محمد عمر فاروق**	٨٤
▪ البوذية : نشأتها وإسهامات ملوك الهند في تطورها **لقمان الوافي لوا**	٩٨

▪ قـــصـــائد **الدكتور سعيد بن مخاشن**	١١٦
▪ تأثير الإسلام واللغة العربية في تطوير اللغة الأردية وآدابها **صاحب عالم الأعظمي الندوي**	١١٨
▪ محمد زكريا الكاندهلوي أحد المحدّثين العباقرة في الهند **الدكتور محمد أكرم نواز**	١٧٤

افتتاحية العدد

ثقافة الهند تركيب لغوي جامع مانع ولا يعرف معنى هذا التركيب إلا مَن عاش في الهند وتعرّف على نمط الحياة فيها وشاهد انصهار كل الأديان التي وجدت منذ بدء الخليقة إلى يومنا هذا، فالجميل في الموضوع التآلف والتسامح والمحبة التي تجمع كل أبناء الهند لبناء دولة عظيمة تغمرها ثقافة الهند بأديانها ولغاتها وجغرافيتها وطبيعة أرضها الخصبة المفعمة بالحياة وبأمطارها التي تنصب انصباباً فتثمر وتخصب .

إنّ ثقافة الهند متلوّنة بأجمل الألوان بأشعارها من شمالها في أترابراديش إلى جنوبها في كيرالا وفي لغاتها التي تضمُّ ماضي وتراث العراقة والأصالة، ونحن إذ نقدّم عدداً جديداً متنوّعا بين الشعر والدين والتاريخ نهدف دائما إلى الجديد وننشد الأمل بإمتاع قارئنا بما هو مفيد وممتع.

وهذا العدد الجديد من ثقافة الهند نفتتحه ببحث غنيّ بعنوان "غورو نانك وتأسيس الديانة السيخية" للباحث محمد هشام بوتكدان من قسم الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ومن المعلومات الغنية في هذا البحث حول المرشد غورو نانك : ولمّا بلغ نانك التاسعة من عمره قرّرت عائلته أن يلبس الزنار، وهو طقس هندوسي شبيه بالمعمودية عند

المسيحيين، فرفض نانك ذلك قائلًا: أرفض لبس الزنار مفتول الخيوط، بل ألبس زنار القناعة المفتول من خيوط التقوى والبرّ والإنسانية .

وجاء البحث الثاني بعنوان مختارات من شعر كيرالا المعاصراختارها وترجمها الدكتور شهاب غانم. وتنوعت القصائد بين الاجتماعي والسياسي والحب. ومن قصيدة الشاعر كمالا ثريّا بعنوان "تقديم" نورد هذا المقطع الجميل:

إنّني لا أ فقه
شيئا في السياسة
لكنّني أعرف أسماء الذين يجلسون على كراسي السلطة
وأستطيع أن أكرّر أسماءَهم مثل أيام الأسبوع وأسماء الشهور
ابتداء بنهرو.
إنّني هندية شديدة السّمرة مولودة في مليبار
أتحدث ثلاث لغات
واكتب باثنتين
وأحلم في واحدة.

والبحث الثالث جاء تحت عنوان "المقالة عند الدكتور محيي الدين الألواي " بقلم محمد إقبال الندوي و هو الباحث في الدكتوراه بقسم الأدب العربي. لم يكن الأستاذ الألواي يفكر في التصنيفات المختلفة للمقالات بقدر اهتمامه بإبراز موضوعات الكتابة ، فهموم الأمة الإسلامية ، وهموم الوطن العربي تشغله عن التفكير في أي شيء آخر، ولتأت المقالة بأي نوع وبأي شكل .

أما البحث الرابع فكان بعنوان العلامة السيد محمد إعجاز أحمد السهسوانى و ديوانه "الدراري المضيئة" للدكتور عرفان أحمد الندوي. ومن مميزات شعره أنه قرض الشعر فى جميع الأصناف من الغزل و المديح و الرثاء و لا نرى فى أبياته أثر العجمة و حينما يقرأه القارىء فيجد الحلاوة و السلاسة، و دائماً يستعمل عبارة سهلة و تعبيرات جيدة عن الآراء و الأفكار و يفهمه القارىء بدون أى مشقة. و قال حمدا لله عز و جل:

لك الحمد يا من فضله متكاثــر وعمّ البــرايا لطفــه المتــواتر
تباعدت إجلالا و مجدا و رفعة وعقل الفتى فى درك كنهك حائر

وتبعه البحث الخامس بعنوان "المستشرقة أنا ماري شيمل وعنايتها بالتاريخ الإسلامي في الهند" لسيد محمد عمر فاروق محمد موسى باحث في الدكتوراه جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية حيدرآباد، الهند ومما جاء في هذا البحث: زارت شيمل عدداً كبيراً من البلدان العربية والإسلامية، منها الهند واليمن وتركيا حيث عملت فيها كأستاذة للعلوم الإسلامية واللغة العربية. ولما عادت إلى ألمانيا عام ١٩٦١م أسست مجلة دورية تسمى بـــ"فكروفن" باللغة العربية والألمانية، وهي مازالت تصدر حتى الآن في كل سنة عددين، وهي أجمل مجلة عربية على الإطلاق تصدر في أوربا. كما أنها تنقلت بين الجامعات العالمية المرموقة كأستاذة زائرة، فقد حاضرت لسنوات طويلة في جامعة هارفورد في الولايات المتحدة، وجامعة دلهي في الهند.

وجاء البحث السادس من هذا العدد الجديد من مجلة ثقافة الهند بعنوان "البوذية نشأتها وإسهامات ملوك الهند في تطورها" وهو بحث غني عميق في البوذية جدير بالقراءة والتمعن .

أما البحث السابع فكان بعنوان قصيدة "وصال الغزال" للدكتور سعيد بن مخاشن الأستاذ المساعد بجامعة مولانا آزاد الأردية الوطنية. ومن نماذج شعره:

تمنيت دهــرا وصال العشيق فــرد الــزمان ندائي بدفــق
فيا ليت شعري وصلت نياما ألمت علــي ونالت لــحــاقي
فيومــا أتاني غــزال ذعور وتمشي الهويني برحب اللياق

وتبعه قصيدة بعنوان " كأس الفراق"

سقاني الزمان كؤوس الفراق وأغرى بهجــر أراضي الــرفاق
رماني الدهــور أقاصي البلاد فطارت طيــور بصبــح انطلاق
ركبت ركاب الضــعــان بدون الــرضاء وانضيت خيــل الشقاق
فكم مــن نواد تركت الجميع وأعــرضت حقا بكاء الصــديق

وحمل البحث الثامن عنوان " تأثير الإسلام واللغة العربية في تطوير اللغة الأردية وآدابها" وجاء فيه: تكتب اللغة الأردية من اليمين إلى اليسار شأنها شأن اللغة العربية، ذلك أنها تكتب بحروف عربية حوِّرت لتناسب الفارسية ثم الأردية. وحافظت الأردية على قواعد اللغة الهندية مع تعميم بعض الصيغ الموجودة في اللهجات المحلية، وتختلف الأردية عن الفارسية في التفريق بين المذكر والمؤنث مثلاً....

الهند أغنية الزمن الخالدة التي لا يستطيع الإنسان أن يتركها إذا سمع أنغامها وألحانها هي بساتين الحياة المتنوعة بأديانها ولغاتها ومجمع الثقافات الخالدة الجذّابة المليئة بالحيوية والحب والتآخي والتلاقي والتفاهم. ونأمل دائما أن نقدّم الجديد والمفيد والممتع في مجلتنا ثقافة الهند.

ذكر الرحمن

مدير

المركز الثقافي الهندي العربي

الجامعة الملية الإسلامية، نيو دلهي

غورو نانك وتأسيس الديانة السيخية

محمد هشام بوتكدان*

المقدمة

إن الهند من الأمم ذات التاريخ العريق الموغل في القدم، فقامت على أرضها كثير من الحضارات والمعتقدات والأفكار، منها ما انتشر في بلدان العالم الأخرى، فتأثرت به حتى بعض الأديان السماوية مثل اليهودية والمسيحية فانتقلت منها عقيدة البنوة والتثليث إليهما وغير ذلك من المعتقدات الأخرى، كماتأثرت بها بعض الفرق المنشقة عن الإسلام فأخذوا بعض أباطيل القوم كوحدة الوجود وتناسخ الأرواح ونسبوها إلى الإسلام ظلمًا وزورًا.

إن رجال الديانة الهندوسية أخذوا بعض محاسن الإسلام وزعموا أن كتبهم تأمر بها، ولا سيما في ميدان الأخلاق والقيم وبعض التشريعات التي تتفق مع الفطرة الصحيحة. وكانت الديانة السيخية نتيجةً طبيعيةً لهذا التبادل الثقافي بين الأفكار، فقد نشأت وانتشرت في الهند وجمعت عناصرها من الثقافة الهندوسية ومن الدين الإسلامي. وقد أسس هذه الديانة شخصية بارزة للتصوف الهندي في الأيام الأخيرة للقرون الوسطى "غورو نانك" (Guru Nanak).

* باحث بمرحلة الدكتوراه في قسم الفلسفة الإسلامية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة

ونظرًا لهذه الأهمية من تبادل الأفكار والمعتقدات بين السيخية وبين كل من الإسلام والهندوسية، حاولت البحث عن هذه الشخصية التي كانت همزة الوصل بين الأفكار الإسلامية والثقافة الهندوسية. وقد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وثلاثة مباحث– الأول في حياة غورو نانك والثاني في تطور الديانة السيخية والأخير في تحليل أفكار غورو نانك– وخاتمة تحتوي على أهم نتائج البحث والمصادر والمراجع.

ومن المعلوم أن الأديان مهما اختلفت نرى نقاط التشابه والالتقاء بينها – قد تقل وقد تكثر – يمكن أن تشكل أساسًا راسخًا لقيام تعاون مشترك بين أتباع هذه الأديان. والإسلام يبين لنا أن واجب أهل الأديان ليس التنافس على المطامع الدنيوية، وإنما التسابق في فعل الخير للناس. وهذا ما يعبر عنه القرآن الكريم بقوله:﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ[١].

وبدلًا من أن يتنازع أتباع الأديان فيما بينهم حول بعض المعتقدات فإن عليهم أن يسعوا في الحوار فيما بينهم على التأكيد على جوانب الاتفاق وأن يكونوا على وعي بذلك أيضًا. فهذه الجوانب المشتركة تمثل منطلقًا للتعاون البنّاء بين الإسلام وبين الأديان الهندية، وهذا ما ننشده من خلال هذه الرحلة المتواضعة، والله الموفق والمعين.

---

[١] سورة المائدة (٤٨/٥).

المبحث الأول:

حياة غورو نانك (١٤٦٩ – ١٥٣٩ م)

ولد غورو نانك في بيت أبيه في قرية تالواندي راي بوي (Talwandi Rai Bhoi)[١] التي عرفت فيما بعد ب"نانكانه صاحب" (Nankana Sahib)[٢] على بعد ٤٠ ميلًا من الجنوب الغربي لمدينة لاهور. وتقول بعض الروايات أنه ولد في بيت جده من الأم في قرية كهنا كاتشا (KahnaKatcha) أو جاهال (Chahal)، ويؤيد هذا أن تسميته بنانك إشارة إلى أنه ولد في بيت جده لأن الجد من الأم يسمى "نانا"[٣] (Nana) كما أن أخته سميت بـــ"ناناكي" (Nanaki)، على أن نصوص جانم ساكهي (Janamsaakhi)[٤] تنكره وتقول إنه ولد في تالواندي. واختلفت الروايات من المصادر السيخية في تاريخ ميلاد[٥] غورو نانك، غير أن معظمها تتفق على أنه ولد ١٥ إبريل سنة ١٤٦٩م.

نشأته

كانت نشأته هندوسية تقليدية[٦] لأن أبويه كانا هندوسيين من طبقة "كشتريا" (Kshatriya)[١] وكان أبوه "ميهتا كاليان داس بيدي" (Mehta Kalian Das Bedi) محاسبا في قرية تالوندي.

---

[١] كان راي بوي صاحب قرية تالواندي وناصحا للسيخية، وكثيرا ما يذكر في كتب السيخ

[٢] Khushwant Singh: A History of Sikhs, 1\28 .١

[٣] تواريخ غورو خالصة – كيان سيغ كياني المجلد الأول ص ٢١ مطبعة وزير هند أمرتسار

[٤] جانم ساكهي: معناها اللغوي شاهد الميلاد، وفي اصطلاح السيخ إنها الكتابات عن حياة المعلم نانك. Harjinder Singh Dilgeer: Dictionary of Sikh Philosophy, p 125

[٥] يحتفل عيد ميلاد غورو نانك ليلة البدر من شهر نوفمبر. وهذا على أساس سيرته التي ألفها "بالا سندو" ولكن لم يغيروا تاريخ الاحتفال حفاظا على السنن التقليدية

[٦] دائرة المعارف الإسلامية باللغة العربية – أحمد إبراهيم زكي خورشيد، عبد الحميد المجلد الثاني ص ٣١١ ، تيونس بيروت.

إن المعلومات المتعلقة بنشأته وطفولته غير قابلة التصحيح التاريخي، فقد قيل إنه ضحك عقب ولادته وإن كاهن القرية جاء وبدأ يقدسه ويعظمه، كما أنه في الخامسة من عمره بدأ يتكلم عن الأمور الإلهية وأن المسلمين والهندوس من قريته أثنوا عليه ورفعوا من شأنه.

وكانت أيام دراسته الرسمية قليلة وعندما بلغ السابعة أخذه أبوه إلى المدرسة، وبعد أيام قليلة قال لمعلمه في المدرسة إنه يفضل دراسة العلوم الإلهية من العلوم المادية[٢]. غير أن أباه حوّله مرة ثانية لدراسة اللغة الفارسية التي كانت لغة رسمية آنذاك، ولكن نانك لم يعد يدرسها إلا قليلًا.

ولما بلغ نانك التاسعة من عمره قررت عائلته أن يلبس الزنار، وهو طقس هندوسي شبيه بالمعمودية عند المسيحيين، فرفض نانك ذلك قائلًا: أرفض لبس الزنار مفتول الخيوط، بل ألبس زنار القناعة المفتول من خيوط التقوى والبر والإنسانية[٣].

زواجه وتوظيفه

ولما بلغ السادسة عشرة قررت أسرته أن يزوجه من فتاة تسمى سلكاني (Sulkhani) تنتمي لنفس القرية، فتزوج بها في أول أبريل سنة ١٤٨٥م.

---

[١] الطبقة الثانية من الطبقات الاجتماعية في الديانة الهندوسية، وكانت وظيفة هذه الطبقة الدفاع عن البلاد، وكان المعلمون العشر للسيخ ينتمون إلى هذه الطبقة. A Popular Dictionary of Sikhism by W. Owen Cole, p 49

[2]Macauliffe: The Sikh Religion, 1\8

[3]Macauliffe: The Sikh Religion, 1\16

وقد أنجبت له ولدين، سري جاند (Sri Chand) ولكشمي داس (Laksmidas)[١].

وكان نانك يساعد والده في رعاية أمور الزراعة ورعاية الأراضي لكنه كان شارد الذهن دائم التفكير والتأمل معتزلًا عن الناس، فرغب والده في توجيهه للأعمال التجارية لعل ذلك يصرفه عن انطوائه وعزلته، فأعطاه بعض النقود وأرسله إلى قرية تشورهركانا (Chuharkana) المجاورة لعقد بعض الصفقات التجارية، فذهب نانك إلى القرية. وحينما وصل إلى تلك القرية هاله ما رأى فيها من المعدومين والجياع فَرَقَّ حالُه وأنعم عليهم بالنقود التي حملها معه للتجارة ورجع فورًا إلى قريته وأسرته وأخبر والده بما آل إليه أمر النقود بأنه عقد صفقات صادقة مع الله تعالى وسوف تعود عليهما بالثواب الجزيل[٢].

فسخط عليه والده لذلك، وبعد مدةٍ بعثه إلى زوج أخته جي رام (Jee Ram) الذي كان قاطنًا في سلطانبور(Sultanpur) وكان له صيتٌ طيبٌ لدى حاكم البلدة فتوسط جي رام لصهره نانك فعينه الحاكم أمينًا لمخزن الغلال[٣]، وكان يقوم بوظيفته على أحسن وجه في النهار، وقضى لياليه في الذكر والثناء على الله. وكان ينفق بجزء قليل من راتبه على نفقته الخاصة ويتصدق بالباقي على الفقراء والمساكين. وعُرِف نانك خلال عمله بتوزيعه الكثير من الغلال مجانًا للفقراء فشاع ذكره في أوساط البلدة واتصل خبره بحاكم البلدة فأمر بتفتيش المخازن التي يشرف عليها نانك، لكنه لم يجد ما يدينه به.

---

[1]A.C. Banerjee: Guru Nanak and His Times, p 114
[2]Macauliffe: The Sikh Religion, 1\31
[3]A.C. Banerjee: Guru Nanak and His Times, p 115

انخراطه في الحياة الروحية

وقد صحب نانك خلال تلك الفترة عدد كبير من الأصدقاء المسلمين وتَعَرَّف عن طريقهم على الدين الإسلامي، ومن أهم أصدقائه في تلك الفترة المسمى مردانا (Mardana)[١] الذي كان صوفيًا وموسيقيًا بارعًا أيضًا، ويرد اسم مردانا في كثير من القصص التي يرويها السيخ عن نانك. ويحكي جانم ساكي حياتهم في سلطانبور: "وكانوا يستغرقون في الذكر والأناشيد في الليالي ويطعمون كل من جاؤوا إليهم. وكان نانك يذهب قبل الفجر إلى النهر للاستحمام، وبعد طلوع الشمس يذهبون لعملهم الرسمي"[٢].

وخلال استحمامه في النهر وقت الفجر كانت له تجربته الروحي الأولى. وفي يوم من الأيام غاب نانك بعد استحمامه اليومي عن أعين الناس في إحدى الغابات القريبة. ونُقِل إلى الحضرة الإلهية وسقاه اللهُ كوبًا من نكتار (Amrit) وفوضه مسؤولية الدعوة إلى الحق، فقال: "يا نانك، أنا معك، يذكر اسمي بك، وسوف أنقذ من تبعك، اذهب إلى الناس وعلمهم كيفية العبادة، ولا تغتر بالعالم الذي حولك، واجعل حياتك بالذكر (Nam) والصدقة (Dan) والطهارة (Isnan) والخدمة (Seva) والصلاة (Simaran). يا نانك، أعطيك عهدي أن هذا مهمتك في الحياة"[٣].

وتذكر بعض الروايات: "..... وفي ذلك الوقت شعر نانك بدافع روحي قوي في نفسه لإعلان الحق الذي أوحي إليه والدعوة إليه"[٤]. تلفظ

---

[1]A.C. Banerjee: Guru Nanak and His Times, p 116
[2]Janamsakhi, p 16
[3]Janamsakhi, p 17
[4]Indubhusan Banerjee: Evolution of the Khalsa, 1\70

نانك ببعض الأذكار ورجع إلى سلطانبور بعد ثلاثة أيام حيث رحبه أهاليها وفرحوا بقدومه لأنهم كانوا يظنون أنه غرق في النهر ومات.

وقد انتقد بعض المؤرخين قصة نانك في الحضرة الإلهية غير أن التراث الهندي الروحي لا ينكر اجتماع الروح الزكية بالحضرة الإلهية في منتهى صفائها وجلائها. وأن ما حدث لنانك لو جُرِّد من التفاصيل المبالغة لا يبقى أمرًا عجيبًا، لأن الروح الصافية المتعمقة في الذكر الإلهي التقت مع الجانب الإلهي في عالم خارج عن القوانين البشرية المادية. وعلى كل حال، كانت هذه الحادثة نقطة بداية جديدة بصفة عامة في تاريخ السيخية وبصفة خاصة في حياة نانك.

وبعد هذه الحادثة ترك نانك كل ما كان لديه إلا الثياب الذي كان يلبسه، ولازم السكوت حتى أبى أن يتكلم مع دولة خان لودي[١] نفسه. وقضى أوقاته مع الفقراء، وكان صديقه مردانا فقط يصاحبه فيها. وبعد صمت طال يوما تلفظ ولكن بكلمة واحدة رددها مرارًا كلما يفتح فاه: " لا هندوس ولا مسلمين".

وكلامه هذا أغضب قاضي البلدة واشتكى إلى دولة خان لودي عن نانك، وطلب دولة خان من نانك أن يبين موقفه. فأجابه نانك ببعض الأبيات، وكان يريد أن يشرح ما يريد بالمسلم الحقيقي، فقال: المسلم هو الصادق المخلص في نفسه، ويحمل الخير والرضى لغيره، ولا يمس ولا يأكل الحرام، وهذا المسلم سوف يدخل الجنة". وقد اقتنع الجميع ببيان نانك.

[١] كان أحد السلاطين الدلهية من سلالة اللودهية (Lodhi Dynasty).

ولعل هذا وقع في سنة ١٤٩٩م حينما كان نانك في الثلاثين من عمره، وهذه هي نهاية المرحلة الأولى من حياة نانك التي كانت مرحلة البحث عن الحقيقة. والآن في نهاية بحثه وصل إلى الحقيقة وصار مستعدًا لإعلانها أمام الناس ودعوتهم إليها[١].

المبحث الثاني:

تطورالسيخية في أيام نانك

ويظهر جليا في بعض الروايات أن نانك ترك عمله في سلطانبور، وتحمل مسؤوليته بصفة المعلم الروحي ليرشد الناس إلى الحق والخير. ولكي يؤدي هذه المهمة طفق يجوب القرى والمدن الهندية واحدةً بعد الأخرى ثم إلى البلدان المجاورة في آسيا الغربية بصحبة رفيقه مردانا. وكان يزور أماكن الاحتفالات المقدسة والطقوس الدينية، ويرى أن الناس يؤدون هذه العبادات من غير أن يعرفوا معناها ومغزاها، وكانت عباداتهم وطقوسهم قد جُرِّدت عن المحبة والإخلاص والصدق والصفاء القلبي. وكان يلبس لباسًا غريبًا لا يلفت الأنظار في التجمعات الشعبية.

الرحلة الأولى

وقد بدأ رحلته الأولى حوالي ١٥٠٠م واستغرقت ١٢ سنة رجع في نهايته إلى قريته تالوندي. وقد اتجه من سلطانبور في جهة الغرب إلى الغابات المجاورة. وعندما وصل في سَيِّدْبُور (Sayyidpur)[٢] أقام هناك

---

[١] Khushwant Singh: A History of Sikhs, 1\312

[٢] المدينة المعروفة حاليا باسم أمناباد محافظة كجرانوالا بولاية بنجاب الهندية

واسغرق في ذكر الله والاعتكاف (Tapasya) لمدة أيام قليلة[١]. ثم دخل مع صديقه مردانا إلى المدينة والتجأ إلى بيت نجّارٍ يسمى لالو (Lalo)، وسُرَّ نانك بإكرامه وضيافته رغم أن المضيف من الطبقة السفلى حسب نظام الطبقات الهندوسي.

ورد دعوة إلى مأدبةٍ كبيرةٍ أقامها مالك باكو (Malik Bhago)، الموظف الحكومي، ولم يجبها، فأحضره مالك باكو في حضرته، فأخذ نانك في يده اليمنى الخبز الغليظ الذي وجده في بيت لالو وفي يده اليسرى الثريد اللذيذ الذي وجده في بيت مالك باكو وعصرهما معا، فسال من خبز اليمنى اللبن ومن اليسرى الدم. فعلم نانك من خلال ذلك الفرق بين هذين الطعامين لأن الأولى من الكسب الحلال والثاني من الفساد والباطل[٢].

وفي الأيام التي أقام في سيدبور، حبس والي المدينة جميع العلماء والنساك المسلمين بما فيهم نانك في السجن، وأمر الجميع أن يعالجوا ابنه المريض. وعندئذ ألف غورو نانك قصيدة تكهن فيها بسقوط سلطانبور على يد الإمبراطور المغولي بابر.

بعدما أخرج من سجن سلطانبور واصل هو وصديقه مسيرتهما من دون أن يدخلا القرى أو شواطئ الأنهار، وهذا السفر أدى بهم إلى بيت شيخ سجان الذي أعد للضيوف المسافرين المسلمين مسجدا والهندوس معبدا، ولكنه بعدما نام الضيوف يلقيهم إلى بئر قريبة وينهب كل ما كان لديهم من الأموال. وعندما دخل غورو نانك إلى بيته واطلع على غدره في حق ضيوفه اعترف أمامه جميع ذنوبه وصار من مريديه وتلامذته[٣].

---

[1]Trilochan Singh: Guru Nanak, p 99

[2]Macauliffe: The Sikh Religion, 1\43-44

[3]Macauliffe: The Sikh Religion, 1\45

ثم ذهب نانك إلى كورو كشيترا (Kurukshetra) ووصل هناك في يوم خسوف الشمس حيث يفد إليها الهندوس ليقدموا قرابينهم، فدعاهم إلى دعوته فأجابه الكثير من الهندوس[١]. واتجه إلى بانيبت (Panippatt) والتقى فيها بالشيخ شرف[٢]، فسأله الشيخ بعض الأسئلة وأجابه نانك وصار معجبًا بجوابه وصفائه القلبي فعانقه وقبَّل رجله[٣].

ثم ذهب إلى دلهي (Delhi) وزار هَرِيدْوار (Haridwar) نانك متا (Nanakmata) بنارس (Banaras) باتنا (Patna) أيودهيا (Ayodhya) كيا (Gaya) كَوْرُو (Cauru) دَكَّا (Dacca) بُرِي (Puri) بلاسبور (Bilaspur) باك بتان (Pak Pattan) دِيبَلْبُور (Dipalpur) كَنَكَنْبُور (Kanganpur) كاسور (Kasur) بَتِّي (Patti) كوئندوال (Goindwal) جلالاباد (Jalalabad) كاري بتندي (Kari Patandi). وفي المكان الأخير كان له أتباع كثير من البتان (Pattans)، ثم اتجه إلى الشمال ووصل مرة ثانية في سيدبور حيث شهد هناك لسقوط المدينة على يد بابر[٤]. وهذا كان نهاية المرحلة الأولى من سفره.

الرحلة الثانية

وكانت رحلته الثانية في سنة ١٥١٠م إلى الجنوب حيث زار تامل نادو (Tamilnadu) وملبيار (Malabar) وسيلان (Srilanka) وكونكن

---

[1]Macauliffe: The Sikh Religion, 1\49

[٢] وكان اسمه أبو العلي قلندر، وتلقى الدروس من خواجه قطب الدين الذي كان شيخا للشيخ بابا فريد كنج والإمبراطور شمس الدين إلتوميش.

[3]Macauliffe: The Sikh Religion, 1\52-56

[4]A.C. Banerjee: Guru Nanak and His Times, p 124-129

(Konkan) ومباي (Mumbai) وراجستان (Rajastan). وكان يرافقه في هذه الرحلة اثنان من قبيلة جات (Jatts) – سَيْدُو (Saido) وكيهو (Gheho). وفي هذه الرحلة التقى نانك بخواجه خضر كما حاور مع راهب جيني. وفي جنام ساكهي بيانات عن زيارته أماكن كثيرةً في جنوب الهند غير أن أكثرها لا توافق مع الوثائق التاريخية.

ومن أهم الأماكن التي زارها في الجنوب سيلان المعروفة الآن بسريلنكا (Srilanka)، فقبلما يأتي نانك ذهب واحد من أتباعه التجار إلى سيلان وجعل مقره هناك وترجم بعض أشعاره إلى ملك سيلان، وتقول الوثائق السيخية إن اسم هذا الملك هو شيو ناب (Shivnab)، ولكن الوثائق التاريخية تنفيها وتؤكد أن اسم الملك آنذاك كان درمابراكرماباو (Darmaparakramabhavu) الذي تولى العرش سنة ١٤٩٣م[١]. ومن سيلان رجع نانك إلى بنجاب، وفي طريق عودته ترك الآثار الدينية والتجمعات السيخية في بعض الأماكن من السواحل الغربية.

الرحلة الثالثة

وكانت رحلته الثالثة إلى الشمال، وكان يصاحبه فيها حدادٌ اسمه حسو (Hassu) ونساجٌ اسمه سيحان (Sihan)، وقد بدأ سفره هذا سنة ١٥١٥م وانتهى في سنة ١٥١٧م. وكانت إقامته الأولى في بتالا (Battala)[٢]حيث ناظر مع بعض النساك وألَّف بعض أبياته، ثم اتجه إلى سري نجر

[1]A.C. Banerjee: Guru Nanak and His Times, p 131
[2]Macauliffe: The Sikh Religion, 1\158

(Srinagar) في كشمير ومكث هناك أيامًا وأقدم كثير من الناس إلى دعوته. ثم غادر سري نجر وتوجه إلى جبال همالايا. والوثائق التاريخية تقول إنه زار لداك (Ladakh) وتبت (Tibet) وجبال كيلاسا (Mount Kailasa) وبركة ماناسا (Lake Manasa). ثم رجع إلى بلده بنجاب، وأقام هناك إقامة وجيزة حيث جهز نفسه للسفر الأخير في الناحية الغربية لزيارة الدول العربية والشيوخ المسلمين الصوفية القاطنين لهذه البلاد[١].

الرحلة الرابعة

ثم اتجه في سنة ١٥١٨م إلى الشمال الغربي حتى وصل إلى حسن العبدالي(HasanAbdal) وقندهار (Kandahar). وكان يصاحبه فيها مردانا وباي بالا، وزيارته إلى البلدان العربية موضوع اختلفت فيه الآراء منذ قرن، فبعض تلامذته وكتاب سيرته يلقون الضوء على زيارته وأعماله في مكة المكرمة وبغداد كما يقول البعض بأنه زار المدينة النبوية أيضا[٢]. ولم يتعرض بورتان جانم ساكي (Puratan Janam Sakhi) ومهربان جانم ساكي (Miharban Janam Sakhi) لزيارته المدينة، ولكنهما اتفقا على زيارته مكة المكرمة. وقد عثر على بعض الوثائق التاريخية أثناء الحرب العالمية الأولى تقول بزيارته بغداد وحضوره هناك في سنة ٩٢٧ هـ (١٥٢٠-١٥٢١م)، وبعض الوثائق الأخرى تقول زيارته سنة ٩١٢ هـ[٣].

---

[١] راجع الأديان الكبرى العالمية لعماد الحسن ص ٢٠٥

[2]Ganda Singh: The Panjab Past and Present, p 37-40

[3]Macauliffe: The Sikh Religion, 1\174-180

لم يتعرض تلميذه باي غورداس (BhaiGurdas) للطريق التي اتخذها نانك في رحلته إلى مكة، ويظن أنه ركب سفينة لبعض التجار العرب تتجه إلى الأرض المباركة. إنه لبس ثياب الصوفية وأخذ عكازةً في يده، وكتابًا في إبطه، وسجادةً للصلاة فيها وجرةً من الماء. ولما وصل في مكة استقبله أهلها من العلماء والعباد والتفّوا حوله بالأسئلة والاستفسارات، فسأله بعضهم: من الأفضل؟ المسلمون أو الهندوس؟، فأجاب قائلا: "لم يجد المسلمون والهندوس ملجأ عند الله بدون الأعمال الصالحة". ويبدو من دراسة بعض الكتب السيخية أنه وصل هناك في أيام الحج لأنه لبس لبس الإحرام وزار بيت الله حتى شبع[١].

ومن أعجب الحوادث التي حدثت معه في الحرم المكي والتي ذكرها كل من كتب عن أسفار نانك من السيخ وغيرهم أنه لما وصل إلى الحرم المكي نام نانك من أجل التعب الذي أصابه مادًا رجليه إلى الكعبة المشرفة فجاء أحد أصحاب النظافة وغضب عليه قائلًا: ارتكبتَ سوء الأدب ومددتَ رجليك إلى الكعبة. فقال نانك: فقراء ومساكين! نحن حديثو العهد بنزول البلد وأصابتنا مشقة السفر الطويل، فحول رجله إلى الناحية التي ليست فيها الكعبة، ويذكر مؤرخو نانك أن اسمه كان ركن الدين[٢]، فسأله هل أنت مسلم أم هندوسي. فأجابه نانك بأن الله تعالى خلق الهندوسي والمسلم من العناصر الأربعة، ولا فرق في صنعهما، وخالقهما واحد وكلاهما يساويان، ولا فرق بينهما، فتركوه ظانين أنه من عباد الله الصالحين من ظاهر كلامه[٣].

---

[1]Dr. Trilochan Singh: Guru Nanak Founder of Sikhism, p 377-378

[١] Raja Daljit Singh: Guru Nanak, p 50

[٢] Dr. Gopal Singh: A History of the Sikh People, p 125- 126

ثم توجه نانك من مكة إلى بغداد، وقيل إنه قبلما يذهب إلى بغداد توجه إلى المدينة المنورة، مع الحُجّاج الآخرين والتقى بعلمائها[١]. وذلك لأنه لا يوجد مبرِّرٌ أو مقتضى لكي يخص نانك بإحدى الحرمين بالزيارة والإقامة فيه ويترك الآخر. وفي بغداد كان يسكن خارج المدينة وينادي بالأذان الإسلامي. ومكث أيامًا عند ضريح الشيخ عبد القادر الجيلاني[٢] والتقى برجال التصوف الموجودين في ذلك الوقت. يقول المؤرخون السيخ إن الناس في بغداد طلب من نانك أن يظهر لهم بعض خوارق العادات (Miracles) لكي يتأكدوا من صحة رسالته وأجابهم ما طلب منهم[٣]، ولكن هذه الأحداث لا نجد لها توثيقا من المؤرخين والمستشرقين، ولعل هذه من مبالغات أتباعه في نسبة المعجزات والكرامات إليه.

ثم ذهب إلى تركيا ومكث في إستنبول ثم سافر إلى مصر، ويقول بعض المصادر السيخية إن نانك مكث في القاهرة بضعة أيام كما أن هناك بعض الآثار والذكريات خارج القاهرة في شكل لوحة حجرية مكتوبة عليها اسم نانك وذكرياته،[٤] ولكن هذا لم يثبت تاريخيا حتى الآن. ولعله يراد من هذه

---

[٣] Dr. Ganda Singh: A Brief Account of the Sikh, p 68

[٢] عبد القادر الجيلاني: هو عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكي دوست الحسني، أبو محمد محيي الدين الجيلاني أو الكيلاني أو الجبلي، مؤسس الطريقة القادرية، من كبار الزهاد والمتصوفين، ولد في جيلان (وراء طبرستان) سنة ٤٧١ هـ وانتقل إلى بغداد شابًا سنة ٤٨٨ هـ فاتصل بشيوخ العلم والتصوف، وبرع في أساليب الوعظ وتفقه وسمع الحديث وقرأ الأدب واشتهر، وكان يأكل من عمل يده، وتصدر للتدريس والإفتاء في بغداد سنة ٥٢٨ هـ وتوفي بها سنة ٥٦١ هـ، من مصنفاته: الغنية لطالب طريق الحق، الفتح الرباني، فتوح الغيب، الفيوضات الربانية. انظر الأعلام للزركلي: ٤٧/٤.

[١] A.C. Banerjee: Guru Nanak and His Times, p 134-136

[4] Dr. Trilochan Singh: Guru Nanak Founder of Sikhism, p 394

الروايات تأكيد العلاقة بين نانك والبلدان العربية من دون تعريضها للوثائق التاريخية، غير أننا لم نعثر على شيء من هذا القبيل من المصريين وتاريخهم مع أنهم احتفظوا قديما وحديثا على ذكريات الملوك والصالحين الوافدين عليهم من البلدان الأخرى حتى ولو مرت عليها مئات بل آلاف السنين، أما نانك فلم يبلغ قِدمه أكثر من ٥٠٠ سنة.

الرجوع من السفر

ولما فرغ نانك من مهمته في البلدان العربية قرر العودة إلى بلده فسافر إلى خوارزم وكابول وجلال آباد (Jalalabad) حتى دخل في باكستان الحالية فزار بيشاور (Peshavar). ولما وصل إلى ملتان قدم له إحدى رهبانها كأسًا مملوءة باللبن، وكان يرمز بذلك إلى أن المدينة مملوءة بالقداسة الدينية وأنه لا مكان فيها لرسالة جديدة، ولكن نانك أخذ الكأس وألقى فيها زهرة ياسمين ولم يسل اللبن من الكأس ولم يخرج، رمزًا إلى أن المدينة ما زال فيها مكان يسع رسالة نانك الجديدة[١]. ثم توجه نحو بنجاب، وكان أثناء سفره هذا يدعو الناس إلى أفكاره ويمنعهم من الشرك بالله تعالى.

ثم انتهى نانك من سفره الذي استغرق حوالي أربعين سنة، وكانت رحلته هذه فرصة لنشر دعوته ولمعرفة أحوال الناس في الدنيا وأحاسيسهم وعواطفهم، وكان يلبس الزي المختلط بين الهندوس والمسلمين. وكان يصاحبه في هذه الرحلات المسلمون والهندوس وأصحاب الطبقات السفلى. وحينما يزور الأماكن الهندوسية كان يناظر علماءها ورهبانها في المسائل

١- Macauliffe: The Sikh Religion, 1\180

الدينية، كما أنه التقى مع بعض الصوفية المسلمين، وقد تضمن كتاب السيخ المقدس كلامه مع هؤلاء رجال الدين.

وكان يترك وراءه في الأماكن التي زارها أتباعًا منحدرين من المسلمين والهندوس، ومراكزَ دينيةً ممتدة في الشرق من آسام (Assam)[١] إلى العراق في الغرب، غير أن معظمها لم يكتب لها البقاء بعد أيام نانك لأنه كان يتكلم معهم في اللغة البنجابية، فاندرست هذه المراكز بمضي حياة أصحابها المتكلمين باللغة البنجابية[٢].

حياته في كرتاربور

وبعد عودته من سفره لزيارة البلدان العربية أقام مع أقاربه في تالوندي بلاد مولده لبضعة أيام، ثم أخذ أسرته وسافر إلى كرتاربور (Kartarpur) وعمر هذه البلدة التي على شاطئ النهر راوي (Ravi) وجعلها مقرا له حتى وفاته. وفي أثناء ذلك توفيت والدته في سنة ١٥٣٣م وبعد عشرين يوم من وفاتها توفي أبوه أيضًا[٣]. وكان يزور في هذه المدة المدن والقرى القريبة ولكنه كان سفرًا قصيرًا يستغرق بضعة أيام فقط.

وقد اشتغل نانك في كرتاربور في الزراعة والفلاحة، وكان يحث أتباعه على الكسب الحلال والإنفاق على الأسرة. وكان نانك يقوم بأذكار الصباح والمساء مع المزامير، كما كان يقضي أوقاته الخالية في تبليغ

---

[١] - ولاية هندية في الشمال الشرقي

٣- Khushwant Singh: A History of Sikhs, 1\34

[٣]-ويقال إن أبويه توفيا أيام سفره الرابع، Janamsakhi, p 100

دعوته ونشر أفكاره. وكانت قريته كرتاربور مركزًا روحيًا يفد إليه كثيرٌ من أتباعه، وعندما يحين وقت الطعام كانت الأسرة وكل الحاضرين من الفقراء والمساكين والأمراء يجتمعون حول مائدة واحدة بدون التفرقة بين الصغار والكبار والسادة والبسطاء، ويتناولون الطعام من مطعم واحد عمومي، ويسمون هذا المطعم لنكار (Lankar)[١].

تخليفه المعلم الثاني

وفي آخر حياته أصابه الضعف من مرض طويل، فجمع أتباعه حوله.وكان من تلامذته المقيمين معه في كارتابور لهنا (Lehna) الذي أخلص لنانك في متابعته وامتثال أوامره، فاعترف به نانك ووجد فيه مواصفات خليفة له من بعده. وقد امتحنه نانك، وفي كل مرة كان يجد فيه ما يؤهله لنيابته وكان ابنه الكبير سري جاند (Sri Chand) يحب العزلة من الناس ويبتعد عنهم ولا يشترك معهم في أمورهم، وكان نانك لا يحب منه ذلك. وابنه الصغير لكشمي داس (Lakshmi Das) أخذ اتجاها آخر ولم يظهر رغبة في الأمور الدينية والروحية البتة.

فاختار نانك تلميذه لهنا خليفة له يتحمل عنه مسؤولية القيادة الروحية والدينية، وأسماه أنْكَدْ (Angad)[٢]. إنه أبلغ وصيه أنكد بأن روحه ستحل فيه بعد وفاته وسيكون هو الغورو أو المعلم وسيقود الطائفة السيخية من خلفه. ومن هنا نشأ الاعتقاد السائد لدى السيخ بأن روح نانك بقيت حية تحل في كل من يخلفه من سلسلة خلفائه الذين تولوا قيادة أتباعه وقد بلغوا تسعة

٢- Khushwant Singh: A History of Sikhs, 1\40

[2]Khushwant Singh: A History of Sikhs, 1\34

رؤساء رسميين. وتذكر بعض الروايات أن ابنيه لم يعترف بنيابة لهنا عن نانك، ولم يطيعا له في الأمور، ولما يئسوا من الوصول إلى الخلافة خرجا من كرتاربور ولم يرجعا إليه أبداً[١].

وفاته

وتوفي نانك في ٢٢ من سبتمبر سنة ١٥٣٩م في الساعات الأولى من الفجر، وذكر في بعض الروايات أنه مات في سنة ١٥٣٨م[٢]. وقد اختلف أتباعه قبل وفاته في كيفية دفن جثمانه، فقال المسلمون يدفن كما يدفن المسلمون وقال الهندوس يحرق جسده ثم نرمي الرماد في الأنهار، فطلب نانك من الهندوس أن يضعوا باقة من الأزهار عن يمينه ومن المسلمين أن يضعوا باقة من الأزهار عن شماله وأيهما وجد أزهاره كما تركه سوف يتولى أمور تجهيز جنازته، وطلب منهم أن يدعوا جميعًا، فلما فرغوا من ذلك جعل نانك لحافه على جسده ودخل إلى النوم الطويل. ولما أصبحوا رفعوا اللحاف فلم يجدوا تحته شيئا، وأدى الجميع تحيتهم الأخيرة لنانك ورجعوا إلى بيوتهم[٣].

وقد كرَّست هذه الحادثة في نفوس أتباعه أهمية نبذ الخلافات بينهم ووجهتهم صوب تقديس كتابهم كرانت صاحب بدلا من تقديس جثمان

---

[1]Macauliffe: The Sikh Religion, 1\187

[2]Macauliffe: The Sikh Religion, 1\181

[3]Khushwant Singh: A History of Sikhs, 1\35, Macauliffe: The Sikh Religion, 1\191

صاحبهم والطواف حوله وعبادته. وهكذا توفي نانك في عمر السبعين تاركًا جماعة لا يستهان بها من المريدين، وكل من السيخ والمسلمين بنوا تذكارًا لهم على شاطئ نهر راوي (Ravi) ولكن هذا التذكار غرق في النهر بعد مرور الزمن.

السيخية بعد غورو نانك

إن السيخية اليوم تتمتع بهوية ذاتية تنفرد بها بين أديان العالم، فهي إذن - على زعم أبنائها - تعترف بالكتب الدينية القديمة إلا أنها تنقد الكتب أو الأفكار غير القادرة على توجيه المجتمع إلى التقدم الروحي، وقد تم هذا التطور في السيخية في أيام المعلمين الذين جاؤوا بعد المعلم نانك، ولا سيما في عهد المعلم التاسع غوبند سنغ حيث حاول بكل جهوده ليصبغ أفكار نانك صبغة دين جديد مستقل متكامل الجوانب.

المبحث الثالث:

أفكار غورو نانك في الميزان العلمي

لم يكن نانك من أولئك المفكرين الذين هم أصحاب البناء الفكري المنظم، بل إن فكره مستمد من عناصر عديدة يخلو من التناسق، غير أن أهم الأفكار التي كانت عنده الدعوة إلى وحدانية الله والتقرب إليه من خلال الخضوع والحب. وكان يعتقد أنه بدون الحب والتكريس تصبح كل الشعائر باطلة وبلا معنى، كما تحدث عن غرور الحياة وباطلها وفنائها. وخلاصة كلام نانك تتبلور في أن الله وعبادته أهم من خلاص الإنسان وأن الله لا تدركه الأفهام وهو الباطن والحق المطلق وهناك إله واحد فقط اسمه الخالق الحق.

ونجد في تلك التعاليم تأثيرًا إسلاميًا واضحًا، وعلى الرغم من أن تعاليم نانك خضعت لكثير من التأثيرات الإسلامية إلا أن الأساس الفكري لدى نانك كما كان لدى كبير (Kabir) يظل هندوسيًا. فإننا نعثر في كتابات نانك على فكرة الحلول، فالله يحل في كل الأشياء وهي فكرة هندوسية خالصة، كما يقبل الأفكار الهندوسية المتعلقة بالتناسخ وكارما رغم أن نانك وضع تلك الأفكار في شكل خاص جعلها قريبة من الفكر الإسلامي.

وفي الوقت الذي يحث فيه نانك أتباعه على الاستسلام المطلق لله المنزه نراه يؤكد على ضعف الإنسان وعلى وعيه بإثمه وفشله، ومن ثم الخوف من الله الناتج عن ذلك. ولكن الله – كما يرى نانك – رؤوف رحيم يحرس الإنسان ليل نهار ويبقيه في السعادة. والإنسان عند نانك ليس كائنًا سلبيًا تمامًا، وذلك أن الإنسان إذا اختار الدنيا والجسد والشر فهو مسؤول عن هذا الاختيار.

ويصف لنا نانك كيف يجب على الإنسان المسؤول أن يسلك في هذا العالم حتى يتمكن من الركون إلى النقاء بين فواحش العالم. وعند ذلك فليس هناك يقين ثابت ودائم بالإرادة الإنسانية الحرة، فحتى عندما يختار الإنسان الخير والحياة الطيبة فهو في هذا الاختيار يعتمد كلية على المشيئة الإلهية، كما أن العبادة والتفاني في تأدية الطقوس الدينية إن هي إلا وسائل للتقرب من الخالق.

ومن أهم الأفكار التي عالجها نانك أيضًا فكرة الواسطة بين الله والإنسان، فالله لا يتجلى للإنسان مباشرة، كما لا يمكن للإنسان أن يتصل بالله دون عون. ومن ثم ضرورة وجود واسطة بين الله والإنسان. هذه

الواسطة هي غورو أو المعلم. أما بالنسبة لنانك شخصيا فلم يكن له غورو، فبالتالي فإن كلمة غورو فيما يتصل بنانك كانت تعني الله نفسه أو الروح المقدس. ويتضح لنا مدى تأثر نانك بالفكر الهندوسي القديم من حيث اعتماد الإنسان الكلي على معلمه كما يتضح أيضا تأثره بالفكرة الصوفية في العلاقة بين الشيخ والمريد. ويتضح احتمال تأثره بالفكرة الشيعية المتعلقة بالإمام. ولسوف تتطور فكرة غورو وتزداد أهميتها في السيخية فيما بعد عقيدة وشعبا.

وتتصل أبعاد السلوك البشري السليم في كتابات نانك بفكرة الإله الواحد الحق، فإذا كان الله هو الحق وهو الصدق فإن الزيف والكذب نقيضان له، والسلوك غير الصادق لا يؤذي فقط في الآخرين بل هو سلوك لاديني. والسيخي الحق لا يؤمن فقط أن الله واحد منزه وحق بل يسلك كذلك سلوكًا لا يضر بالغير. ذلك أن السلوك الضار والفاسد مثل الكذب والخداع والزنى والاستيلاء على حقوق الغير لا يتفق ولا يتناسب مع الحق الذي هو الله. وقد عبر نانك عن هذا المبدأ في عبارات جابجي (Japjee) التي يعزى إليه وضعها، وهذا المبدأ اعتقاد أساسي في السيخية.

لقد وصلت إلينا تعاليم نانك من خلال كتاب غورو غرانت صاحب الذي اكتمل سنة ١٦٠٤م في عهد المعلم الخامس أدجن ديو (١٥٨٦-١٦٠٦). والكتاب نفسه عبارة عن مختارات من أعمال المعلم نانك وثلاثة من خلفائه، كما يتضمن أيضًا مختارات من أعمال كتبها لا فلاسفة هندوسية ومتصوفة مسلمون وغيرهم. تأخذ كتابات نانك في الكتاب شكل الترانيم

والأقوال، وهي غالبا قصيرة ومختصرة وبالتالي أصبحت سهلة على الذاكرة.

وهذه ملامح عامة مختصرة لحياة نانك وتعاليمه وأفكاره. وقد ثار خلاف لدى الباحثين حول نية نانك بالفعل في تأسيس عقيدة جديدة وهل تعمد نانك بالفعل تأسيس تلك العقيدة أم لا؟ وهناك على كل حال من يؤكد أن نانك عمد بالفعل إلى ذلك وهناك من ينفي. كذلك يبدو أن نانك لم يحاول مزج الهندوسية والإسلام معا، بل كان الشعار آنذك وكما فهمه أتباعه.

ورغم أن نانك لم يصف لمريديه طريقًا مميزًا أو شكلًا محددًا من أشكال العبادة إلا أن تأثير نانك لم يندثر. فقد ظهرت السيخية كعقيدة مميزة واضحة المعالم بعد وقت غير طويل من وفاته.

لقد رفض نانك حياة التقشف والزهد كما رفض الخلافة من بعده لابنه لأنه طائفة صوفية، وربما كان هذا الموقف من مؤسس السيخية من العوامل الرئيسية التي أسهمت في خلق طريقة سيخية مميزة للحياة. كذلك كان اختيار نانك خليفة له من بعده اعتبروه غورو لأتباعه عاملًا مهما سمح بظهور السيخ كجماعة وكيان منفصل من غيره من الكيانات العديدة التي ملأت أرض شبه القارة الهندية. ومن ثم يرى بعض الدارسين السيخ في نانك "أول زعيم شعبي في بنجاب" في إطار الشعار الذي رفعه نانك " لا هندوس ولا مسلمين". لقد كان هذا الشعار – كما يرى البعض – هو الذي ولد الوعي البنجابي والقومية البنجابية.

وهكذا نرى أن غورو نانك لم يكن سوى زعيمًا روحيًا همه الأساسي هداية أتباعه تبعا لما أشاعه بينهم من تعاليم وأفكار. أما الذين كانوا بعده من المعلمين السيخ فقد كانت لهم بجانب مهمة الهداية الروحية مهمة أخرى هي

مهمة التنظيم السياسي والعسكري لأتباعهم حيث تورطوا في السياسة وفي الأوضاع السياسية في وقتهم. إلا أن تلك المهمة السياسية لم تكن في كل الأوقات والظروف على وتيرة واحدة من الظهور والوضوح، فقد كانت تزداد بخلافة غورو لآخر[١].

الخاتمة

وفي نهاية المطاف عن شخصية غورو نانك نصل إلى النتائج الآتية:

١) ولد المرشد نانك ونشأفي جو مضطرب دينيًا واجتماعيًا وثقافيًا فشمر عن ساقه للتقريب بين الهندوسية والإسلام آخذًا من كليهما ما يطيب له من الأفكار والمعتقدات والشعائر ونبذ كل ما يخالفه منهما.

٢) تأثر المرشد نانك بالأفكار والتعاليم الإسلامية كما تأثر بالأفكار الهندية الدينية والثقافية السائدة آنذك حيث اقتبس في فلسفته ومصطلحاته من الإسلام والهندوسية بيد أن تأثره بالأفكار الإسلامية كان أكثر ويتجلى ذلك من خلال تحليل أفكاره.

٣) إن نانك أخذت معظم أفكاره في العقيدة من الأفكار الإسلام حيث نرى في العقائد السيخية التناسق التام مع العقائد الإسلامية، إلا أنها تخالف الإسلام في عقيدتها في التناسخ والكارما المأخوذتين من الأفكار الهندوسية.

---

[١] الدكتور خليل عبد الحميد عبد العال: تاريخ السيخ الديني والسياسي من القرن الخامس عشر إلى القرن التاسع عشر ، جامعة الإسكندرية، ص: ٤٠- ٤٤.

٤) دعا نانك إلى القيم والفضائل التي تدنو كثيرا مما دعا إليه الإسلام كما اقتبس أفكار المصلحين الهندوس مثل كبير وراماننداوشنكرا ورامانجا.

٥) ثار على الكثير من المفاهيم الاجتماعية الهندوسية، فرفض نظام الطبقات الهندوسية التي تميز بين الناس بالولادة وتحقر طائفة من المجتمع وتجعلهم عبيدًا للطبقات العليا، الأمر الذي أدى كثيرًا من الهندوس من الطبقات الدنيا للإقبال على الديانة السيخية.

٦) لم يدّع إقامة ديانة جديدة علنًا بل كان جل اهتمامه في التوحيد والألوهية والقضاء على النظام الطبقي السائد في المجتمع الذي نشأ فيه والدعوة إلى المساواة بين بني البشر.

٧) إن الحركة التي أقامها نانك لم تبق بعد موته على حالتها الأولى، فإن كلامه كان مليئًا بالأخلاق الفاضلة كما كان يميل إلى الصوفية المسلمين، غير أن المعلمين المتأخرين غيّروا أوضاع الحركة الدينية إلى حركة عسكرية وازداد البعد بينهم وبين المسلمين شيئًا فشيئًا.

المصادر والمراجع:

١) عبد العال، د. خليل عبد الحميد: تاريخ السيخ الديني والسياسي من القرن الخامس عشر إلى القرن التاسع عشر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

٢) خورشيد، أحمد إبراهيم زكي وعبد الحميد: دائرة المعارف الإسلامية باللغة العربية، تيونس، بيروت، د.ت.

٣) عماد الحسن: الأديان الكبرى العالمية، بيروت، د.ت.

٤) غيان سيغ كياني: تاريخ غورو خالصة، مطبعة وزير هند أمرتسار، الهند، د ت.

٥) الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس: الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠.

6) Khushwant Singh: A History of the Sikhs, 2 Volumes, Oxford University Press, New Delhi, India, 2010.

7) Dilgeer, Dr. Harjinder Singh: Dictionary of Sikh Philosophy, Sikh University Press, India, 2005.

8) Cole: William Owen &Piar Singh: The Sikhs Their Beliefs and Practices, Vikas Publishing House, New Delhi, India, 1980.

9) Macauliffe, Max Arther: The Sikh Religion Its Gurus Sacred Writings and Authors, Six Volumes, The Clarendon Press, England, 1909.

10) Banerjee, Anil Chandra: Guru Nanak and His Times, Punjabi University Publishing Bureau, Patiala, India, 2000.

11) Banerjee, Indubhushan: Evolution of Khalsa, University of Culcutta, India, 1936.

12) Trilochan Singh: Guru Nanak Founder of Sikhism, United India Press, New Delhi, India, 1969.

13) Ganda Singh: The Panjab Past and Present, Punjabi University, Patiala, India.

14) Dr. Gopal Singh: A History of the Sikh People, World Sikh Unifersity Press, New Delhi, 1979.

15) Dr. Ganda Singh: A Brief Account of the Sikh, Orient Longman, Mumbai, India, 1950.

***

مختارات من شعر كيرالا المعاصر

اختارها وترجمها:
د. شهاب غانم*

تلوث دم

حملق فيهم
من دون فهم
متشبثا بهيكل السرير بقوة
وانزلق تحت البطانية السميكة؛
كان المريض قد صرف
بعد أن شفي تماما.
إنه الآن سليم
بل هو الصحة بعينها
وكان المشرف قد أمره بالانصراف؛
وكان طبيب الجناح قد ترجاه بجد

* د. شهاب غانم شاعر ومترجم للشعر من الإمارات له ٥٥ كتابا منها خمسة خالصة لترجمة الشعر الهندي وهو حاصل على عدد من الجوائز الثقافية منها جائزة طاغور للسلام، كالكتا عام ٢٠١٢ ، وجائزة جمعية الشعر العالمية عبر القارات، تشيناي ٢٠١٣ ، كما كرم عام ٢٠١٠ في أكاديمية الآداب بتشور في كيرلا. وهو حاصل على جائزة شخصية العام الثقافية في الإمارات ٢٠١٣

والممرضات أيضا حاولن
واستعملن الحيل لإقناعه؛
عرضن عليه قيمة تذكرة الباص
ولكنه رفض الرحيل.
حملق فيهم جميعا
من دون فهم.
وقلقت زوجته وقالت:
"أنت الآن بخير
لقد حان الذهاب
أرجوك أن تعود معي إلى البيت"
ولكنه أغلق مسامعه
وحملق كالأصم.
وحاول أصدقاؤه
ثم حاول جيرانه أيضا
ولكنه ظل صلبا وعنيدا
فقط ظل يحملق فيهم
من دون فهم.
وانتشر الخبر من سرير إلى سرير
ومن عنبر إلى عنبر
وكل أرجاء المستشفى.
المرضى والموظفون هرعوا إلى عنبره

ليشاهدوا هذا الرجل العجيب
الذي رغم صرفه
يأبى أن يغادر سريره.
أهله وأقاربه ومحبوه
محتارون ومرتبكون
ولا يعرفون
كيف يجعلون هذا الرجل العجيب يغادر.
واحد من الحشد ضحك
وسُمع صوت يقول:
"سوف يفلت قبضته عن السرير
وسوف يمد يده بكوبه
عندما يوزعون الطعام اليومي
وسوف يسكت ربع جوعه الشديد.
ما أغرب أن يكون هو وحده بين الجميع
قد تغير هكذا،
ياللمسكين!
رجل واسع العلم عميق الثقافة ومستنير
ومحترم من قِبَل كل الناس
ولكن لماذا لا يلام
على التمسك بسريره في المستشفى؟
أليست هذه طريقة الديمقراطية

بعدما يصلون إلى كراسي السلطة
فقادتنا ليس لهم سوى همّ واحد:
أن يستمروا على عروشهم الذهبية
فعلى الرغم من عظمتهم وحكمتهم وذكائهم
فإنهم يبيعون شرفهم للاحتفاظ بمراكزهم
ويستخدمون لأجل ذلك
كل الوسائل المشينة دونما خجل
الخيانة والخداع، والنذالات السوداء.
ومع ذلك، فمن الغريب أن هذا الرجل من بين الجميع
يتغير هكذا ويتصرف بهذا الشكل
ودعني أستطرد قليلا
وأقول لكم شيئا
ليس وثيق الصلة بموضوعنا
ولا يتعلق به
فعلى كل حال، الشعراء،
حتى الشعراء يجب أن يعرفوا
ما يدور حولهم
في الحياة في البلاد.
رفاهية المجتمع
هي شعار الحكومة
ولأجل ذلك، مؤخرا،

صرفت الأموال
بالملايين والملايين
كالماء، كما يقولون
وبحماس رسمي وأبهة حكومية:
أسبوع "التبرع بالدم".
وبمراعاة دقيقة
وضعوا أمام وزارة الصحة
سرادقا مناسبا للغرض.
وجاء رجال الوزير بالآلاف
وساروا في موكب خلال شوارع المدينة الرئيسية
والوزير، على الرغم من برنامج عمله الحافل،
نزل بنفسه ليتبرع بدمه –
"آه ايتها الدعاية! اسمك هو الخدمة،
التضحية المجيدة في خدمة النفس".
الوزير الموقر
فعلا مدد نفسه،
باحتفالية على سرير المستوصف
بعين مثبتة على القوارير المعقمة
والعين الأخرى مثبتة على احتمالات نجاح حملته الدعائية.
وسحب الطبيب الدم، دم الوزير
دم الديمقراطية "الأزرق" الطازج

وكاميرات رجال الصحافة
طقطقت بالمئات
في آن واح كالأوركسترا المفتعلة.
والمضطهدون والكبراء معا
صفقوا لهذه التضحية العظيمة.
وعشرة من الفقراء المعوزين
من الجائعين وأنصاف الجائعين من أبناء هذه الأرض
كرروا فعل الوزير النبيل
وباعوا دمهم،
.. لم يكن هناك الكثير الذي يمكن الاستغناء عنه ..
وذلك لكي يتمكنوا من شراء وجبة متواضعة رخيصة،
ربما الأولى خلال أيام.

وأعجب العجب
أن رجلا مثله
بتلك الثقافة والحكمة
يمكن أن يتصرف بذلك الشكل.
بعض أصحاب العقول الفضولية بدؤوا البحث
وفحصوا القوارير واكتشفوا الحقيقة..
المحزن في الأمر، آه، المحزن في الأمر!
لقد دخل دم الوزير في عروقه.

وتشبث بقوة
بسرير المستشفى
وانزلق تحت البطانية السميكة
وأغلق آذانه دون صوت العقل، ونطق بالهراء.
لقد كان يعاني من مرض جديد:
"بلاء الوزارة".
لقد أمر المشرف،
وحاول الأطباء،
وترجت الممرضات،
ولكنه فقط حملق، أصما،
من دون فهم.
فعلى الرغم من صرفه، إلا أن المريض لن يذهب

شيمانام تشاكو (ولد عام ١٩٢٦)

ناني

"ناني" الخادمة الحامل
شنقت نفسها في أحد الأيام في المرحاض،
وظلت معلقة هناك، كدمية شوهاء، ثلاث ساعات طوال
إلى أن حضرت الشرطة.
وعندما كانت الريح تهب فتديرها برفق في حبلها
كان يتراءى لنا، نحن الذين كنا أطفالاً يومئذ،

أن "ناني" كانت تقوم برقصة مضحكة لتسليتنا.
نمت الأعشاب بسرعة، وقبل نهاية الصيف
كانت الأزهار الصفراء تعانق المدخل والحيطان،
وأصبح المرحاض المهجور كأنه مذبح في معبد
أو ضريح لقديسة ميتة.
بعد عام أو عامين سألت جدتي ذات يوم
هل تذكرين "ناني" الممتلئة الداكنة
التي كانت تغسلني بجانب البئر؟
حركت جدتي نظارة القراءة على أنفها
وحملقت في وجهي وسألت : "ناني"... من هي؟
وبهذا السؤال انتهت "ناني".
كل الحقائق تنتهي هكذا بسؤال.
إن هذا الصمم المتعمد يحوّل الموت إلى خلود
كل الحقائق تنتهي هكذا بسؤال.
إن هذا الصمم المتعمد يحوّل الموت إلى خلود
والشيء الأكيد إلى رخو غير أكيد.
إنهم محظوظون أولئك الذين يسألون أسئلة
ثم يمضون قبل مجيء الإجابة
أولئك الحكماء الذين يحيون في منطقة صامتة زرقاء
لا تخامر أذهانهم الشكوك
لأنهم يمتلكون ذلك السلام المتخثر

المنطمر في الحياة
كاللحن في بيضة الوقواق،
كالشهوة في الدم.

من قصيدة: تقديم

إنني لا أ فقه شيئا في السياسة ,
لكنني أعرف أسماء الذين يجلسون على كراسي السلطة
وأستطيع أن أكرر أسماءهم مثل أيام الأسبوع وأسماء الشهور,
ابتداء بنهرو.
إنني هندية شديدة السمرة مولودة في ملبار
أتحدث ثلاث لغات
وأكتب باثنتين
وأحلم في واحدة .
قالوا لي لا تكتبي بالإنجليزية
فالإنجليزية ليست لغة الأم .
لماذا لا تتركونني وشأني أيها النقاد و الأصدقاء والزوار والأقارب
كلكم جميعا؟
لماذا لا تدعونني أتكلم بأية لغة أريد؟
اللغة التي استخدمها تصبح لغتي
بكل تشوهاتها وغراباتها
كلها ملكي وحدي .
هي نصف إنجليزية ونصف هندية

ربما مضحكة ، ولكنها صادقة
إن فيها من الآدمية مثل ما في شخصي
ألا ترون ذلك ؟
إنها تعبر عن أفراحي وأشواقي و آمالي
وهي تخدمني كما يخدم النعيب الغربان والزئير الاسود
إنها لغة بشرية
لغة الذهن الذي ليس هنا وليس هناك
الذهن الذي يرى ويسمع ويدرك
وليس الكلام الأصم الأعمى الصادر عن الأشجار في الزوابع
أو سحب الرياح الموسمية والأمطار
أو التمتمات غير المفهومة لنار الجنازة المشتعلة . . .

يا من ليس له حدود

يا أيها الذي ليس له حدود
يارب ..يا الله... يا معبود
فلا قشور الدين أو أصدافه قيود
إذ أنت غاية الغايات في الوجود
وهكذا أسعى إلى ضيائك المديد
وظلك الظليل والممدود
كيما أنا للسعادة والصفاء
وأغمض العينين في المنام في هناء ...
***

تمحو حدود الأرض والأبعاد ..
فلا تحدّك الديار... والجبال ...والمهاد،
لكنني أحويك في قرارة الفؤاد !
فهل فؤاد المرء عالم بلا حدود؟
صميم ما يظل شاسعًا بلا انتهاء
يارب.. يا من أنت وحدك المعبود .

كمالا ثريا (١٩٣٤- ٢٠٠٩)

مطر الليل

مطر الليل،
مثلا امرأة شابة مجنونة
تبكي تضحك وتئن،
بدون سبب
وتغمغم دون توقف،
وتجلس جاثمة محتشدة
قاذفة شعرها الطويل.

مطر الليل،
ابنة الظلام الداكن الكئيبة
التي تنزلق ببطء مثل عويل طويل
إلى داخل هذا المستشفى،

ممددة إصبعهاالباردة
من خلال النافذة
ولامسة لي.

مطر الليل،
عندما تهزني الآهات والقشعريرة
والأصوات الحادة
والصراخ المفاجئ لأم تتعذب،
فأضع يديّ على أذنيّ
وأنتحب، وأتقلقل على سريرمرضي
فتأتي أنت مثل شخص عزيز
يقبل من خلال العتمة بكلمات مواسية.
قال شخص ما،
يمكن استئصال الجزء المعطوب
لكنما الذي يمكن عمله مع القلب المسكين
الأكثر اعتلالاً في الأعماق؟
مطر الليل،
الشاهدعلى حبي،
الذي كان يهدهدني حتى النوم
فيتلك الليالياالمباركةمنذ زمن بعيد،
وكان يهبني من الفرح أكثر من ضوء القمرالأبيض
الأمر الذي كان يهزني فرحاً

وضحكا.
مطر الليل،

الشاهد الآن على حزني
وأنا أتلوى من الألم وحيدة على سرير مرضي

في حرارة شديدة
في ساعات الليل الطويلة المسهدة،

ناسية حتى أن أبكي
ومتجمدة مثل صخرة.

دعني أقول لك،
يا مطر الليل،
إنني أعرف موسيقاك، الرقيقة و الحزينة،
شفقتك وغضبك المكبوت،
مجيئك في الليل،
نحيبك وبكاءك في وحدتك؛
وعند الفجر،
مسحك وجهك، وتصنّع ابتسامة،
وتعجلك والتظاهر بأمر ما:

كيف لي أن أعرف كل هذا؟
يا صديقي، أنا أيضا مثلك
مثلك، مطر في الليل.

ماذا صنعتم بعالمي؟

أمّ من الطير تنحدر من السماء على عجل
حاملة غذاء لصغارها
ولكنها تصدم بألم
وتحلق في دوائر في جنون
وصراخها يمكن أن يترجم
بلغة الإنسان بما معناه كما أظن:
"ماذا صنعتم بعالمي؟"

قلبي أيضا يذوب مع قلبها
وأدور على غير هدى مثلها
أين ولّى عشها، أين،
حيث كانت صغارها تنتظر بمناقير مفتوحة؟
وأين ولّت تلك الشجرة التي كانت تأوي العش؟
وأين الغابة التي كانت فيها الشجرة
حيث كانت تمد أغصانها الزمردية في سعادة؟

أنا أيضا أدور نادبة مع ذلك الطير.

لم يعد هناك شيء واقفا
سوى أجذال الأشجار النازفة ببقايا النسغ
وأشعة الشمس الحارقة تنصب عليها
وحرارة اللعنة الرهيبة للغابة التي قضت في ألم.

أسأل بصوت مرتفع: ما ثمن موت غابة في ألم؟
ما ثمن موت شجرة؟
إن الطبعة تجري حساباتها.
ما ثمن صرخة يائسة لطائر؟
الطبيعة تجري حساباتها
الطبيعة تعد وتحسب.

شجاثا كماري (ولدت عام ١٩٣٤)

ماذا

عند عودتي من الشمال
التقيت في القطار رجلا من جوجرات
ذاهبا إلى كوتشي للتجارة سألني: "ماسم جنابكم؟"

أجبت: "راماكريشنان"

ردد: "راماكريشنان! راماكريشنان! رام، رام!"

واقترب مني.

من الواضح أنه سرّ باسمي.

سألني: "هل أنت غير نباتي؟"

أجبت: "لست متأكدا..

وماذا عنك؟ هل أنت كذلك؟"

أجاب بفخر ظاهر: "نحن الفيشنافايتيين نباتيون تماما"

وكان ردي فوريا:

"كيف إذن قام بعضكم يا أكلة الأعشاب

ببقر بطن امرأة حبلى

والتهم الطفل الذي كان داخلها؟

والمرأة أيضا؟!"

... استحال إلى وحش دميم الشكل

وأظهر أنيابه

ولوى حاجبه

في شكل قوس ضخم معدٍّ للرمي

ودمدم: "ماذا؟"..

كاداماتيتا راماكريشنان (١٩٣٥-٢٠٠٨)

أين الوجه

أسأل مندهشا : ولكن أين الوجه
ويجلس صديقي في صمت كالحكماء.
في اللوحة التي رسمها للكرنفال الكبير
توجد أعلام وأفيال و شمسيات
وحشود من الناس في ثياب زاهية الالوان
ولكن جميعهم من دون وجوه!
هل هذا الشخص معتوه تماما او فيلسوف عظيم؟

وفي المساء بينما أنا واقف
أتروح في مأواي القديم قرب البوابة
إذ بموكب ضخم يمر بالقرب مني
بعضهم كانوا يلبسون البناطيل او السراويل
وبعضهم كانوا يلبسون القلنسوات أو أغطية الرأس
دقيقتان لكل خطوة
وقادتهم يهمسون بعضهم لبعض
"أين وجهك؟" .. "آه! أين وجهك؟"

وبينما تنزلق الأرض عميقا في روحي
مشحونة بينابيع الرحمة

لحشود من الأنام تكافح كالحشرات
في زيت مصباح حار
أرفع منديلي بسرعة لأمسح وجهي
ولكنه لا يلامس شيئا: ماذا ! فراغ ؟!
أندفع الى غرفتي مروعا ومنذهلا
وألقي نظرة واحدة في المرآة على الحائط وأنا أرتجف:
ما فوق الياقة
ياالله!
أنا أيضا ليس لي وجه على الاطلاق.

فشنو نارايان نامبردوري (ولد عام ١٩٣٩)

غاندي والشعر

ذات يوم وصلت قصيدة نحيفة
إلى غاندي في معتزله
لتلقي نظرة خاطفة على الرجل.
غاندي الذي كان يغزل خيطه
في اتجاه إلهه
لم يعر أي التفات
للقصيدة الواقفة ببابه.
تنحنحت القصيدة
فنظر غاندي إليها شزرا

من خلال نظارته، تلك التي شهدت الأهوال.
سألها: "هل غزلت خيطا يوما ما؟"
هل جررت عربة قمامة يوما ما؟
هل وقفت في أدخنة مطبخ في صباح باكر؟
هل تضورت جوعا في يوم من الأيام؟"

أجابت القصيدة: "لقد ولدت في الغابات
في فم أحد صيّاديها
وقد تربيت على يد أحد صيّادي الأسماك في كوخ،
ومع ذلك لا أعرف أي عمل، فقط أغنّي.
في البداية كنت أغنّي في بلاط الحكام،
عندئذ كنت ممتلئة وجميلة
ولكنني الآن أتسكع في الطرقات
نصف جائعة".
"ذلك أفضل." قال غاندي بابتسامة لها دلالة،
"ولكن يجب أن تتخلصي من عادة الكلام أحيانا بالسنسكريتية.
اذهبي إلى الحقول
واستمعي إلى لغة الفلاحين."
تحولت القصيدة إلى حبة من الحبوب
وجثمت منتظرة في الحقول
إلى أن يأتي مزارع

ويقلب التربة البكر
المبللة بالمطر الجديد.

الدهليز

إنني أمشي في هذا الدهليز
منذ وقت طويل
دون أن أصل إلى غرفتي أبدا.
هذا الدهليز هو خط الاستواء
الذي يدور المرء حوله إلى ما لا نهاية
وهو الصحراء الكبرى الحارقة
التي لا يستطيع المرء أن يعبرها سيرا على الأقدام
وهوالقطب الشمالي المتجمد الذي يستعصي على السباحة.
أعرف أن لي غرفة في مكان ما
وصديقا حقيقيا لم أشاهده أبدا
وقصيدة حقيقية لم أكتبها أبدا
في انتظاري هناك.
أسأل المارّين :
" إلى أين يؤدي هذا الدهليز؟ "
إنهم لا يعرفون.
هم أيضا يبحثون عن غرفهم ___
ولكنهم لا يمتلكون المفاتيح

لفتح غرفهم

حتى لو وجدوها.

ك. ساتشيداناندان (ولد عام ١٩٤٦)

في العمق

كم نحن محظوظون

أن هناك جدرانا

وأن للجدران بوابات

وأن للبوابات أقفالا

**

حديقة صغيرة

وزقزقة عصافير

والفناء ينام مثل كلب

وأنا وحدي في الداخل.

**

جمال أسود لثعبان مغر

ينساب نازلاً على ألوان الحديقة

وهو يراقب عزلتي البيتية

بأنياب في فك مغلق

**

كم نحن محظوظون

أن لدينا جدرانا
وأن للجدران أبوابا
وللأبواب مزاليج.
إنني محظوظة حقا
أن يَغلقَ علي هنا في الداخل
الأقاربُ
والأحباب
عندما يذهبون للعمل.
**
وإلا،
دون إضاعة حياتي بهذه الطريقة
في قراءة مجلة "فمينا" النسوية،
وعدِّ أساوري،
ومشاهدة تلفزيون "ستار"،
لكنت عبرت الباب،
والشارع،
والمدينة،
وخرجت
من هذا الحبس الانفرادي
لاستعادة فردوسي
مع الثعبان الأسود.

سانكارا بيلاي (ولد عام ١٩٤٨)

كشف

سهم الصياد يصيب هدفه
في قلبي،
ولكن شِعري ليس له مثل مضائه.
رصاصاته تخترق صدري
ولكن موسيقا ماسورة البندقية
ليس لها رجع في أغنيتي.
تدوس الحوافر على لجمي
ولكن كلماتي لا تمتلك السرعة القاتلة
لخيول الموت.
إنها عظام كتفي التي تسحق
ولكن مثل حَمَلَة أغطية الجنائز
فإن أفكاري لا تعرق. أخلامي تحترق
ولكن قصائدي ليست متوهجة حمراء.
وعندما ينتهي كابوس الذكريات
يشرق الكشف علي..
يوما ما، سيضج الخلق الموجودون في الشاعر
قائلين: لا نريد دوبيتاً للتخدير
ولكن شعراً مرسلاً يقطر دماً
كلمات مبتلة تتخذ جذوراً.

نعم
عندئذ سيتوقف عن التغني بالحب
وسيغني للتغيير
وبدلا من أن يكتب كلمات باكية
سيكتب كلمات محرقة!

بالاشاندران شوليكاد (ولد ١٩٥٨)

***

المقالة عند الدكتور محي الدين الألواي

محمد إقبال الندوي *

لم تكن الكتابة عن الدكتور محي الدين الألواي في مستوى الاهتمام به، فما كتب عنه يعد قليلا بجانب صيته الذائع ومكانته من حيث كونه أكبر أدباء الهند ، فقد كتب عدد من الباحثين عن الدكتور بشكل مقتضب ، وفي صفحات معدودة ، ولكنها ذات قيمة كبيرة على الرغم من أنها لم توفه حقه.

أعتقد أن كل تلك المقالات والكتب التي صدرت لم تتعمق في دراسة فن المقالة عن الدكتور محي الدين الألواي ، وغالبا ما تتناول شيئا عن حياته، ووصفا أو تعليقا على أسلوب الدكتور الألواي وآرائه بشكل مختصر، ويصف الكاتب طريقة الدكتور الآلواي في تناول موضوعاته ومدى بساطتها أو شموليتها.

الدكتور محي الدين الألواي أديب كبير وجد في الصحافة الوعاء الذي يحتضن كل أفكاره وآرائه ، لذا صب الدكتور الألواي عصارة فكره في تلك المقالات التي أرسلها إلى المجلات والصحف العربية ، الدكتور الألواي ليس صحفيا ، ولكنه أديب وجد في مشكلات الأمة الإسلامية والعربية مادة لمقالاته الصحفية ، وكتب لمدة تزيد عن نصف قرن ، وفي جميع المجالات

* الباحث في الدكتوراه بقسم الأدب العربي في جامعة الإنجليزية واللغات الأجنبية بحيدراباد

: السياسية ، والاجتماعية والاقتصادية ، والفنية ، والأدبيـــة ، والتاريخيـــة والدينية وغيرها من المجالات.

تعريف المقالة:

في اللغة المقال مصدر قال يقول قولا وقيلا ومقالة ومقالا ، وقـــد ورد كلمة مقال في آثار اللغة العربية منذ عهد بعيـــد حتـــى العصـــر الحاضـــر، ودارت على ألسنة الكتاب والمفكرين وترددت في أحـــاديثهم ومحـــاوراتهم على امتداد العصور يقول النابغة الذبياني :

مقالة أن قلت سوف أناله وذلك من تلقاء مثلك رائع

وقال كعب بن زهير :

مقالة السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل

وجاء في خطبة الوداع : نضر الله أمرأ سمع مقـــالتي فحفظهـــا ووعاها وأداها فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه [١].

وجاء في معجم لاروس تعريفا للمقال : المقال هو اســـم يطلـــق على الكتابات التي لا يدعي صاحبها التعمق في بحثها أو الإحاطة التامة في معالجتها ذلك أن كلمة مقال محاولة أو خبرة أو تطبيقا مبدئيا أو تجربة أولية وعرفه قاموس أكسفورد فقال : المقال هو إنشاء كتابي معتدل الطـــول فـــي موضوع ما ومن الباحثين من حدد المقالة الأدبية بإنها التي تدرس شخصـــية أو ظاهرة أو اتجاها أو أثرا في الأدب العربي القديم أو الحديث أو في الأدب الأوربي الغابر أو المعاصر. [٢]

---

١) ابن ماجه : سننه ، (بيروت : المكتب الإسلامي ، ١٩٨٦ م) ٤٥

٢) د/ أحمد هيكل ، تطور الأدب الحيث في مصر ص ٤١٦ دار المعارف ١٩٦٨

يقول الأستاذ سيد قطب عن المقالة في كتابه " النقد الأدبي أصوله ومناهجه " المقالة تعبير موح عن تجربة شعورية ، فتعتمد على الكلمة الراقصة والعبارة المنغومة ، ولكنها – قبل كل شيئ – فكرة وموضوع ، فكرة واعية ، وموضوع يعالج قضية ، قضية تجمع وتنسق عناصرها بصورة منطقية استنتاجية ، تؤدي إلى غاية مرسومة من أول الأمر فهي لا تهدف الانفعال الوجداني ، وإنما تحاول الاقتناع الفكري ، لأنها تشرح فكرة ، وتحشد لها الأدلة والأسانيد ، حتى يخرج القارئ منها ممتلئا بفكرة ، لا متأثرا بعاطفة .

والمقال يتناول العديد من الموضوعات في كل المجالات وليس له مجال محدد وإنما يتسع موضوعة لكل ما في العصر من مفاسد اجتماعية وأمراض خلقية ومن ثم يتنوع المقال إلى أدبي وعلمي وسياسي واجتماعي ونقدي وتفسيري وغير ذلك .

بداية المقالة

تنتمي المقالة إلى جنس النثر الأدبي الحديث ، حيث إنه لم يعرف هذا الجنس الأدبي من قبل ، وإن كان بعض الباحثين يردونه إلى عصور سابقة ، فقد ذكر بعض الباحثين الأوروبيين أن بداية المقالة كانت عند اليونان والرومان ، وعند بعض الباحثين العرب أنها موجودة في الأدب العربي القديم ، في الرسائل والمقامات والفصول ، ولكن الحقيقة هي أن هذا النوع من النثر الأدبي جديد كل الجدة ولد بعد ظهور الجرائد والمجلات ، وارتباط المقالة بهما ، ولم يسبق للجنس البشري أن كتب مثل هذا النوع .

وأول من ابتدع هذا النوع من النثر رجل فرنسي يدعى ميشيل دومونتين ، الذي ولد في فرنسا سنة ١٥٣٣ م ، ودرس القانون ، وأصبح بعد ذلك مستشارا في مدينة مونتين ، وتقلب في المناصب ليصبح محافظا لمدينة مونتين في وقت لاحق ، وبعد تقاعده من المناصب الرسمية سنة ١٥٧١ م ، سكن في مزرعة العائلة ، وتفرغ لكتابة خواطره وآرائه ، وكان ذلك في عام ١٥٧٢ م ، تلك الخواطر كانت في مجموعة نثرية أسماها محاولات.

تلك المحاولات كانت البذرة الأولى للمقالة الذاتية ، والتي أصبحت مثالا يحتذى لمن جاء من بعده ، وتلك المحاولات وجدت لها صدى في أوربا ، وانتقلت إلى إنجلترا بالذات ، ووجدت من يقلدها ويكتب خواطره ، ولكن يظهر رجل آخر يرى رأيا مخالفا لمونتين ، ويكتب مقالات أخرى تكوّن نوعا آخر ألا وهو المقالة الموضوعية .

رائد المقالة الموضوعية فرنسيس بيكون ، الذي ولد في لندن سنة ١٥٦١ودرس في كامبرج ، ولكنه لم يستطع الحصول على وظيفة رسمية ، بسبب معارضته في البرلمان لبرنامج الملكة إلزابيث لأولى للضرائب ، لذا عمل في المحاماة ، ولم يستطع الحصول على منصب رسمي إلا بعد وفاة الملكة ، وتنقل في الوظائف إلى أن أصبح النائب العام عام ١٦١٣م .

كان لظهور الصحف والمجلات الأثر الكبير في تطور المقالة ، وخاصة المجلات الأدبية ، ففي سنة ١٧٠٩ م أصدر ريتشارد ستيل (١٦٧٢م – ١٧٢٩م) صحيفة أسماها " الثرثار " خصص نصفها

للأخبار ، والنصف الآخر للمقالات التي كان يكتبها ، ثـم سـاعده صـديقه جوزيف أديسون (١٦٧٢-١٧١٩) حتى توقفها ، ثم أصدرا مجلـة أخـرى بعنوان "المراقب وبهاتين المجلتين تطورت المقالة تطـورا كبيـرا ، مـن حيث المحتوي ، واتجهت ناحية التحليل لمظاهرالحيـاة ، ونقـد المجتمـع ، وكذلك تطور أسلوب الكتابة ، وظهر أسلوب إنشائي جديد[١].

أصبحت المقالة تتمتع بروح أدبية عالية ، وكان اختيارالموضوع مـن مهام الكاتب ، فهو الذي يختـار ويكتـب كيفمـا يشـاء ، وكـان لاتسـاع موضوعات المقالة التي شملت جميع مناحي الحياة الأثر الكبير فـي تطـور المقالة ، وكانت تعتمد على ثقافة الكاتب ، ومـدى معرفتـه بتنـاول تلـك الموضوعات التي شملت الحياة بأسرها ، والصحفيون الأدباء لهم أكبرالأثـر في تطورأسلوب المقالة ، لأنهم يجمعون بـين الصـحافة والأدب ، ومـنهم الشعراء الكتاب .

وكان لظهور المجلات الأدبية الأثـر الأكبـر فـي تطـور المقالـة ، فأصدرت بعض الأحزاب مجلات أدبية ، وشجعت كتاب المقـالات للكتابـة فيها ، لما تتمتع به من سمعة حسنة ، ورصانة فـي طـرح الموضـوعات المختلفة ، كما أن هذه المجلات سايرت التجديد في الحياة ، وتبع الصحفيون ذلك التطور ، لذا كانت المجلات الأدبية خير ما يعتمد عليـه فـي تطـور المقالة الصحفية .

المقالة والصحافة في الأدب العربي

١) د/إبراهيم إمام ، دراسات في الفن الصحفي ، الأنجلوالمصرية ١٩٨٢

ما كان للمقالة أن تتطور في العالم لولا وجود الصحافة ، والصحف بمعناها الحديث أخذها العرب من أوربا ، و كان للأوروبيين الدور الكبير في نقل هذه المهنة إلى الوطن العربي ، وكلما تطورت الصحف في أوربا انعكس ذلك على وطننا العربي، فمتى بدأت الصحافة في أوربا ؟ وكيف تطورت هناك؟

يرجع بزوغ فجر الصحافة في الوطن العربي إلى دخول الحملة الفرنسية مصر سنة ١٧٩٨م ، إذ جلب نابليون بونابرت مطبعة تطبع الأوامر والإعلانات وأخبار الحملة الفرنسية ضمن صحيفتين أسسهما بونابرت ، إحداهما فرنسية ، وأخراهما عربية باسم " التنبيه " ولكن تلك الصحف توقفت بعد رحيل الفرنسيين ، ولم تعد الصحافة في مصر إلا في عهد محمد على سنة ١٨٢٨م حين أصدر صحيفة " الوقائع المصرية " بعد إنشاء مطبعة بولاق سنة ١٨٢١م [١].

تعلم العرب فن الطباعة ، وأصدر أحدهم أول صحيفة عربية ، وهو رزق الله الحلبي وهي جريدة " مرآة الأحوال " سنة ١٨٥٥م ، ثم تلاه خليل الخوري اللبناني الذي أصدر " حديقة الأخبار " سنة ١٨٥٨م في بيروت ، ولكن الجرائد العربية كانت في مستوى متدن حتى صدرت جريدة " الجوائب " سية ١٨٦١م ، لصاحبها أحمد فارس الشدياق ، فقد بلغت مبلغا كبيرا من الرقي والانتشار ، وكانت أعظم الصحف العربية ثم توالى بعد ذلك إنشاء الجرائد والمجلات العربية ، وخاصة مجلة " روضة المدارس " التي أنشأها على مبارك سنة ١٨٧٠م .

١) محمد يوسف نجم ، فن المقالة ص ٦٥ بيروب دار الثقافة . ط ٥ ، ١٩٨٨

قيض الله للصحافة العربية الأدباء والكتـــاب العـــرب لكتابـــة مقـــالات صحفية في الجرائد العربية ، وكانت السبب في تطورها وازدهارها ، ومـــن هؤلاء أحمد فارس الشدياق ، ورفاعة الطهطاوي ، واســـماعيل الخشـــاب ، والشيخ حسن العطار ، وبطرس البستاني ، وعلي مبارك ، وعبد الله النديم ، وإبراهيم البازجي وغيرهم من الأدباء والكتـــاب الـــذين أثـــروا الصـــحف بالمقالات الصحفية في شتى العلوم والفنون والآداب.

الدكتور الألواي في غمار الصحافة

إذا كانت صحافة الخمسينات من القرن العشرين ، تشهد تطورا ملحوظا ، فتنتقل من كونها صحافة شهرية إلى صحافة أسبوعية ، ومن مقالات بسيطة تعكس وجهة نظر ساذجة ومتقطعة ، إلى صحافة ذات رأي وأسلوب رصين ، فتصبح الأساس المتين لصحافة الاستقلال ، وهذا التطور يأتي من حرية محدودة تمتعت بها .

الأستاذ الدكتور الألواي بدا حاضرا لذلك التطور الكبير في الصحافة المصرية ، فقد أعد نفسه وهيأها بالقراءة الدائمة المستنيرة ، بما حباه الله من قدرة على التحليل المرضوعي ، والنقد البناء ، والتفاعل السريع مع الأحداث ، فبدأ كتابة الاجتماعية ، والأدبية واللغوية ، والسياسة ، بشكل شبه دائم ، ولم ينقطع عن الكتابة منذ كتابته في صوت الهند في الخمسينات حتى قبيل وفاته بقليل ، فكان مجلة الأزهر ، والرسالة ، ومنبر الأسلام ، وثقافة الهند ، والمدينة ، ومجلة الجامعة الإسلامية ومجلة الدعوة ، ومنار الإسلام، ومجلة البعث الإسلامي ، ومجلة الدعوة ونور الإسلام ومجلة الشبان

المسلمون وغيرها من المجلات العربية تشهد للدكتور محي الدين الألواي رحمه الله مساهمته الكثيرة في نشاطاتها ومقالاتها ، وأصبح الأستاذ الدكتور محي الدين الألواي معروفا في الأوساط الصحفية والأدبية .

احتل الاستاذ الألواي مكانة في عالم الصحافة منذ الخمسينات من القرن العشرين فكان كغيره من أصحاب المقالات ، يكتب هنا وهناك مقالات متفرقة ــ ولكن في صحافة الستينات والسبعينات كانت له مكانة مميزة ، إذ إن تلك الصحف والمجلات كونت الخلفية الجيدة لصحافة الستينات ، وكان للدكتور مقالات متعددة في مجلات وصحف تلك الفترة . وكان له عموده الأسبوعي ، أو عمودان في الأسبوع في الصحافة اليومية " المدينة " قد تناول فيها القضايا الإسلامية بشكل دائم ، أما الصحافة الأسبوعية والشهرية فلم يكن له مقالات بشكل دائم وإنما مقالات متفرقة كلما سنحت الفرصة لمراسلة مجلة أو جريدة ، أسبوعية كانت أو شهرية .

عرف العرب الأستاذ الدكتور الألواي من خلال الصحافة ، فراسل كثيرا من المجلات والصحف العربية ، في مصر وسوريا ، ولبنان والمملكة العربية السعودية ودولة قطر والهند وطبعا صحافة الخليج العربي ، فشهرته الأولى انطلقت من مصر في الستينات ثم جاءت مراسلاته لمجلة الرسالة ، التي أصدرها أحمد حسن الزيات ، وغيرها من المجلات العربية ، فشعر قراء مقالات الدكتنور محي الدين الألواي بنبوغ هذا الرجل ، وإحاطته بالموضوع الذي يتحدث فيه ، وإلمامه بجوانب من المعرفة ، وحفظه مجموعة كبيرة من الأشعار ، والآيات يجمل بها مقالاته ، فتبدو كأنها قد

لبست خلاخيل أو جواهر وعقودا ، لذا نرى الصحفيين العرب والأدباء يحتفون بهذا الرجل ويقدرونه ، ويدعونه للكتابة في مجلاتهم وصحفهم .

نعم لقد كان الأستاذ الدكتور محي الدين الألواي كذلك ، فلقد شغل بكتاباته ومقالاته الساحة العربية والخليجية لمدة تزيد عن نصف قرن ، كان مثالا للكاتب الملتزم بهموم أمته ، يدعو إلى الحرية والأمن ، ويعالج ويحلل الأحداث التي تمر بها الأمة الإسلامية والوطن العربي ، وله آراء نقدية ذات قيمة كبيرة يقدرها المسؤولون ، لذا نجدهم يسارعون إلى الاستجابة والرد على كتابته .

كتب الأستاذ الألواي في معظم المجلات والجرائد الخليجية والمصرية منها مجلة الأزهم والرسالة وثقافة الهند والمدينة ، ومنار الإسلام ونور الإسلام من أبو ظبي ومجلة الجامعة الإسلامية من الجامعة الإسلامية بمدينة المنورة، ومجلة الشبان المسلمون وغيرها كما أن الألواي راسل كثيرا من المجلات والجرائد العربية ، كالشرق الأوسط ، والأهرام الأدبي ومجلة المجلة وغيرها من المجلات العربية .

لا يخفى أن الأستاذ الألواي قد ارتبط بكثير من الأدباء والمفكرين العرب، كالدكتور طه حسين ، والأستاذ عباس محمود العقاد ، والأستاذ محمود شاكر، والأستاذ حمد الجاسر ,والأستاذ سيد قطب والأستاذ محمد قطب والأستاذ نجيب محفوظ والأستاذ علي طنطاوي والأستاذ أبو الحسن علي الندوي وغيرهم كثير .

أنواع المقالة عند الدكتور محي الدين الألواي

وإذا كان الصحفي متابعا ذكيا للأحداث اليومية في العالم فإن الأستاذ الألواي يعشق المتابعة اليومية للأحداث، من خلال الإذاعة أو التلفاز، أو الجرائد والمجلات العربية لذا كانت مقالاته الصحفية انعكاسا لتلك المتابعات اليومية، ولا عجب أن نراه يكتب حوالي مئة مقالة سنويا في شتى مناحي الحياة، فإذا استعرضنا موضوعات المقالة عنده فإننا لا نستطيع تصنيفها بحسب التصنيفات المعروفة للمقالة الصحفية ، لأن الأستاذ الألواي قد كتب في كل شيئ تقريبا فهو يمدح أحيانا، ويهجو تارة، ويرثي، ويصف، ويؤبن، ويوجه، وينصح، وينادي برفع الظلم، ويعّري المنافقين، وغير ذلك كثير.

لم يكن الأستاذ الألواي يفكر في التصنيفات المختلفة للمقالات بقدر اهتمامه بإبراز موضوعات الكتابة ، فهموم الأمة الإسلامية ، وهموم الوطن العربي تشغله عن التفكير في أي شيئ آخر ، ولتأت المقالة بأي نوع وبأي شكل .

١- المقالة الاجتماعية

هذا النوع من المقالات أكثر شيوعا من غيره ، وخاصة في مجتمعنا الإسلامي حيث تسود الخرافات ، والعادات السيئة ، والبدع الخبيثة ، والجن ، والزار ، وإذا كان الأستاذ الألواي كاتبا صحفيا فإن المقالة الاجتماعية تأتي على رأس المقالات التي يكتبها ، وربما تصل إلى نصف ما يكتب من مقالات، لإنه قد وطن نفسه على محاربة الجهل والمرض والفقر ، وما يتبع

ذلك من مشكلات اجتماعية ، فسنقتصر على بعض منها ، ففي مقالة له بعنوان " المنهج الإسلامي في تربية الشباب " إن من أهم العوامل في تكوين شخصية الشباب في نظر الإسلام " تقوية الطاقة الروحية والشجاعة الأدبية فيه وأما التدين فأساسه الإيمان بخالق الكون وقضائه وقدره والإيمان بالآخرة والحياة الأخرى فإن هذه التربية تربي فيه الاعتماد في الشدائد على الله سبحانه وتعالى[١] .

٢ - المقالة التاريخية

يقول الدكتور محمديوسف نجم بأن المقالة التاريخية " تعتمد على جمع الروايات والأخبار والحقائق ، وتمحيصها وتنسيقها وتفسيرها وعرضها ، وللكاتب أن يتجه في كتابتها اتجاها موضوعيا صرفا ، تتوارى شخصيته "[٢] ولكن لا شك أنه يتدخل رأي الكاتب في تفسير النصوص واستخراج النتائج والأستاذ محي الدين الألواي كتب المقالة التاريخية ، ففي مقالة له بعنوان " روابط تاريخية والثقافية بين العرب والهند " كتب " إن الصلات التاريخية والثقافية بين القارة الهندية والبلاد العربية لترجع إلى عهود بالغة في القدم ثم تطورت تلك الروابط حسب تقلبات الزمن . يستدل الدكتور الألواي بقول العلامة الإمام الشهرستاني المتوفي سنة ٥٤٨ – ١١٥٣م في كتابه (الملل والنحل) في معرض تقسيم أهل العالم : منهم من قسمه بحسب الأمم كبار الأمم أربعة العرب والعجم والروم والهند ثم زاوج بين أمة وأمة فذكر أن العرب والهند يتقاربان على مذهب واحد .

---

١) مجلة الأزهر ١٩٧٩

٢) محمد يوسف نجم ، فن المقالة ص ٦٥ بيروت : دار الثقافة ط ٥ ١٩٧٧ م

ويقول المؤرخون أن أول أسطول مسلم ظهر في الحياة الهندية سنة ٩٣٩ ميلادية أيام الخليفة عمربن الخطاب رضي الله عنه . وأول بقعة أشرقت بنور الإسلام من البلاد الهندية هي ولاية مليبار في جنوب الهند الغربي المواجهة لبحر العرب ، ومما هو جدير بالذكر أن الصوفيين والزهاد كان لهم نصيب وافر في نشر الإسلام في تلك البلاد وإليهم يرجع الفضل الأكبر في هذا الباب بعد التجار والملاحين . وفي آخر هذه المقالة قد سرد تاريخ الاستغلال الاستعماي الإنجليزي في الهند يكتب " وبعد أن عاشت القارة الهندية قرنا تحت نير الاستعمار الغاشم وعرفت ذله وهوانه وقاست لذعات المجاعة والامتهان .

٣ – مقالة السيرة

علاقة الأستاذ الدكتور محي الدين الألواي برجال الدين والعلم والدعوة علاقة وطيدة خاصة مع بعض الرجال الأفذاذ في تاريخ النهضة الحديثة وفي تاريخ الهند منهم جمال الدين الأفغاني كتب عنه الألواي في مقالة بعنوان " جمال الدين الأفغاني رائد النهضة الحديثة في الشرق الإسلامي " كما كتب الدكتور سيرة أعلام الهند كصديق حسن خان كتب الأستاذ في مقالة بعنوان " من أعلام الدعوة الإسلامية في الهند صديق حسن خان " [١].

٤ – المقالة التأملية

هذه المقالة تعتمد على تأمل الكاتب للمشكلات التي تعصف بالحياة ، ويكون الكاتب جزءا منها فيحاول تلك المشكلات ، وطرح الحلول لها ، ومجال هذه المقالة كل الوجود الإنساني ، بما في ذلك الصراعات بين البشر

---

١) " المدينة ١٩٨٠

، والأستاذ الدكتور محي الدين الألواي خاض غمار هذا النوع من المقالة ، بل كتب العديد من المقالات في هذا المجال ، وإذا أردنا أن نتناول بعض هذه المقالات فإنه يطول بنا المقام

٥ - مقالة العلوم الاجتماعية

هذا نوع من المقالة معروف ومشهور ، ومعظم الكتاب يكتبون فيه ، لأن هذا النوع فيه السياسة والاقتصاد ، والاجتماع ، ويعتمد الكاتب في إثراء هذا الموضوع على الحقائق من إحصاءات ، ومقارنات ، وتحليل المعلومات ، والخروج بالنتائج ، فالأسلوب واضح رصين لا لبس فيه وليس فيه حشو أو ألفاظ غريبة ، وعلى الرغم من استعمال الكاتب للمصطلحات العلمية ، فإن رأي الكتاتب يدخل في المقالة عن طريق التحليل والتعليل والنقد ، وفالمقالة في هذا النوع تظهر مقدرة الكاتب بإقناع القارئ في الحجج التي يوردها في مقالته.

والأستاذ الدكتور الألواي خاض هذا النوع من المقالة ، بل ربما أغلب مقالاته تندرج تحت هذا النوع ، فكتب في السياسة ، والاقتصاد ، والاجتماع حتى عد أحد فرسان هذا النوع ، إن لم يكن قائدهم الأول .

٦ - المقالة الفلسفية

درس الأستاذ الألواي الفلسفة العربية القديمة والفلسفة الهندية القديمة ، كما قرأ كثيرا من الكتب الفلسفية ، لذا أراه أهلا في هذا المجال ، أو الرد على المفكرين والفلاسفة بما حباه الله من عقل راجح وذاكرة قوية ، ونظرة مستقبلية لكثير من الأمور ، فإذا رد كان رده شافيا ، ورأيه ثاقبا ، وإذا نقل آراء الفلاسفة فإنه كان أمينا عارفا بالاتجاهات والتيارات الفلسفية ، ففي

مقال له بعنوان " حضـــارتان متكاملتـــان : الهنديـــة والعربيـــة التصـــوف والفلسفات الهندية " كتب " عرف العالم حضارات ثلاث من أقدم حضـــارات الدنيا وأبقاها على الأيام بما تركته من تراث باهر ملموس وهـــي حضـــارة الهند ، واتصلت هذه الحضارات الثلاث واشتركت في كثير مـــن المبـــادئ والمظاهر ثم يقول : إن أثر التصوف الإسلامي في الهند كان أثرا اختياريـــا غير مباشر في مراحله الأولى ، وكان بعض الفلاسفة الهنود ، مثل شـــانكار ورامانوجا في جنوب الهند يسايرون في تأملاتهم وتعاليمهم الفلســـفية نظـــام الصوفية فإن حركة " البهاكتي " المبنية على الفلسفة الهندية تشـــتمل علـــى أمثلة عديدة من سلطان التصوف الإسلامي ومنها التمسك الشديد بالوحدانيـــة والتعبد الانفعالي وعدم الاهتمام بالطقوس الظاهرية ونظام المرشد والمريد[١].

المقالة الاقتصادية

كل المقالات التي تتحدث عن الاقتصاد ، سواء المال ، أو التجارة ، أو ما شابه ذلك ، يقوم االكاتب بتحليل كل شأن اقتصادي وشرح أسسه ، ويهتم به الجمهور ، ولا تغيب الأرقام غالبا عن هذه المقالة ، وتعزز وجهة نظـــر الكاتب ، والمكان الأمثل لمثل هذه المقالة هو المجلات الاقتصادية ولكن قد تقوم الجرائد اليومية بنشر المقالات الاقتصادية .

قضايا المقالة وموضوعاتها

انطلق الأستاذ الدكتور محي الدين الألواي في قضايا الأمة الإسلامية ، وأشبعها بحثا ودراسة تمثل ذلك في مجموع المقالات التـــي كتبهـــا تحمـــل

١) مجلة منبر الإسلام العدد ١٢ القاهرة ١٩٧٩

عناوين تلك القضايا ، ثم ينطلق الأستاذ الألواي إلى العقل والمنطق فيصحح الفهم للدين الإسلامي معتمدا على التفسير والصحيح من الأحاديث النبوية.

١ – الأعياد الإسلامية في الهند ٢ – حضارتان متكاملتان الهندية والعربية ٣ – درس للعلماء المجاهدين من تاريخ كفاح المسلمين ٤ – أضواء على الجامعة الإسلامية بالمدية المنورة ٥ – جمال الدين الافغاني رائد الحركة الإسلامية في العالم ٦ – كيف انتشر الإسلام في شبه القارة الهندية الباكستانية ٧ – ضرورة نشر اللغة العربية بين الشعوب الإسلامية (المدينة) ٨ – المنهج الإسلامي في تربية الشباب ١١ – الواقعية في الإسلام ١٢ – اللغة العربية وعاء القرآن والعلوم الإسلامية ١٣ – شمولية الإسلام وعموميته ١٤ – اعتدال الإسلام ١٥ – مصدر الإسلام ١٦ – مكانة الجامعة الإسلامية ١٧ – أضواء على العلاقات الهندية العربية عبر التاريخ ١٨ – المسلمون الهنود ونشاطاتهم في الدعوة . هذه بعض العناوين التي تناولها الدكتور محي الدين الألواي في جريدة المدينة .

خصائص المقالة وسماتها الفنية

أشكال التعبير المقالي :

شغل الأستاذ الألواي نفسه بالحوادث اليومية التي تطرأ على حياة العرب خاصة ، والعالم عامة ، فكانت مقالاته ردود أفعال لما يحدث في الساحة السياسة ، والاجتماعية ، لذا كانت مقالاته من النوع القصير غالبا ، التي لا تتجاوز الثلاث صفحات ، ولكنه يكتب أيضا المقالة الطويلة التي تتعدى الصفحات السبع أو أكثر وهذا قليل جدا ،

عناصر المقالة :

المقالة فن من الفنون الإنشائية ، فهي لا بد لها من عناصر الموضوع : من مقدمة ، وعرض للموضوع ، ثم خاتمة ، والأستاذ الألواي لا تخرج مقالته عن عناصر المقالة المعروفة ، ولكن مقدماته ، وعروضه ، تختلف من مقالة إلى أخرى .

اللغة :

الاستاذ محي الدين الألواي عربي الهوى واللسان ، رغم أنه هندي ، يدافع عن اللغة العربية الفصحى كدفعاعه عن العرب وتاريخهم وثقافتهم ، فيصف اللغة العربية بأنها لغة قوية واجهت لغات كثيرة وصدمت في وجهها ، ويقول : " إن اللغة العربية استقبلت الثقافة الفارسية واليونانية والهندية بكل قوة في أواخر القرن الثاني للهجرة ، ويعود سبب قوة اللغة العربية إلى أنها لغة مرنة ، من صفاتها الاشتقاق والمجاز ، والتوليد والإبدال ، وهذه الصفات تعطي مفردات اللغة العربية توسعا في معاني الكلمة . يعتبر الدكتور أن اللغة تعني وجود الأمة ، فإذا فنيت اللغة فنيت الأمة بأسرها ، وهي كائن حي ، تحيا بحياة الناس ، وعندما تموت ، فالناس مآلهم الفناء .

الإيجاز :

لم تكن عبارات الدكتور الألواي طويلة ، بل كانت قصيرة محكمة تخدم غرضه ، فيستطيع أن يصل إلى هدفه دون زيادة في الجمل والعبارات ، فيستطيع أن يأتي بمقالة من بضع جمل وتكون مفهومة معلومة ، فهو لا يكثر من الجمل ، ولا يكرر بعض العبارات ليفهم القارئ ما يريد ،

عبارة االدكتور دقيقة ، وقصيرة ، ومعبرة عن المعاتي التي أرادها ، فهو لا يلجأ إلى التكرار ، أو التوكيد اللغظي ، ما دامت الجمل القصيرة تخدم غرضه . نعم هكذا هي لغة الدكتور المقالية ،

جزالة الألفاظ :

ألفاظ الدكتور الألواي جزلة ، فيها القوة والرصانة ، ولغته معبرة عما يريد ، ولا ينزل إلى مستوى اللهجة المحلية بل عراقة اللغة الفصحى تسعفه في جميع المجالات ، يعرف الدكتور كيف يختار الألفاظ لموضوعاته ، إن كانت سياسية أواجتماعية ، أو غيرها فالكلمات المناسبة الدقيقة سمة مقالات الدكتور الألواي .

الأسلوب

أسلوب الأستاذ الألواي مميز من بين الكتاب في منطقة الخليج العربي ، وهو يعتمد على غزارة الحجج ، وأسلوب التوكيد اللفظي ، والاستشهاد بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والشعر العربي ، فضلا عن أنه يورد بعض الصور البلاغية التي تزيد المعنى بهاء وأبهة .

الاستشهاد

الددكتور محي الدين الألواي كان أكثر استشهادا في مقالاتها ، إذا جاز لنا التعبير ، فالأستاذ الألواي استشهد بالآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، واستشهد بالأبيات الشعرية ، قديمها وحديثها ، والمقالات الخالية من الاستشهاد قليلة ، وربما نادرة ، استخدم الأستاذ الألواي هذه الاستشهادات لتقوية حججه ، ولتثبيت رأيه ، وليكون الشاهد طرفا في رأي ارتآه ، أو ليبعد به خطرا شاهده .

التوكيد :

لا أظن أني قرأت مقالة للدكتور محي الدين الألواي إلا كان فيها التوكيد، أو ما يدل عليه ، واستعمال التوكيد في أسلوب الدكتور يدل على الإصرار على رأيه ، بل والأعتزاز به ، والاقتناع بالكلام الذي يورده ، ومن أساليبه في التوكيد نورد بعض الفقرات من بعض المقالات :

التطور :

مسيرة الأستاذ الدكتور محي الدين الألواي الصحفية لمدة تزيد على نصف قرن فيها الكثير من التجارب ، والتطور الكبير الذي حظي به الدكتور الألواي ، فمن الخمسينات من القرن العشرين إلى أواخر القرن ، ازداد في هذه الفترة ثقافة وعلما ، وقرأ الكثير من الكتب والمقالات ، وثقف نفسه ، وقد تغلب على جميع المعوقات التي وقفت في طريقه ، ولكنه شق الصفوف ، وذاع صيته في الوطن العربي ،

الخلاصة :

راينا أن الدكتور محي الدين الألواي قد كتب في معظم فروع المقالة ، وكن لابد لنا من إبداء ملاحظات على طريقته الكتابة ، وإن كانت هذه الملاحظات غير نهائية ، فالأستاذ محي الدين الألواي كاتب مقالة بالدرجة الأولي ، قلمه سيال لكل أحداث العالم الإسلامي ، فلم تمر مناسبات ، أو أحداث ، إلا وكان له رأي فيها ، سواء أدخل ذلك في دائرة اختصاصه ، أم لم يدخل ، ولا أريد أن أقول إنه يقحم نفسه في الموضوع ، ولكنه يكتب على قدر فهمه وإدراكه للموضوع ، فهو لا يكتب عن شيئ إلا كان عارفا

به ، معرفة غزيرة أو بسيطة ، لذا جاءت موضوعات مقالاته شاملة لمناحي الحياة .

هذه دراسة جديدة لمقالات الأستاذ محي الدين الألواي ، لم يسبق أن درس أحد فن المقالة عند الدكتور الألواي ، وكل الدراسات السابقة عن الألواي كانت مقتضبة ، لا تتناول فن المقالة عنده إلا بكشل يسير ، ومن ناحية شكلية ، أما هذه الدراسة فإنها تغوص في فنه ، وتستخرج منه مدى تعلقه بكتابة المقالة ، لذا كانت هذه الدراسة شاقة اعتمدت على محصوله من المقالات .

كشفت هذه الدراسة منهج الدكتور في كتابة المقالات من حيث شمولية الثقافة التي لديه ، لذا كتب في كل الموضوعات تقريبا ، لو قمنا بإحصاء تلك الموضوعات لما استطعنا إلى ذلك سبيلا .

وضح في مقالاته الإسلام الصحيح ، معتمدا على الآيات المحكمة ، والأحاديث الصحيحة ، ووجه إلى فهم الإسلام يعتمد على اللغة العربية ، ودراسة الفقه والأصول والبلاغة ، ولا يمكن أن يفسر الدين فرد لا يملك هذه المؤهلات .

تباين أسلوب الدكتور بين القوة والضعف ، مع عمق الفكرة التي يكتب عنها ، واختيار للألفاظ ، دون تكلف ، فجاء أسلوبه جزلا أحيانا وسهلا أحيانا أخرى ، متسقا مع نوع الفكرة التي يكتب عنها ، ولا تخلو تلك الأفكار من هدف تعليمي ، أو نصيحة يسديها لمن يكتب عنه ، أو توجيه الأنظار إلى هدف معين ، والقوة والضعف تعتري كل عمل فني ، وخاصة المكثر ، مقالات الدكتور تراوح بين القوة والضعف لأنه كتب مئات المقالات .

من خلال دراسة مقالات الأستاذ محي الدين الألواي يتضح أنه كاتب مقالة بالدرجة الأولى ، تتميز مقالته بالهدوء ، فلم يعرف عنه أنه كان عنيفا في مقالاته ، وكان يتحرى جانب الحق الوصدق ، لم يمدح تملقا ، ولم يذم حبا في غرض معين ، بل كان سعيه الدائم الوصول إلى الحقيقة . مقالات الدكتور محي الدين الألواي من النوع الإصلاحي التربوي ، وكان قصده توجيه مسارات البياء التنموي ، لذا نراه يشجع العمل الجاد ، ويتصدى للعمل الردئ ، ونراه أيضا بسيطا في طرحه للفكرة ، هادئا في توجيهه المسؤولين ، حتى لا يثير غضبهم ، أو ردة فعلهم السريعة .

***

العلامة السيد محمد إعجاز أحمد السهسوانى و ديوانه الدراري المضيئة

الدكتور عرفان أحمد الندوي*

ولاية أترا براديش من الولايات الهندية السعيدة ألتى أنجبت رجالا شهد لهم التاريخ بالفضل فى العلم و الشعر و الأدب ـ والتي لعبت دورا هاما فى مجال التعليم والتربية و الدعوة و الإرشاد والثقافة ولكن من سوء الحظ نجد العديد منهم خاملي الذكر و انتقلوا إلى جوار ربهم وما أنصفهم الدهرعلى ما كان لهم من إنجازات علمية و أدبية وكان العلامة السيد محمد إعجاز أحمد السهسواني أحد منهم.

نبذة عن حياته:

هو الشيخ العلامة الحكيم محمد إعجاز أحمد السهسواني بن ملك العلماء السيد محمد عبد الباري المحدث الكبير صاحب ذوق أدبي رفيع و معرفة جمة باللغة العربية و آدابها و خاصة في الشعر العربي و كان ينتمي إلى أسرة دينية علمية معروفة بسهسوان فكان والده العلامة السيد محمد عبد الباري محدثا كبيرا و مقرئاً معروفاً.

* الأكاديمية الأردية جامعة على جراه الإسلامية ، الهند

ولدالشيخ العلامة الحكيم السيد محمد إعجاز أحمد السهسواني يوم الخميس فى ٢٢ صفر المظفر ١٢٩٤هـ الموافق ٨ر مارس ١٨٧٧ء ـ[١] ولما بلغ السنة السابعة من عمره سافر إلى بوبال فى خدمة والده الشيخ الكبير المحدث العظيم بعصره محمد عبد الباري السهسواني و بدأ الكتب البدائية و قضى هناك سنتين تقريباً حتى لحق والده الكريم بجوار ربه وقاسى الوحدة و الغربة هناك فرجع إلى سهسوان[٢]ـ و بعد الرجوع إلى سهسوان انتظم بتعليمه و تربيته الشيخ الكبير الحكيم السيد محمد نذير احمد أخ الصغير لجده فقرأ بعض الكتب الفارسية من الصرف والنحوالعربي'' على الشيخ السيد عبد الحسيب و قرأ الكتب الدرسية من'' المنطق و الفلسفة و الحكمة و الفقه و الكلام'' على الشيخ الحكيم السيد محمود عالم و لازمه مدة [٣].

وسافرالشيخ العلامة السيد محمدإعجاز أحمد السهسوانى مرة أخرى إلى بوبال لدراسته العليا في شهر صفر سنة ١٣١١ هـ الموافق أغسطس سنة ١٨٩٣ء فقرأ هناك ''التوضيح'' و التلويح'' و مسلم الثبوت'' و تفسير البيضاوي ''على الشيخ محمد بشير المحدث الكبير فى بوبال و قرأ'' قاضي المبارك'' و ''المطول'' على الشيخ عبد الحق الكابلي (قاضى ولاية بوبال آنذاك)وقرأكتب الأحاديث النبوية على الشيخ حسين (محدث العرب) و يندر

---

[١] تذكره شعرائے سهسوان (مخطوط) نقلاً عن حياة العلماء،للشيخ السيد عبد الباقى السهسوانى، ص١٦٨ـ مطبع المجلس القومى للترويج اللغة الأردية بنيو دلهى ل ٢٠١٠

[٢] بياض ياد داشت:نقلاً عن حياة العلماء،للشيخ السيد عبد الباقى السهسوانى،ص١٦٨ـ مطبع المجلس القومى للترويج اللغة لأردية بنيو دلهى الجديد ٢٠١٠

[٣] نزهة الخواطر، العلامة عبدالحى الحسنى،ج٨ص٦١،مطبع دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن ١٤٠٢ه١٩٨٠ء

نظيره في الذكاوة و خصوبة الابتكار و قوة الحفظ و الإدراك و السيرة وحسن السلوك ـ

قضى خمس سنوات فى الطب اليوناني حتى تضلع منه و بعد الفراغ من دراسة الطب يشتغل بالمعالجة حتى اشتهركحاذق كبير وحكيم عظيم ليست فى مديريته سهسوان فحسب بل فى أنحاء ولاية أترا براديش كلهاكانت له مهارة تامة فى اللغة العربية و الفارسية و في علم المنطق و الحكمة و الكلام و السير قلما يوجد مثله فى الهند آنذاك [١]ـ

العلامة السيد محمد إعجاز السهسواني مدرساً

بعد الفراغ من تحصيل العلوم المختلفة و الفنون الكثيرة اشتغل العلامة السيدالعلامة الشيخ محمد إعجاز أحمد السهسوانى بالتدريس فدرس كتبا كثيرة من علوم مختلفة و موضوعات متنوعة من أمثال حماسة ''المتنبي'' و''المعلقات''و''الفلسفة'' والمنطق'' والكلام'' والطب'' ''والشعر'' ''والأدب'' ''والحديث و التفسير'' و خلال هذه الفترة الطويلة تتلمذ عليه آلاف من طلبة العلم من أطراف البلد و اشتهر فى الهند كأستاذ بارع و طبيب حاذق-

إنه بدأ سلسلة الدرس بعد ما أقام سنة واحدة في لكناؤ و بعد عين مدرسا للغة العربية فى كلية سينت جونس (Saint john) من ١٩٠٢ء إلى ١٩٠٦ء و عين ناظراً للمدرسة في بسولي من ١٩٠٤ء إلى١٩١٤ء و قدم الاستقالة من

[١] حياة العلماء، للشيخ السيد عبدالباقى السهسوانى،ص١٠٥ـمطبع المجلس القومى للترويج اللغة الأردية بنيو دهلي الجديد٢٠١٠

هناك و بعد ذلك أصبح مدرسا للمدرسة المتوسطة الإسلامية بمستان (كلية حافظ الصديق حاليا) ثم أصبح نائب العميد بكلية وثيقة العربية بفيض آباد أترا براديش و فى سنة١٩٢١ء اعتزل عن الوظيفة و رجع إلى بدايوں و قضى طول حياته فى المطالعة و فى التصنيف و التأليف و فى خدمة الدين و إسلام إلى أن توفى يوم الإثنين فى ٧ يناير سنة ١٩٣ء عن عمر يناير سنة١٩٦٣ء[١]۔

آثاره العلمية و الأدبية

فى الحقيقة كان للشيخ محمد إعجاز أحمد السهسوانى ذوق خاص فى التأليف و التصنيف والشعر و الأدب و إنه أتحف المكتبة الهندية بكتب كثيرة من التراجم و السيرة ،والأدب ، والشعر،والنقد، و الطب و الحكمة و كان بحكم اشتغاله بالتدريس و خاصة تدريس الأدب العربى و اشتغاله بالشعرو قد قضى سنوات كثيرة فى تدريس الأدب العربي ۔ كان له شغف كبير بالشعر العربى القديم و كان شاعرا مجيدا و خاصة في الشعر التاريخي و لكنه لم يعرف فى أوساط العلمية كما كان مستحقا لذلك ۔و ها أنا أقدم بعض كتبه المعروفة

(١) رشحات الكرم فى شرح فصول الحكم (شرح المفضلات للفاراني)

(٢) توقيف الفرند فى تذكار أدباء الهند (تذكرة أدباء الهند و تراجمهم)

(٣) تسلية الفؤاد (ترجمة بانت سعاد في اللغة الفارسية ، هذه ترجمة نادرة جيدة للغة الفارسية)

---

[١] المصدر نفسه ص١٠٦ص١٠٧

(٤) أسرار ألامامة (تذكرة شعراء سهسوان)

(٥) إبن سبا (تذكرة مفصلة عن ابن سبا)

(٦) النقد و الانتقاد (مجموع مقالات النقد و التحقيق للمؤلف)

(٧) تاريخ سهسوان (هذا كتاب جيد عن تاريخ السهسوان السياسية و الاجتماعية و العلمية)

(٨) أعيان الثلاثة (سلط الضوء فى هذا الكتاب عن العيد الغدير نو روز (الأيام التاسعة) العيد الشجاع تحت ضوء الكتب النادرة و المستندة عن مذهب الشيعة)

(٩) مومن و غالب (قدم دراسة مقارنة لأشعار كلا الشاعرين مومن و غالب و إنه أكد أن المومن أفضل من غالب من حيث شاعر الغزل الخالص)

(١٠) تذكرة شعراء سهسوان (هذا تذكرة مختصرة عن شعراء سهسوان الفارسية والأردية من أمثال الشيخ محمد الطيب المكي و الشيخ محمد صاحب عرب البوبال و الشيخ السيد ذو الفقار أحمد النقوى و غيرهم)

(١١) كتاب المفردات (فى الطب و الحكمة)

(١٢) شعر العرب (تاريخ شعراء العرب و الأدب نقدا و تحليلا كاملة بمجلدين) [١].

---

[١] **المصدر نفسه**، ص١٠٧

شاعريته

كا ن مولعا جدا بالأدب العربي فى مقدمة حياته و بعد أن فرغ من العلوم و الفنون قام بتدريس الحماسة، وديوان المتنبي، والمقامات أبي القاسم الحريري بوجه خاص ، وقد أتيحت له الفرص لأن يبلغ الأوج فى حقل الأدب العربي ، و حاول محاولة ناجحة فى قرض الشعر و نظم الأبيات العربية و الفارسيه و الأردية واستحسنها الشعراء و الأدباء وأصحاب العلم من أمثال الشيخ محمد طيب المكي، والشيخ محمد صاحب، و الشيخ عرب البو بالى، و الشيخ السيد ذو الفقار أحمد النقوى۔ كان قوى ألفهم، متين الأدراك، نافذ البصيرة، ذكى الحس، متوقد الذكاء، لطيف الطبع، يغلبه المزاح مع السكينة والوقار. يقول العلامة السيد عبد الحى الحسنى الندوى عن شخصيتة الفذة۔

> ’’كان السيد إعجاز أحمد متضلعاً من الفنون الأدبية ۔ بصيراً بأصنافه و مذاهبه، شاعراً مكثراً مجيداً فى اردو على طريقة الشعراء المتأخرين يقول الشعر الرصين البليغ فى العربية و الفارسية و اردو‘‘ [١]

آثاره فى الشعر

(١) رياض فكر: (أبيات متفرقة فى الأردية)

(٢) نيرنگ امامت: (مسدس يشتمل على مأة بيت يسلط الضوء على عقيدة الإمامة طبقا لمذهب الشيعة)

(٣) چمنستان سخن : (مجموع القصائد والقطعات التاريخية)

---

[١] نزهة الخواطر، العلامة عبد الحى الحسنى،ج٦٢، مطبع دائرة المعارف العثمانية بحيدآ باد الدكن١٤٠٢ه١٩٨٠ءنفسه ص٦٢

(٤) ديوان اردو: (مجموع القصائد و الغزل الاردية).

(٥) ألدرارى المضيئة (مدونة ضخمة لأشعار ألعلامة السيد محمد إعجاز أحمد السهسوانى العربية ،يشمل هذا الديوان على قصائد الحمد و الثناء لله عز و جل والمدح النبوى و الرثاء و المدح للملك و الرؤساء والنوابين و العلماء و الفضلاء والرحل و أجوبة شعرية على الرسائل والغزل وغيرها. توجد فى بداية هذا الكتاب مقدمة تشتمل على ثلاثة صفحات باللغة العربية وإسم هذه المدونة إسم تاريخى يبدو منه سنة ١٣٣٢ هـ ١٩١٤ء و هذا أيضا سنة لترتيب المؤلف و لكن مع ذلك إنضم فى هذا الديوان أبيات أخرى بعد سنة ١٣٣٢ هـ و فيما أعتقد أن هذا الديوان الشعرى لم يطبع حتى الآن.

مميزات شعره:

ومن مميزات شعره إنه قرض الشعر فى جميع الأصناف من الغزل والمدح و الرثاء و لأ نرى فى أبياته أثر العجمية و حينما يقرأه القارى فيجد الحلاوة و السلاسة، و دائماً يستعمل عبارة صهلة و تعبيرات جيدة عن الآراء و الأفكار و يفهمه القارى بدون أى مشقة.

نماذج من شعره:

و قال حمدا لله عز و جل

لك الحمد يـا من فضلـه متكاثـر ... و عـم البـرايا لـطـفـه المـتـواتـر

تباعدت إجلالا و مجدا و رفعة ... وعقل الفتى فى درك كنهك حائر

تفردت بالإيجاد و الخلق واحدا ... ولات شريك فـي الأمـور مشاور

وكيف يظن الشـرك بالله عاقـل ... وهل ممكن فى الفعل يحتاج قادر

خلقت و قدرت الأمــور مشيئة فاتت مـريد فاطـر الخـلـق قـاهـر

وقال فى مدح النبى صلى الله عليه و سلم

ياسائقاً عج على الأطلال من أضم وأقرء سلامى على سلمى بذى سلم
تغيرت بصـرف و الـدهـر منتهـا وقـد عفتـهـا الرياح الهوج بالديم

هـو الـنـبـى إمــام الأنبيـــاء لــه كل المـلـئـكـة الأخيـــار كا لحشــم
ووجــهــه رحمــة للعلميــن بدى فمنـه ضائت بلاد العـرب و العجم
طريقــه مستقيـم غيـر ذى عوج و رأيته ثابت فـــي الـــدين كالقدم

وقال:

تراى أطيب سلمـى فـــي المنام أرانى الليــل صبـحاً بإبتســـام
فيا عجباً رايت الشمــس ليـــلا ومـــا لاح النهـــار على الأنـــام
ذوائبهـــا ليالى القـــدر سود يضـــاحى نشــرها مسك الختام
محـــمـــد ن النبـــي الهاشمي القــرشى الحــجــازى التهامــى
إمـــــام الأنبيـــاء و مقتداهـم شفيـــع للـــورى يوم القيـــــام

قال فى رثاء رئيس الموحدين و تاج المحدثين الشيخ العلامة محمد بشير السهسوانى بعد وفاته سنة١٣٢٦هـ فى بلدة دهلى يعد من أكابر المحدثين فى معاصره وانه كا ن وأعظًا ومدرسا عظيماتحتوى هذه القصيدة على٢٤ بيتاً أقدم أمامكم بعضا فقط

خطـب أبـاد نفـــوسنـــا لكبـيـــــر و لــذا الزمان على النفوس يجور

أمـــا الهـدى فتضعضعت أركانه والـــدين أسقمــه ضنـــى و فتــور

أفلت شموس العلم فى دار الضحى فــاذا النـهـــار كليـلنـــا ديجـــور

قــد مات مــن يبكى الـزمان لموته ولفـقــده يرثـــى لـــــه التغييـــر

قــد مات أستـــاذ الــورى عــلامة شيخ الشيـــــوخ مبجـــل تحـــرير

وقال فى رثاء أمه الكريمة ألتى توفيت لثالث ربيع الآخرمن ١٣٤٣ومن الأسف إنه وصل ألوطن بمتاخرا بيوم واحد. و تشتمل هذه القصيدة على٢٧ بيتا :

بكائى لأيدكن مـــا بقلبـــي و دمعى ليس يطفى نار كرب

فــوادى دونه خـفـقــان طير كان جنـــاحها علـــق بجبنـــي

تهـــدم بغتـــة بنيان صبـــر كأن القلب فـــي قلـــق و قلب

نعيت فجـــاءة بوفـات أمى فجدت باد معـــي وعدمت لبى

ألا يا نفس صبراً ثم صبراً فلا يجديك جـــزع بعـــد حب

وقال فى رثاء أهل بيته وقد توفيت خا مس عشر من رجب١٣٦٣ ﻫ ليلة الجمعة المباركة بسهسوان و هذه القصيدة تحتوى على ٣٠ بيتا:

تضعضعت من سكون القلب أركان فكيف لى بعد طيب العيش سلوان

خطب ألـــم بتامورى فليـس لـــــه مـــن دافع و اهاطت بـــى أحزان

كـــم ليلـــــة بسهسوان لقيت بهـا جيوش هـــم لها كالبحر طغيـــان

أنها قضت نحبها زوجى فيا أسفاً على الفــراق ققلبى أليــوم لهفان

عهدى بها و رياض العيش ناضرة ومن رسيس الهوى قلبـــي ملآن

و قال فى نكاح السيد شمس الحسن بن نواب السيد على حسن خان بهادر شمس العلماء تحتوى على ٥ أبيات:

للة در فتـــى قـــد لأح كـــوكبـــه مــن مطلع السعد مثل الأنجم الزهر

شمس الحسن نجل نواب على حسن ساد الورى وعلا الأعيان من مضر

أراد عقـــد زواج نائــلا شـــــرفاً فـــي أسعد الوقت من أيامه الغرر

أنشأت تاريخ ذاك العقــد مرتجــلا قد طاب زيناً قران الشمس و القمر[١]

قال عند إرتحاله عند الأحباب والأوطان حنيناً إليهم و تشتمل هزه القصيدة الجميلة الطويلة على ١٣ بيتاً:

ألجفـــن يلزمه سهـــر و تأريق و النوم يرغب عنه و هو معشوق

إلجسم فى غربة و الروح فى وطن عــز بينهمـــا جمـــع و توفيـــق

جســـم بــلا روح أو روح بـــلا جسد حياتنا هـــذه موت و تفريق

طــول الليالى قصرناه فــى رحب نجنى القطوف ولا فى صدرنا أضيق

و الوصــل ملتفة أغصــان دوحتــه و بسط عيش بعين الشوق مرمـوق

[١] المصدر السابق، ص٢٩-٣٠

وقال فى مديح الملك الأجل الأعظم حامل لواء الصيف و القلم مير عثمان على خان بهادرسلطان دكن تحتوى هذه القصيدة الطويلة علي ٥٠ بيتاً:

أنا اليون عن حب الغوانى بمعزل و لست ألذى يبكى على رسم منزل

فمـــا شاقنى توديع طعـن تحملوا ولا سر نى تذكار سلمـى و محمل

لا جمـع أشتات المكارم و العـلى من العلم و الأدب جميـع المحصل

و قـــام بإحيـــاء الحشاشات فيكم و أبقى ذمـــار العـلـــم عند التزيل

تلـــوح لـــه بيـــن الملوك خرية كمـــا لاح در فـى الوشاح المفصل

وأفنى رسوم الجهل والشروالغوى و أكـرم مثوى كل حبـــر و مفصل

فمـــا زال أقـــدار الفحـول يحطها و يجلب أوزارا علـــى كل معتـــل

يبكى على الأذقان أصحاب رفقه و يرفـــع أوغادا إلى منصب على[1]

و قال فى مديح السلطان الأعظم الأميرجلالة الملك مولانا سعيد بن عبد العزيز و تشتمل هذه القصيدة ألفصيحة على ١٥ بيتاً:

يبدى ألهوى جفنى ولـــو أتجمجم هـــزه دمـــوعى أم لســانى أو فم

ساروا و بعدهم نهارى فى النوى ليـــل بهيـــم مـــدلهـــم مظلـــم

هـــذا مسيرك رحمـــة لبـــلادنا و مســـرة لبـــلادنا و تـــنـــعـــم

لله درك يـــا سعـــونك أنجـــلت ظلمـــات جهـــل نارها تتضـــرم

[1] المصدر السابق، ص٦٠-٦١

أيـــــام عهـــدك للخـــلافة غرة والدهر عن دهر تغر البشاشة يبسم

لازلت بالعيش الرغيـــد مهنـــاء مـــا دام طيـــر بالحمـــى يتـــرنم [١]

ومن بين القصائد فى الموضوعات المتنوعة نجد قصيدة طويلة فى الغزل و هى قصيدة رائعة يذكرفيها عهد الشباب: و تشتمل هذه القصيدة على ١٧بيتاً:

سقيا لـــدار لـــها دار بمهجـــات حفت بروض الأمانى لا بروضات

فكم لها من يد عنـدى بلغت بهـــا أقصى المنـــى فأقمنا فـــي مسرات

حسبى غرامى دليلا فى مساكنهـــا فروضـــة الأنس تهدينا بنفحـــات

عيدى بها توضـــة كانت بلا ثمـــر لـــم يبتسم زهـرها من فوق و جنا

و صارت اليـــوم اسيافا لواحظها و اضحت العين نشوى ذات فترات

لـــم أدرهل ذاك ما جاد الخليال به أم كان حلمـــا نراه فـــي المنامات

فالصبرطارت به العنقاء من د نف والقلب فاقـــد لب كالجـمـــادات [٢]

و قال قصيدة طويلة لما ترك وظيفة الدرس بالمدرسة ألإسلامية ألإنكليزية ببدايوں و إنتقل إلى فيض آباد. تحتوى هذه القصيدة على ١٢ بيتا:

أشكو إلى الرحمن أشجانى و ما أضمر ته بيـــن الجـــوانح و الحشا

أعـــــداء فضـــل قد بليت بقربهم لـــم يعـــرفوا مقـــدار أرباب النهى

---

[١] المصدر السابق، ص ٩٥

[٢] أيضاً، ص ٢٨

لايهتــدون إلى الصواب فعيشهم عيش البهائم في الضلالة و العمــى
لا حض فى شيم المروءة عندهم فنفوسهم حيلت على محض الهـوى
ولا نزلت فيض آ بادا بعد منـزل اذ جئته القيت فيه مـــن العصـــــا
نجانى الرحمن مــن شر العــدى وتركت صحبتهم و ما أحلى النوى
و إذ ا نسيم هب فـــي رو ضاته أنسى فـــــؤادى ذكــر أيام الحمى[١]

نـهاية المطاف:

كان العلامة محمد إعجاز أحمد السهسوانى أديبا أريبا بارعا ذا علم عظيم و صلاحيات باهرة. كان قوى الفهم ،متين ألادراك،نافذة البصيرة،ذكى الحس،متوقد الذكاء، يستعمل دائما فى الأبيات و القصائد عبارة سهلة فصيحة و تعبيترا وافيا عن الآراء و الأفكار. و بعد مطالعة الأبيات ألمذكورة و مأ عدأ ذلك من ألابيات و ألقصائد فى الديوان أريد أن أذكر الخصائص و الميزات بعضها كما يلى

(١) إن الشاعر له ملكة قوية على قرض الشعر و له خبرة واسعة و إطلاع تام على فنون الشعر و مبادئه و دقائقه و عنده حظا وأفرا ذاخر من مادة اللّغة العربية ألتى هى من أوسع لغات العالم و أقواها و أغناها و أحلاها

(٢) و الأبيات كلها مشتملة على ما يجب إلتزامه من واجبات الشعر ومتطلباته

[١] أيضاً، ص ٣١

(٣) ألأبيات متحلية بصفات يحتاج إليها الشعر فى حسنه و جماله وفصاحته و بلاغته

(٤) إن الشاعر قد نجح فى الوفاء بحق من ذكر فى الأبيات من الشخصيات البارزة والعلماء الأعظم

ونظرا إلى أهمية الديوان للعلامة إعجاز أحمد السهسوانى أريد أن أقول هيهات أن يطبع هذا ألديوان إلى أقرب وقت ممكن كى تتورألسهولية إلى الباحثين و المحققين للإستفادة.

***

المستشرقة آنا ماري شيمل وعنايتها بالتاريخ الإسلامي في الهند

سيد محمد عمر فاروق*

نبذة عن حياتها وأعمالها:

تعد المستشرقة الألمانية آنا ماري شيمل Annemarie Schimmel (١٣٤١-١٤٢٤هـ/١٩٢٢-٢٠٠٣م) واحدة من أهم الباحثات في مجال الاستشراق والبحث عن قضايا التاريخ الإسلامي في الهند، وقد امتدت نشاطاتها العلمية في المشرق الإسلامي وشبه القارة الهندية طولاً وعرضاً، و قضىت الشطر الكبير من حياتها في شبه القارة الهندية. وكانت حياتها حافلة بالإنجازات العلمية والفكرية والأدبية. وهي تعد نموذجاً للذين أحبوا بصدق الحضارة الإسلامية ووقفوا على الإسهامات العظيمة التي قدمتها للإنسانية، وقدموا من خلال دارستهم وأبحاثهم خدمات رائعة للإسلام والمسلمين. فهي شخصية نادرة كرست حياتها في دأب وحب لإزالة الشكوك لدى الغربيين حول الإسلام والدين الحنيف. وقضت حياتها كلها بلا مبالغة لدراسة الإسلام وتراثه الفكري.

ولدت شيمل في مدينة (أيرفورت Erfurt) الألمانية يوم ٧ أبريل عام ١٩٢٢م. نشأت وترعرعت في بيئة ثقافية مسيحية. وبدأت حياتها الدراسية

* باحث في الدكتوراه: جامعة اللغة الإنجليزية واللغات الأجنبية حيدر آباد الهند

منذ نعومة الأظفار، صرفت عنايتها الخاصة إلى اللغة العربية والثقافة الإسلامية. ثم التحقت بجامعة برلين، ودرست العلوم الإسلامية، والتاريخ الإسلامي وفنونه، والدارسات التركية، وحصلت على درجة الماجستير عن رسالتها: "الخليفة والقاضي في مصر الفاطمية والمملوكية" ثم درجة الدكتوراه في الاستشراق في سن التاسع عشر من عمرها عن أطروحتها: "بنية الطبقة العسكرية في الحقبة المملوكية المتأخرة"[١]. وكانت شيمل صاحبة عديد من اللغات: العربية والفارسية والأردية واليونانية والفرنسية وما إلى ذلك....

زارت شيمل عدداً كبيراً من البلدان العربية والإسلامية، منها الهند واليمن وتركيا حيث عملت فيها كأستاذة للعلوم الإسلامية واللغة العربية. ولما عادت إلى ألمانيا عام ١٩٦١م أسست مجلة دورية تسمى بـــ"فكروفن" باللغة العربية والأمانية، وهي مازالت تصدر حتى الآن في كل سنة عددان، وأنها أجمل مجلة عربية على الإطلاق تصدر في أوربا. كما أنها تنقلت بين الجامعات العالمية المرموقة كأستاذة زائرة، فقد حاضرت لسنوات طويلة في جامعة هارفورد في الولايات المتحدة، وجامعة دلهي الجديدة في الهند، والمجلس الأمريكي للعلوم وجامعة أيوا في نيويورك ومعهد الدراسات الإسماعيلية في لندن. والجدير بالذكر أن الراحلة بينظير بوتو رئيسة الوزراء الباكستانية السابقة كانت إحدى طالباتها في جامعة هارفارد

[١] مجلة التربية والعلم، المجلد:١٧، العدد:٢، سنة ٢٠١٠م، ص:٢٤

الأمريكية [١].

أن شيمل أحبت العيش في الشرق، وأقامت فترة طويلة في الهند وباكستان، وحيث اعتنت بتخصصها، وكان لها حب شديد للهند خاصة لباكستان التي عاشت فيها أكثر مما أقامت في وطنها، تجلى هذا الحب في كتابها "باكستان قصر ألف باب" بالأمانية. وأطلقت باكستان أسم آنا ماري شيمل على أحد شوارع لاهور الهامة[٢]. وعملت بعدها ما يقرب من خمسة وعشرين عاماً في جامعة هارفارد كأستاذة لمادة "الإسلام في الهند" وأستاذة "للثقافة الهندية الإسلامية" Indo-Muslim Culture. وفي تلك الآونة كتبت دراستها عن الأبعاد الصوفية للإسلام فضلاً عن اهتمامها بشخصيات كبرى في عالم التصوف من أمثال: حافظ الشيرازي، جلال الدين الرومي، والحلاج، ومحمد إقبال من العالم الإسلامي المعاصر. وكانت شيمل شديدة التأثر بأفكار العلامة إقبال وفلسفته الإسلامية الحديثة، وقضت حياتها معجبة به وبتقديره، ترجمت أعماله إلى الألمانية والإنجليزية، ومن أهم كتبه حول إقبال: محمد إقبال شاعر وفيلسوف نبوي[٣].

هناك خلافات بين الذين كتبوا عن حياتها وسيرتها أنها مؤمنة أم لا؟ ولكن الحق أنها لم تعتنق الإسلام، لأنها تعلم أن الدخول إلى دين الإسلام أمر ميسور والخروج منه أمر مستحيل. ولكن شيمل عاشت حياتها مع المتصوفة وأفكارها. وقد أوصت الأستاذة أن تتلى سورة الفاتحة على قبرها،

---

[١] الجميل والمقدس، آنا مراي شيمل، ترجمة وتحقيق:عقيل يوسف عيدان، الطبعة الأولي:١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، الدار العربية للعلوم بيروت، ص:٢٤

[٢] http://www.rewity.com/vb/t121101.html

[٣] مجلة العربي، العدد:٥٣٥، يوليو ٢٠٠٣م ص:٣٤

وقد رتل السورة الكريمة بالعربية يوم دفنها الشيخ أحمد زكي اليماني[١].

وقد نالت المستشرقة الألمانية الكثير من الجوائز التقديرية وأوسمة التكريم، من أهمها: جائزة فردريش ركارت" الأمانية سنة ١٩٦٥م ، ووسام الاستحقاق الألماني من الدرجة الأولى سنة ١٩٨٢م. ونظراً إلى خدماته الجليلة في التاريخ الإسلامي الهندي والتصوف الإسلامي كرمت لها حكومة باكستان مع أرفع الجوائز المدنية المعروفة "ستارهء امتیاز" و"هلال امتیاز" وسام القائد الأعظم لجمهورية باكستان الإسلامية سنة ١٩٦٦م [٢].

الميزات الخاصة التي تتميز بها شيمل من بين المستشرقين الآخرين:

لقد وهبت أنا ماري شيمل حياته للعلم، وكرست رسالتها لخدمة الإنسانية، وسعت دائماً إلى إقامة الجسور بين حضارة الإسلام وحضارة الغرب، فلذا لقبت بـــ"عميدة الاستشراق الألماني وصديقة الإسلام. هناك بعض المحاسن والميزات لهذه العالمة الفاضلة تميزت بها عن الآخرين:

١- **فهم حقيقي للإسلام:** أنها سعت منذ البداية إلى الاقتراب من المسلمين، والاستماع إليهم، ومعايشتهم والتحدث معهم. وأرادت أن تفهم الإسلام من المسلمين أنفسهم، فكان لها ما أرادت. وبعكس عدد كبير من المستشرقين من أمثال نولد كه الذي عاش ومات من دون أن يرى أي بلد عربي أو إسلامي واحد. فإن صلات شيمل بالعالم الإسلامي ورحلاتها إليه وثيقة منتظمة لم تنقطع للحظة واحدة.

---

[١] www.middle-east-online.com

[٢] http://www.rewity.com/vb/t121101.html

٢ - النقد الذاتي: على نقيض كثير من المستشرقين الذين يرفضون مبدأ النقد الذاتي، ويأبون مراجعة آراء أساتذتهم وتصحيحها، ولكن شيمل تقوم دائماً بممارسة النقد الذاتي مع نفسها، ومع الغربيين المشتغلين بالحضارة الإسلامية في العالم العربي والإسلامي.

٣ - الحب: كانت شيمل إنسانة عاشقة، ورسالتها هي رسالة حب وتفاهم وليست رسالة كراهية أو حقد، والحب يحتل جزءاً كبيراً من حياتها، فهي تحب مادة تخصصها: الإسلام ورسول الإسلام وتكتب عن حب المسلمين له. وهي ترجمت كل ما له علاقة بالحب، أنها تشعر بانجذاب شديد إلى الشاعر الإسلامي الكبير جلال الدين الرومي لأن موضوع العشق الإلهي يمثل محور أشعاره، وهي لم تدخر جهداً من ترجمة أشعار الرومي في الحب والعشق إلى لغات أوربية عدة.

٤ - عشقها للفن الإسلامي: ورثت شيمل الفن الإسلامي عن أستاذها العلامة الألماني إرنست كوينل، فراحت تدرس عمارة المساجد والمقابر، وفن الخط، وفنون الزخرفة الإسلامية، والتصوير الإسلامي. وسعت دائماً إلى تقديم الإسلام للغربيين من خلال زاوية الفن، فقدمت بذلك خدمات جليلة للثقافة الإسلامية وساهمت مساهمة عظيمة في إفهام الغربيين جوانب خالدة من الحضارة الإسلامية، وذلك من خلال كتبها عن فن الخط العربي، ووسائل التعبير الفني في الإسلامي فضلاً عن محاضرتها المتواصلة.

٥ - صلتها الوثيقة بالإسلام في شبه القارة الهندية: درست شيمل مادة "الإسلام في الهند" في جامعة هارفارد لسنوات طويلة. ولعبت دوراً ريادياً في تعريف الغربيين بهذا الموضوع. كما أنها سعت أيضا إلى لفت نظر

العرب إلى هذا العالم، ونقلت شيمل للغربيين عدداً ضخماً من أشعار مسلمي الهند، وآدابهم وتاريخهم في عدة لغات أوربية، وسعت سعياً مخلصاً إلى تعريف العرب بتراث مسلمي الهند.

٦- دفاعها عن مكانة المرآة في الإسلام: على نقيض بعض زملاءها من المستشرقين ممن يهاجمون مكانة المرأة في الإسلام، تتميز معالجة شيمل لهذا الأمر بالموضوعية والحياد. فهي لا تنكر اضطهاد المرأة في المشرق الإسلامي ولكنها لا تنسب هذا الاضطهاد إلى الإسلام بل إلى العادات البالية والتقاليد القديمة المتخلفة.

٧- تعريف الألمان بالحضارة الإسلامية: لقد صممت شيمل العزم على أن تقدم صورة الحضارة الإسلامية واقعية وصحيحة من حيث المفاهيم والتصورات، وقامت بتعريف الألمان بالحضارة الإسلامية وتصحيح المفاهيم والتصورات الخاطئة عن الإسلام من خلال محاضراتها المتواصلة في شتى المدن الألمانية ومن خلال أنشطتها في مختلف وسائل الإعلام الألمانية ومن خلال كتبها، ومن خلال ترجماتها الغزيرة للآداب الإسلامية إلى اللغة الألمانية.

٨- الإسلام هو سبب لتقدم المسلمين ولا علاقة له بتخلفهم: على نقيض موقف الكثير من المستشرقين الآخرين، إذ يدعون أن الإسلام دين متخلف، وأن المسلمين تخلفوا عن الحضارة بسبب الإسلام، ولكن تعلن شيمل بكل وضوح وقوة أن الإسلام يحث كل مسلم ومسلمة على طلب العلم وإعمال الفكر، فكيف إذن يمكن الادعاء بأنه دين متخلف؟[١]

[١] جريدة الحياة، مقال: ثابت عبيد، العدد:١٣٨٢٢، سنة: ٢٠٠١م، ص:١٦

آثارها العلمية والفكرية:

لقد كتبت شيمل كثيراً من الأبحاث والكتب والمؤلفات بلغات مختلفة، ومعظمها حول التصوف الإسلامي، والتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية. ففي المذهب الصوفي كتب "الأبعاد الصوفية للإسلام" عام ١٩٧٤م باللغة الإنجليزية ثم ظهرت ترجمته الألمانية عام١٩٨٥م، ثم نقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية محمد إسماعيل السيد، ورضا حامد قطب، وطبع أول مرة في عام ٢٠٠٦م، هذا الكتاب عن التاريخ التصوف يعنى عناية كبرى بالجانب الفني في التصوف الإسلامي وتعبيراته الغنية في الشعر. المسيح ومريم في التصوف الإسلامي: باللغة الألمانية ثم نقلتها إلى الإنجليزية. و"الوردة العندليب" الذي يتناول الأشعار الصوفية التركية والفرنسية، وكتاب "الشمس الظافرة" عام ١٩٧٨م عن جلال الدين الرومي، وغيرها من الكتب والأبحاث في التصوف الإسلامي. وتعبراً عن إعجابها بالشاعر والمفكر الهندي الكبير أنها ترجمت بعض كتب العلامة محمد إقبال إلى اللغة الألمانية والتركية. من أهمها: جناح جبريل، الخلود، وما إلى ذلك....وفي عام ١٩٨٥م صدر أهم كتبها"محمد رسول الله" بالألمانية والإنجليزية الذي عبرت فيه بصدق عن تقديرها للرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وما أثار وسائل الإعلام الألمانية ضدها، فردت عليها بكلمات حازمة "نعم! إني أحبه".

الأبحاث والكتب فيما يتعلق بتاريخ الإسلام في الهند:

كما ذكرنا من قبل أن شيمل قد مكث في الهند وباكستان حوالي خمسة وعشرين سنةً، في هذه المدة أنها ألقت محاضرات علمية قيمة في جامعات

عديدة، كما أنها كتبت بعض الكتب الهامة التي تتعلق بتاريخ الهند وثقافتها وحضارتها. وأنها بحثت عن قضايا التاريخ الإسلامي في الهند بعين الإنصاف دون التعصب. وفي بعض الأحيان أنها قامت بالرد وانتقدت بمن افترى على التاريخ الإسلامي في الهند من المستشرقين. وهناك قائمة طويلة لمؤلفاتها، وأنا أستعرض هنا من أهمها:

● مقدمة في تاريخ الإسلام (An Introduction in Islamic History, New York-1992): كتبها باللغة الألمانية ثم نقلتها إلى الإنجليزية. وهو كتاب يتناول سير الحضارة والإسلامية ومراحل انتشار الإسلام في مختلف البلدان ومنها الهند وبلدان جنوب شرقي آسيا. وقد عالجت شيمل في هذا الكتاب كيفية انتشار الإسلام في العالم، وأهم تأثيراته على الثقافات الأخرى.

● الإسلام في شبه القارة الهندية (Islam in the Indian Subcontinent): ألفت هذا الكتاب في عام ١٩٨٣م باللغة الألمانية ثم قامت بترجمته إلى اللغة الإنجليزية. وأتاحت المدة التي قضتها شيمل في الهند كأستاذة لمادة تاريخ الإسلام في الهند أن تتعرف من قرب على واقع المسلمين الهنود، ويبدو من كثرة مؤلفاتها عن أنها كانت قد جمعت العديد من الأفكار والملاحظات والتفصيلات التي كانت هي أول من طرقها. ويتناول هذا الكتاب المراحل التي مر بها الإسلام خلال الحقب التاريخية الطويلة في الهند، بدءاً من معرفة الهنود بالعرب قبل الإسلام عن طريق الصلات التجارية ومروراً بظهور الإسلام وانتشاره في تلك القارة بطرق

سليمة، ثم استقراره عبر إقامة حكومات إسلامية لها السيادة والإدارة التامة على أغلب مناطق شبه القارة الهندية.

● الإسلام في الهند وباكستان (Islam in India and Pakistan): صدرت هذا الكتاب في سنة ١٩٨٢م باللغة الإنجليزية من هولندا. و الكتاب السابق أي "الإسلام في شبه القارة الهندية" كان موسوعياً وشاملاً دون التركيز على بلد من بلدان الهند بالتعيين. وفي هذا الكتاب سلطت شيمل أضواء بسيطاً على حال المسلمين في مناطق وسط الهند(مثلا: مدينة دلهي وما جاورها)، وكذلك مناطق "مولتان" (باكستان حالياً) فقد يعد كتابها هذا دراسة تاريخية وحضارية عن بدايات عمليات الفتح وقادته.

● مركز الثقافة الإسلامية في السند A Center of Islamic Culture in Singh, Karachi- 1983): وقد كتبت شيمل هذا الكتاب بالاشتراك مع المؤرخ بالاشتراك مع المؤرخ ماكلي هيل Makli Hill يتناول هذا الجانب الثقافي لبلاد السند والتي مثلت البؤرة أو الموطن الأساس للثقافة الإسلامية إذ أنها مثلت أول إقليم دخله المسلمون واستقروا فيه لفترات طويلة ومنه انتقلت العلوم والآداب والمعارف الإسلامية إلى الأقاليم الأخرى. وقد تتبعت شيمل في هذا الكتاب المراكز الثقافية في السند من مدارس ومساجد وزوايا وربط.

● في مملكة المغول العظام: لقد ظهر هذا الكتاب إلى حيز الوجود ٢٠٠٠م باللغة الألمانية، وقد بحثت ماري شيمل فيه عن قضايا التاريخ الإسلامي، والفن الإسلامي، والثقافة الإسلامية في عهد المغول. ونظراً إلى

أهمته ظهرت الترجمة الإنجليزية في لندن عام ٢٠٠٤م. هذا كتاب فريد من نوعه.

● مناهج التعليم في الهند: (Education curriculum in India):

هذا الكتاب في الحقيقة مجموعة مقالاته التي صدرت في مجلة "فكروفن" باللغة الألمانية، ثم نقلتها إلى الإنجليزية في سنة ١٩٩٣م. أعطتنا دكتورة شيمل في هذا البحث صورة واضحة عن أهم تلك المناهج التعليمية في العصور الوسطى التي كانت تعنى بها في مدارس الهند ومساجدها الشهيرة والتي لا تختلف كثيراً عن تلك التي كانت تهتم بها في المشرق الإسلامي. ومثلت تلك المناهج مصنفات شيوخ وعلماء المشرق الذين هاجروا إلى الهند. وبينت شيمل أن الهنود اهتموا كثيراً بعلم الفقه منذ الفترات الأولى لدخول الإسلام فيها فهو الوسيلة الوحيدة لمن كان يريد أن يتولى منصب القضاء والأمور الإدارية[١] فضلاً عن اهتمامهم بعلم الحديث النبوي الشريف، والجدير بالذكر أن دراسة علم الحديث تطورت في عهد السلطان محمد تغلق ونتجت عنه دراسات وكتابات عديدة جديرة بالتقدير من قبل بعض العلماء الهنود الذين رفدوا هذا العلم عن طريق رعايته وتفسيره أيضاً نظراً لما يتمتع به من منزلة عليا في نظرهم لأنه يمثل أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم وأفعاله وبوصفه مكملاً ومفسراً لنصوص القرآن الكريم فضلاً عن أن النبي صلى الله عليه وسلم يمثل الأنموذج الأعلى لهذا الدين في سلوكه وقوله وعمله ونواحيه[٢].

---

[١] مجلة فكر وفن، العدد:١٩، برلين سنة ١٩٧٦م، ص:٢٥

[٢] المصدر نفسه، ص:٢٦

● باكستان قصر ذو ألف باب: صدر هذا الكتاب عام ١٩٦٥م وتناولت فيه شيمل ماضي باكستان وحاضرها وكيف كانت موطناً للبوذية والهندوسية ومن ثم دخول الإسلام إليها وما أحدثه المسلمين من تطور وعمران طرأ عليها.

ولم يكتفي أنا ماري شيمل على التاريخ الإسلامي في الهند فقط، بل أنها عالجت بعض الموضوعات الأدبية الإسلامية وغيرها في اللغة الألمانية والإنجليزية، هدفاً لتعريف أوربا عليها. وكانت شديد التأثر بالأشعار الأردية والفارسية، وهذا يدل على أنها ترجمت بعض القصائد الفارسية والأردية لفحول شعراء الهند، مثل: العلامة محمد إقبال، ميرزا غالب، مير درد دهلوي وغيرهم. وقد نالت هذا الكتب المترجمة الحظوة والقبول في الأوساط العلمية والفكرية والأدبية في بلاد أوربا. وهناك قائمة طويلة لإصداراتها عن والآداب الإسلامية في الهند، ولكن أكتفي هنا بذكر بعض منها مهماً جداً:

- الآداب الإسلامية في الهند(بالإنجليزية) Islamic Arts in India
- محمد إقبال : كتاب الخلود بالألمانية مترجم من الفارسية
- محمد إقبال: جاويد نامه بالألمانية
- أدب السند أو الأدب السندي بالإنجليزية، في سلسة تاريخ الآداب الهندية.
- أدب اللغة الأردية من البداية إلى إقبال بالإنجليزية، في سلسلة تاريخ الآداب الهندية- Urdu Language & Literature from the beginning to Iqbal

- آلام وألطاف: دراسة عن كاتبين متصوفين من مسلمي الهند في القرن الثامن عشر، ١٩٧٨م بالإنجليزية، (A Study of Two Mystical Writers of Eighteenth Century India) هذا الكتاب يلقى الضوء على حياة الشاعرين الهنديين مير دارد الدهلوي، وشاه عبد اللطيف البيهتي وأعمالهما.
- رقص الشرار: دراسات عن المجاز عند غالب، ١٩٧٩م الإنجليزية
- حكايات من باكستان: ١٩٨٠م الألمانية ترجمة عن السندية
- إسهامات ألمانية في دراسة اللغات الهندية والباكستانية، ١٩٨١ الألمانية
- بحث بلا نهاية :١٩٨٣م الألمانية ، حكايات وقصص وطرائف لشاه عبد اللطيف السندي.
- لآلي من الهند: دراسات في الثقافة السندية، ١٩٨٦م الإنجليزية[١].

لقد وصفت الدكتوراه شيمل منهجها في الدارسة والبحث عندما قالت في إحدى المناسبات وبكل وضوح:

"إن طريقي ليس هو طريق التصريحات والبيانات ولا هو طريق الإثارات والزوابع، إنني أومن أن الماء الصافي سوف ينتصر بحركته الدءوب على مر الزمن على صم الحجر"[٢]

شيمل والتصوف الهندي:

---

[١] الجميل والمقدس، آنا مراي شيمل، ترجمة وتحقيق:عقيل يوسف عيدان، الطبعة الأولي:١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م، الدار العربية للعلوم بيروت، ص:١٤٣-١٤٦

[٢] الجميل والمقدس، آنا مراي شيمل، ترجمة وتحقيق:عقيل يوسف عيدان، ص:٢١

عكفت شيمل على دراسة التصوف الذي لفت انتباهها عند البحث عن النواحي الثقافية ، فوجدت أن الصوفية كانت تحاكي الأفكار الهندية القديمة للبوذيين والهندوس (اليوغا) وأناشيد (الفيدا) ، وتعبر شيمل أن الفضل الأكبر يعود إلى الصوفية في أسلمية بلاد عدة مثل الهند وأجزاء من أفريقا. وتعتبر أنهم دعوا إلى المبادئ البسيطة للإسلام بنموذج الحب من دون التطرق إلى مسائل معقدة ودينية وفقهية. وتقول:"تحتل أسماء الله الحسنى مكانة خاصة لدى المتصوفة ، ولا تزال الخلوة الأربعينية القاسية الموصى بها منذ العصور المبكرة تمارس حتى اليوم. وفي القرن التاسع الميلادي نسمع للمرة الأولى عن حفلات موسيقية كانت تقود أحياناً إلى رقص ووجد وجذب دائري. بيد أن المتصوفين الأكثر حصانة ورصانة نظروا إلى ذلك بريبة. فكتبت أبحاثاً عن التصوف الهندي ثم بدأت تدرس أعلام التصوف ومن مؤلفاتها تلك:"دراسة في الأفكار الدينية للسيد محمد إقبال"(A Study into the Religious Ideas of Sir Muhammad Iqbal). وكان هذا الكتاب بالتعاون والاشتراك مع المؤرخ كابريل وينك Gabriel Wing. وقد اهتمت شيمل بالشاعر والفيلسوف الهندي محمد إقبال والأدب الروحي لباكستان. منذ عام ١٩٥٧م وأثناء إقامتها في تركيا حيث ظهرت ترجمتها الرائعة لأهم أعمال محمد إقبال. وفي عام ١٩٧٧م أصدرت لمناسبة مئوية محمد إقبال مجموعة منتقاة من أشعاره مترجمة إلى اللغة الألمانية تحت عنوان"رسالة الشرق" كما نشرت كتاباً عن المتصوف الهندي أسد الله غالب. وأجرت دراسة في أثنين من كتاب التصوف الهندي في القرن ١٨م في الهند باسم" A

Study of Tow Mystical Writers of Eighteenth Century India"[١].

فعصارة القول؛ تستحق البروفيسورة الألمانية الراحلة أنا ماري شيمل أكثر من الألقاب الأكاديمية بكثير، فهي صاحبة مشروع خضم وتجربة فريدة في مجال الاستشراق والتاريخ الإسلامي والتصوف الإسلامي. وهي من المستشرقين الأوربيين القلائل في القرن العشرين الذين أرسوا قواعد صحيحة في الدراسات. وفقد وهبت الرؤية الاستشراقية حقها، ونطقت بحقيقتها، بلا أدنى مغالطات أو تشويه. وبعيداً عن استيلاء الغرب على الحضارات الأخرى، كما هو سائد لدى العديد من المشتغلين في حقل الاستشراق، استطاعت هذه العالمة أن تكون نموذجاً راقياً وأن تؤلف عبر إبحارها المعرفي ما يفوق الثمانين كتاباً ومجلداً بلغات مختلفة.

***

[١] مجلة الوعي الإسلامي، العدد:٥٦٩، ديسمبر ٢٠١٢م، ص:٣٥-٣٦

الـــبـــــــــــــوذيّة
نشأتُها وإسهاماتُ ملوك الهند في تطوّرها

لقمان الوافي لوا*

البوذيّة ديانة بُنيت على تعاليم سيدهارتها (Siddhartha) المعروف باسْم بوذا (Buddha). عاش في شمال الهند في القرن السادس قبل الميلاد. والبوذيون يعتقدون أن سيدهارتها (Siddhartha) واحد من سلسلة البوذوات (Buddhas)، ظهروا في الماضي وسيظهرون في المستقبل[١]. يُتحدَّث عادةً من غوتاما شاكياموني (Gautama Shakyamuni) مؤسسًا لدارما (Dharma). شاكياموني بنفسه أشار في محادثاته إلى البوذوات قبله، الذين كانوا يعظون بنفس المذهب[٢]. وتُعرف هذه الديانة بين أصحابها باسْم دارما (Dharma). ولم يتكلم بوذا عن الدّين، بل كان يدعو الناس إلى دارما. ثم تحوّل النظام الذي أسسه بوذا إلى ديانة بعد وفاته. وهناك نقاش بين الباحثين عن البوذية، هل هي فلسفة أو ديانة؟. والحقيقة أنها كانت في حياة بوذا أقرب إلى الفلسفة منها إلى الديانة. ثمّ تحوّلت بعد وفاته بالعكس. فأصبحت ديانةً بُنِيت على تعاليم بوذا. كشفت التعاليمُ الأصلية لبوذا الطبيعة الحقيقية للحياة والعالم بكل

---

* باحث في مرحلة الدكتوراة، كلية دار العلوم جامعة القاهرة.

[١] انظر The Essence of Buddhism 1, The Buddha And His Teachings 21

[٢] The Essence of Buddhism1

دقة. وعلى أي حال، يجب أن يتمَّ التمييزُ بين التعاليم الأصلية لبوذا وبين الديانة التي أسست على تعاليمه والتي تُدعى عامةً بالبوذية[1]. ولم يترك بوذا لأصحابه كتابا ولا إرشادات مكتوبة، بل كان يُلقي إليهم الخطب والتعاليم، ثم جمعوها بعد وفاته في ثلاثة كتب. وهي المعروف باسْم تيبيتاكا (Tipitaka) في اللغة البالية و ''تريبيتاكا'' (Tripitaka) في اللغة السنسكريتية، بمعنى ثلاث سُلل،. وهي سوتّا بيتاكا (Sutta Pitaka) ووِنايا بيتاكا (Vinaya Pitaka) وأبيدامّا بيتاكا (Abhidhamma Pitaka) وهذه الأسماء باليةٌ لغةً، ثم لما حعلت مدرسة ماهايانا لغة سنسكريتي لغة النصوص الدينية عرفت هذه الكتب أيضا بِسوترا بيتاكا (Sutra Pitaka)، ووينايا بيتاكا (Vinaya Pitaka)، وأبيدارما بيتاكا (Abhidharma Pitaka). ''وللمعلومات المتعلقة بالبوذية في وقتها المبكر علينا أن نعتمد على ''بيتاكاس'' (Pitakas) أو سُللِ القوانين. والأفكار المنصوص عليها في ضمنها وإن لم تكن نفس المعتقدات التي علّمها بوذا، هي الأقرب منها فيما عندنا... وتمّ جمعُها قبل ٢٤١ ق م عندما عُقد المجلس الثالث. وهي بدون شك أقدمُ كتابٍ موجود في تعاليم بوذا وأكثره وثوقاً[2]. وعندما تنفكر أن كتب البوذية التي تصِفُ لنا حياة بوذا كانت متأخرةً ب ٢٠٠ سنة من الحوادث التي تتناولها، ليس من العجب أن تتضمن كثيرا من الأمور الأسطورية المتداخلة مع كثير من الأمور الحقيقية[3]. ولا يُعتَقد أن بوذا تحدّث عن الله، أو نزل عليه الوحي، بل يَحكي كتبُ البوذية أنه وصَف نفسه بشرا مثل الآخرين، ووصف تعاليمه تعاليم إنسانٍ لأحل

---

1 What Buddhists Believe 85
2 Indian Philosophy 1/288
3 Indian Philosophy 1/295

البشرية[١]. "وكان بوذا كائنا فريدا، ومجيءُ مثله نادر في هذا العالم... ولم يكن له معلّمٌ فيما نال من التنوير... تعلّم العلوم الدنيوية من أساتذته العادّيين، ولم يكن له معلّم في علومه غير الدنيوية، وهو أدركها بعقله الحدْسيّ"[٢]. وكان بدأةُ تقشّفه أن تأثر بالحزن والبأس والضعف والمرض والموت وتكرّر الحياة والموت (على ما في الفلسفات الهندية) وما إلى ذلك مما يعاني به الناس. فكان مولغا في التأمل في سبل الخلاص منها. ويُلخّص أفكاره في ثلاثة مبادئ، ١) أسباب الحزن وطرق الخلاص منه ٢) سببيّة الأشياء ٣) وعدمية الإستقرار للعناصر المادّية.

خلفية النشأة :

ومن شأن أي دين أو مذهب أن يكون لنشأته خلفية اجتماعية. والبوذية نشأت من بيئة إجتماعية ودينية دعت لنظام أفضل يرتاح به الناس. وُلد بوذا في وقت وصل فيه الشعب الهندي إلى ذروة المعاناة بنظام الطبقات وبما ترتّب عليه من العادات والواجبات. كان ولا يزال الهندوسيون على أربع طبقاتٍ، البراهمة (Brahmans)، والكْشاترية (Kshatriyas)، والويشية (Vaishyas)، والسودرا (Sudras)، ولكنه في أيامنا ليس بشكل شديد كما كان قبل. ويجعل هذا النظام قدر الإنسان وشرفه على حسب طبقته. ويفضّلون الطبقات على الترتيب المذكور، أعلاها البراهمة وأدناها السودرا. وهناك آراء مختلفة من الباحثين والمؤرخين وغيرهم في سبب نشأة هذا النظام. رأى بعضهم أن البراهمة وضعوا هذا النظام لمصلحتهم لكي يتمتعوا في

---

[١] انظر The Essence of Buddhism 1، Buddha and His Dhamma 195

[٢] The Buddha And His Teachings 22

الدرجة العليا ولكي يجعلوا الطبقات الأخرى في خدمتهم باسْم الدين. وعند آخرين، تكوّنت الطبقات بين الشعب الهندي لما انقسموا على حسب ألوانهم. ويقال إن الآريّين لما وصلوا إلى الهند قبل الميلاد بألفين سنة رأوا لهم حقَّ التفوّق على سكانها القدامى في لون البشرة وفي شؤون الحرب والزرع، لتجربتهم في الحرب والزرْع ولمهارتهم في استخدام الأسلحة والأدوات المتطورة. فوقع هناك انقسام بين الآريين وغيرهم ثم تسرّب شعور التفوق إلى الآريين نفسهم فرأى بعضهم حق التفوق على غيرهم حسب الوظائف والمهارات والقوة. ثم تحول هذا الانقسام إلى نظام الطبقات[١] وصُبغ بصباغ ديني هندوسي. فأيّده من كتب الهندوسية أسفارُ فيدا وشرائع مانو وغيرها. واشتد هذا النظام بين القرن الثالث عشر والقرن الثامن قبل الميلاد تحت ظلّ امبراطورية قويّة قامت في شمال الهند. ففي هذه الفترة المديدة كان الوضع في شمال الهند بحيث لا يستطيع أحدٌ من الفلاسفة وغيرهم أن يتفكر إلا في إطار التقليد الفيدي. ثم سقطت هذه الإمبراطورية بين القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد لسبب لم يُعرف وانكسرت إلى عدة ولايات مستقلّة. واختلفت مواقفُ الحكومات في التمسّك بالتقاليد الفيدية القديمة من ولاية إلى أخرى. فجاء هناك فلاسفة ومفكرون استمتعوا بحرية الفتكر والتعبير، واستطاعوا أن يتجوّلوا فكريّا خارج إطار التقليد الفيدي. اشتهر هؤلاء الفلاسفة الذين دَعوا إلى أفكار مستقلة خارجةٍ عن إطار فيدا باسم سرامانوات[٢] (Sramanas). وكانت معاناة الناس بنظام الطبقات شديدة جدا،

---

[١] انظر India 1/11, 12

[٢] انظر India 1/223, 259

واستبد البراهمة تحت ظله وظهر منهم العسف والجور والطغيان كثيرا. فلا غرْوَ أن الناس استمعوا إلى من رفع صوته ضد نظام البراهمة. وكان أكثر السرامانوات (Sramanas) يرفضون نظام الطبقات واستبداد البراهمة. ومن أشهرهم سيدهارتها (Siddhartha) المعروف ببوذا، مؤسس البوذية (Buddhism) ووارداماناماهاويرا (Vardhamana Mahavira)[١] مؤسس الجينية (Jainism) وهما من طبقة الكشاترية (Kshatriyas).

كان القرن السادس قبل الميلاد قرنَ النهضة واليقظة في تاريخ العالم عموما. ففيه ظهر في الهند بوذا و ماهاويرا، وفي الصين كونفوشيوس[٢] ، وفي إيران زرادشت[٣] وفي الإغريق فيتاغورس وهرقليطس[٤] . وعندما سطرتُ هذه السطور عن القرن السادس قبل الميلاد أستحسنُ أن أشير إلى ما سطع في القرن السادس الميلادي من النور المحمّدي الذي أضاء به العالم بأجمعه . فكان ولادة النبيّ محمد صلّى الله عليه وسلّم في شهر أبريل سنة 571م15[٥] . ساد أصحابه رضوان الله عليهم الناس جميعا علما و خُلقا، وقاد أتباعه الثورة العلمية في القرون التالية ففاقوا الناس في جميع فنون العلم، ثُم لمّا ضعف المسلمون تولىَّ منهم الغرب قيادةَ العلم. واستفاد غير المسلمين

[١] وارداماناماهاويرا (Vardhamana Mahavira) ولد في ٥٩٩ ق م وتوفي في ٥٢٧ ق م.

[٢] كونفوشيوس (Confucius) ٥٥١-٤٧٩ ق م. فيلسوف عظيم، ركزت فلسفته على أخلاق الفرد والحكومة، واستمرت تأثيرها في الحياة الصينية قرونا.

[٣] زرادشت (Zoroaster) ت ٥٨٣ ق م. مؤسس الديانة الزرادشتية، عاش في مناطق أذربيجان وكردستان وإيران الحالية، وظلت تعاليمه وديانته هي المنتشرة في مناطق واسعة من وسط آسيا إلى موطنه الأصلي إيران حتى ظهور الإسلام.

[٤] فيتاغورس (Pythagoras) ٥٧٠-٤٩٥ ق.م فيلسوف و عالم رياضي من يونان القديمة وهو مؤسس الحركة الزهدية المسماة بالفيتاغورية (Pythagoreanism).

[٥] هرقليطس (Heraclitus) ٥٣٥-٤٧٥ ق م. فيلسوف يوناني، عاش في مدينة إفسس. واشتهر فلسفته في طبيعة الأشياء. ومن الملاحظ أن بوذا وهرقليطس توافقا في فكرهما في طبيعة الأشياء.

بتعاليمه صلّى الله عليه وسلّم لا سيما الأخلاقية أكثر مما استفاد بها المسلمون . وهو صلّى الله عليه وسلّم رحمةٌ للعالمين جميعا . ووضعت هذه الأسطر هنا إشارةً إلى المقارنة بين القرنين على ما تقتضيه الحقائق التاريخية.

لمحة إلى حياة بوذا:

إسمه سيدهارتها (Siddhartha) واسم أبيه سودودانا (Suddhodana) واسم والدته ماهامايا (Mahamaya)، واسم أسرته غاتاما (Gautama) واسم قبيلته شاكيا (Shakya). وكانت ولادة سيدهارتها سنة ٥٦٧ ق م، وقيل سنة ٦٢٣ ق م، وهناك أقول أخرى، ويقال إنه توفي في سنة ٨٠.[١] ولد في حديقة لومبيني بقرب كابيلافاستو (Kapilavastu). وهذه المنطقة تقع الآن في شمال مقاطعة جوراكبور (Gorakhpur) من الجانب الشرقي لولاية أترابراديش في شمال الهند. ورأى بعض الباحثين أنها تقع في نيبال[٢]، فهي على رأيهم المنطقة المشهورة في أيامنا باسم تيراي (Terai).[٣] يعد البوذيون منطقة تيراي من أهم الأماكن المقدسة، وهناك عمود تذكاري أسسه الإمبراطور أشوكا عند زيارته. فلعل الأقرب إلى الصواب أن حديقة لومبيني كانت في منطقة تيراي. وكان والد سيدهارتها ملِكاً في بلدة كابيلافاستو. فنشأ في جو الترفة والرفاهة كما ينشأ أبناء الملوك، ولم يكن لوالده ولد سواه، فهو الوارث الوحيد لملكه. وهو الرجاء الوحيد له في استمرار ملك البلدة في نسله. رغم كل هذا، كان سيدهارتها مولعا في التفكر والتأمل منذ صغره، ولم تعجبه ملذّات الدنيا، ولم يستجدبه الملك والقصور.

---

[١] Indian Philosophy 1/291, 295, 2500 Years of Buddhism 21,28

[٢] انظر The Essence of Buddhism 4

[٣] India 1/260

بل شغله ما يعاني به الناس من الآلام والأمراض والشيخوخة والموت وتكرار الولادات على ما في الفكرة الهندية. يتكرر الولادات على الأرواح في الفكرة الهندية، ويكون كل ولادة حسب اقتضاء الأعمال في الولادة السابقة. فكان سيدهارتها دائم التفكر فيما يعاني به البشر وفيما يتخلصون به منه. فجمع عزمه وخرج من القصر في سنه التاسع والعشرين[١]، على المشهور، وقيل التاسع عشر[٢]. وتجول بين الرهبان والزهاد الهندوسيين، وتعلّم منهم بعض العلوم .ثمّ تركهم وأقام في غابة في أروفيلفا (Uruvilva) بقرب من جايا (Gaya) في ماجادا (Magadha) لستّ سنواتٍ يعذب نفسه أشد التعذيب . ثمّ جلس تحت شجرة من فصيلة التين . ويسمى نوع هذه الشجرة بالتين الهندي أو بتين البنغال، ويقال له في اللغة الإنجليزية بِبيبال (Pipal) . وأخذ سيدهارتها على نفسه عهدا عظيما وهو معتكف تحت الشجرة، فقال : ''وليجفّ عظمي وعضلتي وبشرتي ولكنني لن أُغادر مجلسي هذا إلّا إذا تحقَّق لي التنوير الكامل''[٣]. وهذه المنطقة الآن في ولاية بيهار بالهند، ومكان الغابة معروف باسم بوذ جايا (Bodh Gaya). وكم يوما قضى تحت هذه الشجرة؟. هناك روايات مختلفة في هذا الموضوع. إمتدت جلسته تحت الشجرة إلى أربعة أسابيع أو سبعة أسابيع أو إلى ثمانية وأربعين يوما[٤] على ما يقال. حتى تم له الإشراقة التي كان يترقبها. واتضح

---

[١] انظر Barathiya Mathangal 169

[٢] انظر Indian Philosophy 1/293, The Buddha And His Teachings 8, Buddha and His Dhamma 56

[٣] انظر Barathiya Mathangal 147, Basic Buddhism 47, 146

[٤] في كتاب "Indian Philosophy" ١/٢٩٣ أنه جلس تحتها سبعة أسابيع، وفي كتاب "Basic Buddhism" ص ٥٣ و "Barathiya Mathangal" ص ١٤٨ أنه جلس ٤٨ يوما وهذا قريب مما قبلـــه، وفي "Buddha and His Dhamma" ص ٨٧ و "2500 Years of Buddhism" ص ٢٤ أنه جلس أربعة أسابيع.

له أسباب ما يعاني به الإنسان من الحزن والعناء والشقاوة، وفهِم الحقائق الأربعة النبيلة، وكشف له الطريق الذي يتخلص به الإنسان مما يعاني به على اعتقاد البوذية. فصار ملقبا ببوذا بمعنى أنه فهم الحقائق الأربعة النبيلة. وسميّ الشجرة التي تم له الإِشراقة تحتها بشجرة بو (Bo-Tree) أو شجرة بوذي (Bodhi Tree). ثم قضى بوذا حياته في دعوته الناس إلى مذهبه إلى أن توفي في سنه الثمانين على ما قيل. وكان سبب المرض الذي أده إلى الموت أن أكل طعاما صعبا للهضم أهداه إليه جوندا (Chunda)، وكان حدّادا في مدينة باوا (Pava) التي كانت تقع شرق كوشينجار على بعد خمسة عشر كيلومتر. وذلك لما نزل بوذا في مدينته، وتوفي بوذا في كوشينجار (Kushinagar) التي تقع الآن في مقاطعة جوراكبور (Gorakhpur) في ولاية أترابراديش شمال الهند[١].

وقد نالت البوذية قبوليةً عجيبة بين الطبقات المختلفة في الهند أيام بوذا . دخل فيها الملوك والزهاد والعوام أفواجا. واعتنقها كثير من البراهمة منذ نشأتها وإن كانت ضد البراهمة في استبدادهم وتعسفهم. ولا شك أن بوذا نجح في تروية العقول بمبادئه وأفكاره. لأنه كان يناقش كبار الطوئف المعاصرة له ويغلبهم، فكانت النتيجة أن دخلوا هم وأتباعهم في البوذية، على ما نقرؤه فيما كُتب عنه. وما كان ذلك إلا لسببِ أنه واجههم بما يهدم معتقداتهم الباطلة وعاداتهم الظالمة ونجح هو في إثبات مذهبه منطقيا وعقليا. ولكن لمّا توفِّي بوذا سرعان ما بدأ اضمحلالُ البوذية، ثم انتعشت

[١] انظر 2500 Years of Buddhism 28,29, Buddha and His Dhamma 449,459

مرة أخرى أيام إمبراطور أشوكا بصيته وشهرته ولِما اسخدم في نشرها مرافق السلطة. ''وكانت البوذية خلال القرنين الأولين بعد نرفانا (وفاة بوذا) لا تتميّز عن سائر حركات التكشف. ومن الوضح أنّ البوذية ظهرت في فترة (الإمبراطورية) ماوريا كدين متميّز مع إمكانات كبيرة للتوسع''[١] . ولولا أرسل أشوكا إلى خارج الهند مَن ينشرها في البلاد المختلفة لما بقيت البوذية على وجه الأرض . لأنّ وجودها في الهند أصبح ظلّا لوجودها خارج الهند . وكيف تسّرب الإضمحلال بِهذا الشكل إلى البوذية في بلد كانت مهدا لنشأتها وشهدت فيها انتشارا عجيبا في مرحلة نشأتها؟. ولقد واجهت البوذية عداوة شرسة منذ نشأتها من البرهمية والجينية وغيرهم. فكان هناك محاولات رديئة لقتل بوذا ولإنتقاص شخصيته، مثل المحاولة لقذفه بالزنا[٢]. ولم يتمكّن الأعداء من تحقيق هدفهم أيام حياته، ولكنهم غلبوا عليها بعد وفاة بوذا. ويحتمل أن يكون هناك هجوماتٌ شديدة في شكل الإستعمار العقدي والفكري، وهي أشد من الهجوم على الأفراد والمؤسسات. فتسرّب إلى معتقداتها التبديل والتحريف بشكل هائل، فأصبحت لا تختلف عن الهندوسية إلا قليلا، وفقدت ميزتها في بلاد الهند، حتى لا تظهر عند الباحثين عنها إلا مثل فرقة من فرق الهندوسية، فقال ريس دافيد (Rhys

---

١ 2500 Yaers of Buddhism 60

٢ انظر Buddha and His Dhamma 411,412,413-415

(David [١] ''غاتاما وُلد و نشأ وعاش ومات هندوسيا. وأكثر ما في ميتافيزيقيا ومبادئ غوتاما موجود في إحدى الأنظمة الأرثوذوكسية. و يطابِق كثير من مبادئه الأخلاقية لما في كتب الهندوسية القديمة أو المتأخرة''[٢].

إسهامات ملوك الهند في نشر البوذية:

١ - الإمبراطور أشوكا

وإن كانت هناك اتجاهات الإنشقاق الديني بين أتباع بوذا أيام حياته ولكنها لم تكبر أمام شخصيته المغناطيسية، ولمّا توفِّي بوذا كشفت الاتجاهات عن سترها بشكل واضح، فتفرقت البوذية إلى ثماني عشرة فرقة في قرنه الثاني[٣]. وقال رادا كريشنان[٤]: نحن لا نعرف كثيرا من التفاصيل عن تطوّر البوذية إلى وقت أشوكا . ولمّا اعتنقها إمبراطور أشوكا بعد مائتين وخمسين سنة من وفاة بوذا كان هناك انتشار واسع للبوذية. وأصبحت البوذية بجهود أشوكا ديانةً عالمية بعد أن كانت طائفة محلّية للهندوسية لثلاثة قرون تقريبا، بعد وفاة بوذا[٥].

أشوكا (٣٠٤-٢٣٢ ق م) إمبراطور مشهور في تاريخ الهند. وهو حفيد لِتشاندراغُبْتا ماوْريا (Chandragupta Maurya) مؤسس الإمبراطورية

---

[١] توماس ويليم ريس دافيد (Thomas William Rhys David) ١٨٤٣-١٩٢٢ عالم اللغة بالي (Pali) من بريطانيا، ومؤسس "بالي تيكزت سوسيتي" (Pali Text Society)

[٢] India 1/263,264

وأصل النص في كتاب ريس دافيد 'The History and Literature of Buddhism' ص ٣٣ (١٨٩٦)

[٣] انظر Indian Philosophy 1/498,499

[٤] رادا كريشنان (Radhakrishnan / 1888-1975) أول نائب رئيس لجمهورية الهند المستقلة والرئيس الثاني لها، وعالم متبحر في الفلسفة الهندية.

[٥] انظر Indian Philosophy 1/499

الماورية، والحكومة الموحدة في الهند أول مرة في تاريخها. وأسّس تشاندراغبتا إمبراطوريته في الهند حين غلب على سلوقس (Seleucus) قائد جيش الإسكندر المقدوني سنة 322 ق م. ثم تولّى بعده ابنه بيندوسارا (Bindusara)، وجاء بعده ابنه أشوكا سنة 273 أو 269 ق م. وبعدما مضى على أشوكا ثماني سنوات في العرش شنّ حربا مدمرة مريرة ضد الدولة كالينجا (Kalinga) الواقعة في جزء من مناطق أوريسا وأندرا براديش من ولايات الهند الحديثة. وهي من أكبر المعارك التي شهدها العالَم ومن أكثرها دمويةً. وكانت كالينجا حملت مقاومة شديدة غير أنها لم تكن تضاهي القوّة الصارمة لأشوكا. ويقال إن نهر دايا (Daya River) الذي يجري بجنب كالينجا تحوّل في أعقاب معركة كالينجا إلى لون أحمر بِدماء القتلى حين قتل فيها أكثر من مائتي ألف محارب. ولما شاهد أشوكا سفك الدماء بعينيه وشعر أنه هو السبب في هذا الدمار وسفك الدماء دفعه حزنه إلى أن يجعل حياته فيما بعدُ في خدمة دارما (البوذية) ومبدئِ أهمسا (Ahimsa) أي اللاقتل. فانتهى أشوكا من التوسعة العسكرية لإمبراطوريته بعد هذه المعركة الدموية، ثم قادها واحدا وأربعين سنة في السلام والوئام والرخاء[١].

أخذ أشوكا بعد معركة كالينجا الدموية قرارا لنشر حياة جديدة بين الناس. وحمل المسئولية لنشر تعاليم بوذا على عاتقه بنفسه. فعيّن الموظفين ليجولوا البلاد في البعثات الدينية بهذا الخصوص. وأرسل المبشرين بتعاليم بوذا إلى جميع أنحاء الهند. وأَمر بنقش مراسيمه على الصخور وأعمدة الحجر لتكون باقيةً إلى الأبد. وهي المشهور بِمرسوم أشوكا. فبقيت لتكون

[١] انظر India 1/17-19, http://indiansaga.com/history/magadha_kalinga.html

أوّل دليل محسوس للبوذية، ووصفا تفصيليا لأول توسعٍ شهدتْه البوذية تحت رعاية أشهر الملوك الهندية، وشهادةً قائمة على الجهود التي قدّمها الإمبراطور أشوكا في التبشير البوذي. قام أشوكا بعد عشرين سنة من حكمه بِزيارة حديقة لومبيني التي وُلد فيها بوذا وبنى فيها عمودا تذكاريا ونقش عليه أنه زار المكان إجلالا لمحلّ ولادة بوذا. وزار أيضا بوذ جايا (Bodh Gaya)، وسارناد (Sarnath). أوّلهما مكان اعتكاف بوذا إلى أن تمّ له التنوير، وفي المكان الثاني ألقى أول خطبته بعد التنوير.[١]

وكان له سعي كبير في بناء الأديار المسمّاة بِبوذا فيهار (Buddha Vihar) وكلّف فيها الأموال. وعُقد في عهده وتحت رعايته المجلس الثالث من مجالس البوذية المشهورة. وكان في باتاليبوترا (Pataliputra) سنة 250 ق م تقريبا. وعلى ما يبدو مما كُتب عن تاريخ البوذية، إنّ القرار لإرسال البعثات الدينية إلى البلاد المختلفة جاء بعد هذا المجلس[٢]. فأرسل البَعثات إلى كشمير ومناطق هيمالايا وميسور وسيلان (سريلانكا) والإغريق وإلى بلاد أخرى. وأرسل أشوكا ابنه ماهيندرا وابنتَه سانغاميترا (Sanghamitra) إلى سيلان. فمن الواضح أن جهود أشوكا كانت مسؤولة الى حد كبير لتعميم تعاليم بوذا داخل وخارج الهند. وهو الذي مهّد الطريق للمبشرين البوذيين - وأحيانا مع مساعدة الملوك مثل كانيشكا - لأخذ البوذية إلى آسيا الوسطى والصين واليابان والتبت في الشمال، وبورما وتايلاند وكمبوديا وبلدان

---

[١] انظر 2500 Years of Buddhism 57

[٢] انظر 2500 Years of Buddhism 44-47, 59
http://buddhism.about.com/od/theemperorashoka/fl/The-Third-Buddhist-Council-Pataliputra-1.htm

أخرى في الجنوب[١] . وانتشرت البوذية بجهوده في الهند حتى أصبحت أهم ديانة فيها. وقال رادا كريشنان : ''لقد نجحت البوذية في تقويض البرهمية في بلد كانت فيها ديانةً سائدة لأكثر من ألف سنة ثم أصبحت البوذية ديانةً رسمية للهند لمائتي سنة تقريبا ''[٢].

٢ - الملك ميناندر (Menander) أو ميليندا (Milinda)

استمرت البوذية في مكانتها كأهمّ ديانة للبلاد الهندية طوال فترة الإمبراطورية الماورية إلى أن اغتيل سنة 185 ق م آخرُ الملك الماوري بريهادراتا (Brihadratha) خلال عرض عسكري من قبل قائد بِرَهْميٍّ بِاسم بوسياميترا سونغا (Pusyamitra Sunga) مؤسّس إمبراطورية شونغا (Shunga Empire). وكان سقوط الإمبراطورية الماورية بيد البراهمة صدمةً هائلة للبوذية؟ ونهضت البرهمية في مهد إمبراطورية شونغا. وفي فترة تراجع الإمبراطورية الماورية كان الغزاة اليونانيون عقدوا سلطانهم شمال غرب الهند وجنوب أفغانستان وأسسوا مملكةً هندية يونانية. و ازدهر خلالَ فترة هذه المملكة حوالي ثلاثين حاكما، وبقي منهم للملَك ميناندر أثرٌ يُذكر في تاريخ البوذية. ولديهم كتاب في لغة بالي بِاسم" ميليندا بانها" (Milinda-panha) بمعنى أسئلة ميليندا. وهو مرجع أساسي للمعلومات عن هذا الملك، وهو يسمّى بِميليندا أو ميناندر. عاش المَلك ميناندر في القرن الأول، أو في نصف القرن الثاني قبل الميلاد. وكان عالما متبحرا ذا مهارة في النقاش والجدال. ويقال في قصة اعتناقه البوذية أن كانت لديه مشكلات يطلب حلَّها.

---

[١] انظر 2500 Years of Buddhism 59,60

[٢] Indian Philosophy 1/400

فناقش فيها كثيرا من المعلِّمين والراهبين. فلم يقتنع الملِك بما عندهم من البيان والأجوبة. وأخيرا اتفق أن رأى بيكشو (راهبا بوذيا) بِاسم ناجاسينا فناقش معه فوجد عنده حلاّ لكل مشكلاته. وهذا النقاش الذي جرى بينه وبين ناجاسينا هو موضوع كتاب "ميليندا بانها". وهو أبرز كتب في الأدب البالي ما عدا الشريعة من وقت مبكِّر للبوذية. وفي نهاية المحادثة التي استمرت بضعةَ أيام شكر الملكُ لناجاسينا واعتنق البوذية وطلب منه أن يقبله إلى قسم العوام من البوذية[١]. وبنى دَيرا (بوذ فيهار) للبوذية، وقدّم تبرّعات كثيرة للجماعة البوذية (بيكشو سانغا). وكان وفاته بعدما سلَّم مملكته لإبنه على ما يقول كتاب "ميليندا بانها". وكانت النقود التي نفّذها في مملكته تحمل عجلة دارما (Dharmacakra)، إحدى شعار البوذية. ويُقال إنه قد ساند في نشر البوذية في إقليم بين هندو كوش (Hindu Kush) والسند.[٢]

٣ - الإمبراطور كانيشكا (Kanishka)

كان الإمبراطوركانيشكا من أباطرة كوشان (Kaushan) الذين حكموا امبراطورية تمتد من تورفان (Turfan) في حوض تاريم (Tarim Basin) إلى باتاليبوترا (Pataliputra) المسمّاة في أيامنا بِاسم باتنا (Patna) والواقعة على الضفة الجنوبية من نهر الغانج (Ganga). ولم يحدد المؤرخون فترة تأسيس إمبراطورية كوشان إلا أنّ هناك أدلة تكشف وجود إمبراطورية قوية بِاسم كوشان في بداية القرن الأول الميلادي. ولم يتفق المؤرخون على جنسية ملوك كوشان إلا أنهم ناقشوا احتمال أن يكونوا من الأتراك أو

---

[١] للبوذية قسمان، قسم للخواص وهو بيكشو وقسم للعوام وهو أباساكا

[٢] انظر 2500 Years of Buddhism 195-198

وهندو كوش (Hindu Kush) سلسلة جبال في أفغانستان وشمال غرب باكستان، السند هي إحدى أقاليم باكستان.

الإيرانيين، أو المنغوليين أو الباختريين (Bactrians) وما إلى ذلك. يقال عن كوجولا كادفيسيس (Kujula Kadphises) إنه مؤسّس هذه الإمبراطورية وإنه كان من البوذيين. وكان جد الإمبراطور كانيشكا. ووصلت شهرةُ إمبراطورية كوشان في أوجها خلال فترة كانيشكا. واختلفوا في تحديد فترة حكمه أيضا، ولعلّها من سنة 78 إلى 101 م. وتمثِّل فترته نقطة تحوّل في تاريخ البوذية. و عُقد تحت رعايته المجلس الرابع من المجالس المشهورة في تاريخ البوذية. وعلى ما يتبين من الأدلّة النقودية أنه كان في بدأة أمره تابعا لأحد الديانات الإيرانية ثم تركها واعتنق البوذية. وإن لم يوجد هناك أدلّة قاطعة على تاريخ تحوّله الديني إلا أنّ من المتأكّد تقريبا أن يكون مجلس البوذية الذي عُقد تحت رعايته في سنة 100 م. وهناك تشابه بينه وبين أشوكا في قصة التحول الديني. وأدّاه إلى البوذية ندمُه على سفك الدماء خلال الفتوحات التي قام بها في كاشجار ويأركاند (Yarkand) وكوتان(Khotan) كما وقع لأشوكا في معركة كالينجا. وشهدت فترته لنشأة فرقة كبيرة في البوذية، وهي ماهايانا. وإن كانت البوذية انشقّت إلى عدّة فرق قَبلها، فإنها انضمّت إلى فرقتين عظيمتين فيما بعدُ، وهي هينايانا وماهايانا. ومن هنا جاءت لغة سنسكريتي لغة أدبية للنصوص الديني لدى فرقة ماهايانا. وكانت البوذية وصلت إلى وسط وشرق آسيا خلال عهد كانيشكا وإلى حد كبير من خلال جهوده. وكان في جميع أنحاء امبراطوريته الشاسعة نشاطات تبشيرية للبوذية. فكانت به تكملة النشاطات التي قام بها أشوكا في خدمة البوذية. وكان كانيشكا يحترم جميع الديانات والمعتقدات.

وبعد كانيشكا فشل حكام إمبراطورية كوشان في الحفاظ على تماسك وقوّة الإمبراطورية. وكانوا منتسبين إلى ديانات مختلفة[١].

٤ - هارشا (Harsha)

بعد تراجع الإمبراطورية العظيمة لملوك غوبتا في وقت متأخر من القرن الخامس، لم يكن هناك قوة عظيمة واحدة في شمال الهند. وبالتالي، برز عدد كبير من الممالك الصغيرة المستقلة في المنطقة. ومنها مملكة بوشبابوتي (Pushpabhuti). ومن بين حكامها هارشا ويسمىّ أيضا بِهارشافاردانا (Harshavardhana). تولى الحكمَ في سنه السادس عشر عام 606م. وقام بِشن الحروب ضد المملكات الصغيرة حتى يجعل الهند تحت سيادة حكم واحد، وظفر بهدفه. وكان والده من عبدة الشمس. و هارشا كان يعبد الشمس وشيفا إحدى آلهة الهندوسية وكان يتدين بِالبوذية أيضا. ويقال إنه كان في بدأة أمره في البوذية ينتسب إلى فرقة هينايانا، ثم تحول إلى ماهايانا. ومنع في مملكته قتل أي كائن حيٍّ لأجل الطعام. واقتداءً بِأشوكا بنى أماكن خاصة تسمىّ بِدارماسالا(Dharmasala) لتزويد الفقراء بالطعام والشراب والدواء. وقدّم هارشا خدمات عديدة لصالح البوذية، وبنى عديدا من الأبراج البوذية (ستوباس) بِاسم بوذا. وأهم الأحداث في عهده مجيء الراهب البوذي الصيني يوان تشانغ (Yuan Chwang) إلى الهند سنة 630 م في زيارة مقدسة. وبقي يجوّل فيها إلى سنة 644 . والتقاه هارشا أول مرة عند رجوعه من فتح أوريسا، وعامل معه بِغاية التبجيل والضيافة، ودعا

---

[١] انظر 2500 Years of Buddhism 47-50,199-202, Indi India 1/20,21

لتكريمه مجلسا خاصا وحضر فيه آلافٌ من البوذية والجينية والبراهمة. وتُوفي هارشا سنة 647 م[١].

أصبحت البوذية ديانة عالمية بجهود ملوك الهند بعد أن كانت منحصرة لبعض المناطق في شمال الهند أيام مؤسّسها وبعد أن أصابها فتور في الوقت المتعاقب لوفاته. وقد حُظيت بِإقبال كبير من الناس أيام مؤسسها، ولعلّه بسبب قوة المبادئ والفلسفة التي بنى عليها مذهبه. ويدلّ عليه أنه كان يدعو ويناقش من يُخاصمه حتى يُثبت مبادئه وفلسفته. ثمّ أصابها فتور بعد وفاة بوذا، ولعلّه بسبب اختلاطها مع معتقدات أخرى سائدة في الهند. ففقدت خاصيتها من بين الديانات الهندية ولا سيما الهندوسية. ثم انتعشت أيام أشوكا والملوك الذين سبق ذكرهم و عبرت بِجهودهم حدود الهند وانتشرت في بلاد مختلفة. واعتضدت بصيت هؤلاء الملوك الكبار وبشهرتهم داخل الهند وخارجها. وأصبحت في أيامنا في المكان الرابع بعد المسيحية والإسلام والهندوسية من الديانات الكبرى على مستوى العالَم. وينتسب إليها 488مليون (٧%) من مجموع السكّان[٢]. ومن هذا العدد ١.٩% فقط في الهند[٣]. والباقي في البلاد المختلفة. ومكانتها من مجموع سكّان الهند ٠.٨% فقط[٤] بعد أن كانت أكبر دياناتها طوال مائتي سنة أو أكثر.

المصادر والمراجع

1) Indian Philosophy , S. Radhakrishnan, Oxford university press, 2008

[١] انظر 2500 Years of Buddhism 202-206, 262-274
[٢] انظر http://www.pewforum.org/2012/12/18/global-religious-landscape-exec
[٣] انظر http://www.pewforum.org/2012/12/18/global-religious-landscape-buddhist
[٤] انظر http://censusindia.gov.in/Census_And_You/religion.aspx

2) 2500 Years of Buddhism , Prof. P. V . Bapat, The Publications Division, Government of India,1956

3) Buddha and His Dhamm , Dr. B R Ambedkar , Siddhartha Chabukswar.

4) The Essence of Buddhism , P. Lakshmi Narasu,Asian Educational Services, New Delhi,2010

5) The Buddha And His Teachings, Venerable Narada Mahathera, Buddhist Publication Society Kandy, Sri Lanka,2010

6) What Buddhists Believe , Dr. Sri Dhammanada, Buddhist Missionary Society Malaysia, 2002

7) Basic Buddhism , Nan Huai- Chin, Jaico Publishing House, Mumbai,2003

8) India (History,Religion,Vision, and Contribution to the world), Alexander P. Varghese.

9) Barathiya Mathangal , A.T. Muhammed Ali Al-Qasimi, Islamic Mission Of Alumni Of Markaz (IMAM), Markazu Tharbiyathil Islamiyy , Valanchery, Kerala,2007

قصائد

وصـــال الـــغـــزال

الدكتورسعيد بن مخاشن*

تمنيت دهـــرا وصـــال العشيق فرد الزمان ندائي بدفق (المتقارب)

فيا ليت شعـــري وصلت نياما ألمـــت علـــي ونالت لـــحـــــاقي

فيومـــا اتاني غـــزال ذعـــور وتمشي الهويني برحب الليـــــاق

فنفسي الفـــداء بعين تلـــــوح بزين الحياء وحســـن الـــــرواق

وثغـــر غذاه العيـــون العذاب وزان زلال المـــيـــــاه نسيـــق

وصادت فـــؤادي بطرف طماح وعلت مليـــا بعيـــن الرحيـــق

سرت في مسري الدماء وتجري كجري النطاف العـــذاب بحق

وكاد الـــفـــــؤاد يذوب غراما وقلبي يطير هـــواء بعشـــــق

وكـــم تقت حقـــا لقاءا وقـــربا ركبت ذلولا وصعبـــــا بشوق

سهـــرت الليالي لا نوم فيـــها تركت الرقـــــاد بشد النـــطاق

وبئر نزوع وردت الصـــبـــاح وامسيت عطشان طـــورا بعشق

فصرت عجابا كثيـــر العـــــدو بحب الغزال قليـــل الصـــديق

---

* الاستاذ المساعد بجامعة مولنا آزاد الاردية الوطنية

قــصــيدة " كأس الفـــــراق "

الدكتور سعيد بن مخاشن*

سقاني الزمان كؤوس الفــراق وأغري بهجر اراضي الرفاق (المتقارب)
رماني الدهور اقاصي البــلاد فطارت طيـــــور بصبح انطلاق
ركبت ركاب الضعـــان بدون الرضـــاء وانضيت خيل الشقاق
فكم من نواد تركت الجميـــــع واعرضت حقـــا بكاء الصـــديق
وفيها قد اخضر عـــــود الحياة وعيش سواهـــــا كعــود حريق
وحانوت قـــــوم دخلت بعطش شربت الخمور أمـــــر المــذاق
بدا لي نديمي مليـــــئ الضباب والقي عليـــــه ستار النفـــــاق
فالقي علي غلال الــدهـــــــور وشد الـــــرباط أشـــــد الوثاق
فما راق قلبـــــي نديمي ولابـــا لديـــار رضيت ولابالرفيـــــق
تذكرت قـــوما اتوني صبـــاحـــا وصبـــوا علي بكأس دهـــــاق
فمهـــلا بعذري أطيـــق الركاب اطلت الغيـــــاب بدون اشتياق
فكفوا الملامـــــة عني فهـــــذا أشد علـــي بذا مـــــا الاقـــــي
وكيف تطيب الحيـــــاة سواكم وناد وخمـــــر وكأس وســـاق
عصمت بحبل الوصـــال دواما وما رمت قـــط ذيول الطـــلاق
ففاضت دموع العيـــون القروح كسيل جري من بطون العروق
وغاضت ميـــــاه شئون العروق فيا مـــن بعـــاد وقلب خفـــوق

---

* الاستاذ المساعد بجامعة مولنا آزاد الاردية الوطنية

تأثير الإسلام واللغة العربية في تطوير اللغة الأردية وآدابها

صاحب عالم الأعظمي الندوي[١]

المقدمة

فإن اللغة الأردية تحتل مكانة مهمة لكونها اللغة المشتركة لشعب كل من الهند والپاكستان وواحدة من اللغات الرسمية في الهند إلى جانب كونها لغة أولى لدولة پاكستان الشقيقة، وهي إحدى أكثر اللغات انتشاراً في شبه القارة الهندية وقد انتقلت عن طريق الهجرة إلى أجزاء كثيرة في العالم، ومع ذلك فليس هناك موطن محدد تعدّ الأردية فيه اللغة الوحيدة المستعملة، إلا أنها عند معظم مسلمي الپاكستان والهند رمز اعتزاز كبير وناظم لهويتهم الثقافية والتراثية.

تؤكد الأدلة كلها أن اللغة الأردية بدأت كخليط من عدة لغات هي: الهندية والفارسية والعربية ثم الخاري بولي أي اللغة المكسرة أو العامية المحلية. وقد اتخذت تسميات عدة مثل لغة «الريختا» أي اللغة المختلطة، و«الهندوستانية» وهي التسمية التي كان يستخدمها الإنگليز خصوصًا، ثم الأردية التي صارت التسمية المفضلة، وهي مشتقة من الكلمة التركية أوردو *Ordu* وتعني البدو الرحل، كما كانت مراكز قيادة الجيش البريطاني في

[١] كلية دار العلوم، جامعة القاهرة – جمهورية مصر العربية

دلهي تُعرف باسم أوردو المعلى *Urdu-e-Mualla* أي المعسكر السامي، وهكذا استقت الأردية تسميتها الحالية من كونها لغة هذا المعسكر وكونها فيما بعد لغة دلهي عاصمة الحكم الإسلامي.

وتجدر الإشارة إلى أنها مرت بمراحل عديدة لكي تصبح لغة بخصوصيتها وبكيانها الخاص، وهي مرحلة طويلة بدأت منذ بداية العلاقات العربية والهندية قبل الإسلام وبعد الإسلام ثم في عصر الفتوحات الإسلامية في السند والپنجاب إلى أن قامت دولة سلطنة دهلي وسقطت، ما دفعتها إلى أن تنتقل إلى الجنوب لكي تصبح لغة رسمية في بلاط كل من مملكتي گولكندة وبيجاپور وغيرها من الإمارات المستقلة حيث بدأ حكام هذه الإمارات المستقلة يكتبون مجموعات شعرية باللغة الأردية كما استخدمت هذه اللغة في الدكن لغة للأدب، لاسيما الشعر[١].

تكتب اللغة الأردية من اليمين إلى اليسار شأنها شأن اللغة العربية، ذلك أنها تكتب بحروف عربية حوِّرت لتناسب الفارسية ثم الأردية. وحافظت الأردية على قواعد اللغة الهندية مع تعميم بعض الصيغ الموجودة في اللهجات المحلية، وتختلف الأردية عن الفارسية في التفريق بين المذكر

[١] خصوصًا في عهد الدولة العادلشاهية في منطقة بيجاپور والتي تأسست عام ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م على يد السلطان يوسف عادل شاه وانتهت بقضاء السلطان أورنگزيب عليها وضمها إلى الدولة المغولية عام ١٠٩٦هـ/ ١٦٨٥م، وكذلك في عهد الدولة القطب شاهية بمنطقة گولكنده والتي تأسست عام ٩١٦هـ/ ١٥٠٩م على يد السلطان قلى قطب شاه وانتهت هي الأخرى بضمها إلى الدولة المغولية على يد السلطان المذكور نفسه عام ١٠٩٨هـ/ ١٦٨٧م، وكذلك الدولة النظام شاهية (أحمد نگر) بالدكن والتي أسسها أحمد نظام شاه بحري عام ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م، وضمتها الدولة المغولية عام ١٠٠٩هـ/ ١٦٠٠م) وظهر فى عهد هذه الإمارات المستقلة، التي حكمت في جنوب الهند، العديد من الشعراء الكبار فى اللغة الأردية حتى أن كثيرًا من سلاطين الدولة القطب شاهية - على سبيل المثال- كانوا شعراء كبار، وتركوا لنا دواوين وكليات، وعلى رأسهم محمد قلى قطب شاه (٩٨٨هـ/ ١٥٨٠م- ١٠١٨هـ/ ١٦١٠م) الذي يعد صاحب أول ديوان بالأردية. راجع عظيم الحق جنيدي: تاريخ أدب أردو، ط: دهلي الهند ١٩٨٠م، ص٢١٦.

والمؤنث مثلاً، كما استمر النظام الصوتي المميز للغة الهندية في كل اللغات الهندية-الآرية منذ أيام السنسكريتية، وإن كان دخول الكثير من الكلمات الفارسية والعربية قد جلب معه أصواتًا جديدة لم تكن موجودة من قبل مثل: الـ (خ، غ، ق، ش، ظ) على أن التجديد الأكثر وضوحًا في هذه اللغة الجديدة هو تمَثُّل الكثير من الألفاظ الفارسية، التي كانت اللغة الفارسية قد تمثَّلت نظائرها من العربية واستوعبتها، إلى أن صارت الأردية لغة مسلمي شبه القارة الهندية وأداة التعبير الحية لأدبها.

هذا وتجدر الإشارة إلى أنه كان لانتشار الإسلام والثقافة الإسلامية في شبه القارة الهندية واعتزاز الناس به أثر كبير في تسرب مفردات اللغة العربية ومصطلحاتها وحروفها وأساليبها إلى اللغة الأردية، وكان استخدام المفردات العربية في اللغة الأردية يتناول جميع المجالات مثل العلوم والفنون والهندسة والاقتصاد وشئون الإدارة والقانون والتعليم وغيرها. وهناك أمر مهم أريد أن ألقي النظرة السريعة عليه ألا هو قضية نطق الكلمات والمفردات العربية الكثيرة التي دخلت إلى الأردية واللغات الهندية الأخرى ولكن بسبب صعوبة النطق بها حذف الهنود بعض الحروف أو حرفوها وذلك بسبب دخول وانتشار اللغة الفارسية في الهند في القرن الخامس للهجري تلاشت المخارج العربية للتعبير عن بعض الحروف العربية وقد أصبحت الفارسية هي لغة رسمية للدول والإمارات الإسلامية عبر العصور إلى أن قامت الدولة المغولية في القرن العاشر للهجري فقام السلطان أكبر المتوفى عام ١٠١٣هـ/١٦٠٥م بعد انحرافه عن الإسلام بمنع وتداول اللغة العربية وآدابها والعلوم الإسلامية حتى قامت اللجنة العلمية

بإخراج بعض الحروف العربية المهمة مثـل "ث، ح، ع، ص، ض، ط، ظ" من القواميس، فبدؤوا يكتبون عبد الله "أبد الله" و"رمضان" رمـزان" و"أحـد" اهد" وغيرها وكانت هذه الضربة قاسية للغاية وبالتالي لم يخرج الهنود مـن قضية النطق الصحيح لكثير من الكلمات العربية خصوصًا وفيهـا الكلمـات المذكورة أعلاه[١].

وقد انضم عدد كبير من مفردات اللغة العربية إلى اللغة الأردية طـوال الاحتكاك بينهما لأن اللغة العربية لغة الحضارة الراقية تحمل معهـا تيـارًا جارفًا من الكلمات الجديدة التي تمثل أفكارًا وعادات جديدة كمـا أن الـدين الإسلامي والأدب العربي قد أثريا اللغة الأردية بالكلمات العربية عن طريق كتب العبادات والمعاملات والحكايات وغيرها منذ مئات السنين وما زالـت حتى الآن تفيض بمفرداتها.

ومن الصعب استيعاب الكلمات العربية الدخيلة إلى الأردية لأن هنـاك عددًا كبيرًا لا يحصى، إنما الهدف من هذا البحث هو تسليط الضـوء علـى الكلمات الخاصة من الأسماء والأفعال العربية سواء كانت جامدة أو مشتقة، والتي خضعت بعد دخولها إلى اللغة الأردية لنظام الصرف والنحـو الأردي فلحقت بها السوابق واللواحق والإضافات وغيرها لتؤدي المعاني المطلوبـة من أحوال مختلفة لكل كلمة.

---

[١] ملا عبد القادر البدايوني: منتخب التواريخ، ترجمة أردية الدكتور عليم أشرف خان، ثلاث مجلدات، ط:قومي كونسل أردو زبان، دهلي ٢٠٠٨م، جـ٢، ص٢٥٧ وقد أدت هذه النشاطات الثقافية غير الإسلامية بنشر الأسماء والكلمات الشركية في المجتمع الهندي. وشاعت الأسماء مكان عبد الله عبد النبي، وبنده علي وحسن وحسين بعني عبد علي وحسين وحسن وعبد الرسول، وذلك كله بسبب الانحرافات الدينية وتأثير كبير للثقافة الإيرانية المتشيعة.

وكذلك سأحاول البحث عن الكلمات العربية الأصيلة التي توجد في اللغة الأردية وركّبها الهنود بلغتهم لإبداع ألفاظ جديدة للتعبير عن أمور مستحدثة في الحياة الفكرية والاجتماعية وغيرها، بجانب الكلمات العربية التي بقيت وحافظت على معانيها الأصلية أو إحدى معانيها، بالإضافة إلى الألفاظ العربية الدخيلة التي تغيرت مدلولاتها. وبجانب ذلك سأبحث عن مدى تأثير البلاغة العربية في البلاغة الأردية.

هذا وسيتضمن البحث النقاط التالية:

١. التعريف باللغات الهندية وتاريخها وتأثير اللغة العربية فيها.
٢. التعريف باللغة الأردية وآدابها، أي تاريخها ونشأتها..
٣. كيفية تهنيد الألفاظ العربية في اللغة الأردية مع تقديم أمثلة عديدة.
٤. تحقيق بعض الكلمات الأردية ذات الجذور العربية وتاريخها.
٥. تأثير البلاغة العربية في البلاغة الأردية.
٦. نتائج البحث وقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول:

التعريف باللغات الهندية وتاريخها وتأثير اللغة العربية فيها

لقد كانت الهند منقسمة إلى الإمارات والدويلات العديدة، ولدى قيام السلطان محمود الغزنوي[١] بالحملات العسكرية بها كانت هناك إمارتان

[١] بدأت حملات المسلمين غير العرب لشبه القارة الهندية على يد سبكتكين مؤسس الدولة الغزنوية (٣٥١-٥٨٣هـ/٩٦٢-١١٨٦م) والذي كان غلاماً لألبتكين صاحب غزنة، جلب من تركستان إلى بخارى فنيسابور، ثم خلف سيده عليها عام ٣٦٧هـ/ ٩٦٦م، وبعد وفاته في عام ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م خلفه ابنه محمود الغزنوي الذي واصل حملاته على أرض شبه القارة، فغزاها سبع عشرة غزوة على مدى سبعة وعشرين عاماً فيما بين عامي ٣٩١هـ/ ١٠٠٠م و ٤١٧هـ/ ١٠٢٦هـ، لمزيد من التفاصيل حول ذلك راجع محمد

إسلاميتان عربيتان تحكم إحداهما في المنصورة (الواقعة في بهكر الپاكستانية)، والأخرى كانت تحكم في منطقة "سرحد" باسم الدولة الشالية التي جعلت "ويسند" عاصمة لها[١]، وبجانب هاتين الإمارتين كانت هناك إمارات عديدة بما فيها كشمير، أجمير، دهلي، قنوج، مگده (ولاية البيهار الحالية)، بنگال، گجرات، مالوه، وغيرها التي دائمًا تحارب بضعها بعضًا، وبالجملة لم تكن هناك وحدة سياسية إبان تلك الفترة الحرجة في تاريخ شبه القارة الهندية، إلى أن بدأت المحاولات في توحيدها في عصر كل من الدولة العربية (٢٢-٣٩٦هـ/٦٤٢-١٠١٠م) التي تمكنت من توحيد منطقتي السند والپنجاب، ثم في عصر سلطنة دهلي[٢] والدولة المغولية التي وصلت إلى

ناظم: السلطان محمود الغزنوي، حياته وعصره، ترجمة عبد الله سالم الزليتني، ط: دار المدار الإسلامي ٢٠٠٧م بيروت

[١] حول الحكم العربي في السند والپنجاب راجع الكتب التالية، عبد الله محمد جمال الدين: التاريخ والحضارة الإسلامية في الپاكستان أو السند والپنجاب إلى آخر فترة الحكم العربي، ط: دار الصحوة دون تاريخ/ السيد أبو ظفر ندوي: تاريخ سند، ط٢: أكاديمية شبلي النعماني، الهند ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م/ أعجاز الحق قدوسي: تاريخ سند، ط:مركزي أردو بورد، لاهور ١٩٧٤م

[٢] سلطنة دلهي هي دولة إسلامية حكمت معظم الهند (٦٠٢-٩٣٢هـ/١٢٠٥-١٥٢٦م) أي في عصور وسطى متأخرة، حكمها العديد من السلالات التركية والأفغانية بمن فيهم المماليك. أسسها محمد الغوري (ت ٦٠٢هـ/١٢٠٥م) القائد الأفغاني الذي استولى على دلهي سنة ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م وأرسل محمد أحد قواده القديرين قطب الدين أيبك وهو من الرقيق الأتراك في جولة لغزو شمال الهند، وفي سنة ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م أصبح قطب الدين سلطانًا على دلهي وأسس أسرة حاكمة بها وتعرف أسرته بأسرة المماليك وحكمت ما بين ٦٠٣-٦٨٨هـ/١٢٠٦-١٢٩٠م) وخلفت أسرته سلالة الخلجي٦٨٨-٧٢١هـ/١٢٩٠-١٣٢١م) ثم سلالة طغلق (٧٢٠-٨١٥هـ/١٣٢١-١٤١٣م) ثم قضى تيمورلنگ على تلك الدولة سنة ٨٠٠هـ/ ١٣٩٨م وعين خضر خان نائبا له على تلك السلطنة، فأسس فيها سلالة السيد ما بين سنة ٨١٦-٨٥٤هـ/١٤١٤-١٤٥١م)، ثم أعقبتها سلالة لودهي(٨٥٤-٩٣٢هـ/١٤٥١-١٥٢٦م). وفي سنة ٩٣٢هـ/١٥٢٦م انضمت تلك السلطنة بإمبراطورية مغول الهند الفتية تحت قيادة مؤسس الدولة المغولية في شبه القارة الهندية بابر شاه (٨٨٨-٩٣٧هـ /١٤٨٣-١٥٣٠م). للتفصيل راجع زامباور: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة وتحقيق، زكي محمد حسن بك ورفقائه، ط:دار الرائد العربي، بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص٤٢٢-٤٢٦

تحقيق هذا الهدف النبيل في عهد السلطان أورنگ زيب عالمگير رحمه الله (١٠٦٩-١١١٨هـ/١٦٥٩-١٧٠٧م).

وكانت لهذه الإمارات المستقلة لغتها ولهجاتها الخاصة ولا تزال هذه اللغات واللهجات موجودة، ويرى بعض الباحثين اللغويين أن إحصائيات اللغات في الهند تصل إلى ثلاثمائة لغة مع لهجاتها، ولو تركنا ذلك وأخذنا اللغات الخاصة دون اللهجات لوصل عددها إلى خمس عشرة على الأقل.[١]

وتجدر الإشارة إلى أن المسلمين لدى دخولهم إلى الهند فوجئوا بوجود عدد هائل من اللغات واللهجات، وسطروا استغرابهم وذهولهم في أعمالهم، مثل المؤرخ والرحالة المسعودي(ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) الذي قام بزيارة إلى كثير من مدن الهند وإماراتها خلال سنتي ٣٠٣-٣٠٤هـ/٩١٥-٩٢٦م، وبجانب ما ذكر مفصلًا عن الحياة السياسية وحول

[١] راجع السيد سليمان الندوي: انتخابات مضامين، ص٩-١٠/كتب رئيس الوزراء الهندي الأسبق جواهر لال نهرو في كتابه القيم: اكتشاف الهند حول اللغة السنسكريتية فيقول:"قديمًا كانت اللغة السنسكريتية هي السائدة في شمال الهند وجنوبها وكانت لغة العلم والأدب، وظلت سائدة قرونًا حتى اضمحلت وضعفت وتفرعت منها لهجات عديدة تطلق عليها اللغة البراكيتية أي اللهجات السنسكريتية الشعبية، وبعد مدة استقلت هذه اللهجات إلى أن أصبحت لغات مستقلة، وانقسمت إلى الأسرتين أسرة الاندو-آرية واللغات التي انحدرت من السنسكريتية هي السندية، والپنجابية والبنگالية والمراهتية، والگجراتية، والأورية، والأسامية، والراجستهانية والكشميرية والپاشتو والهندية أوالأردية. هذا في شمال الهند، أما في الجنوب فتسود فيه أربع لغات تنتمي إلى الأسرة الدرفيدية وهي التاميلية والتيلگو والمليالم والكنرية. فهذه اللغات الخمس عشر تغطي الهند كلها." راجع Jawaharlal Nehru: The Discovery of India, (Oxford University Press, Sixth Impression 1988, India), P.169، وبالمناسبة أذكر هنا أن اللغتين الهندية والأردية تتفقان في النحو والصرف والمفردات الأساسية، وتختلفان في الخط والمفردات غير الأساسية، أما الخط في الهندية فهي سنسكريتية الأصل والفصل وأما الأردية فهي تكتب بالحرف العربي، ومعظم المصطلحات والمفردات المستخدمة فيها فهي من اللغتين العربية والفارسية بالدرجة الأولى.

انقسام شبه القارة الهندية إلى أجزاء وإمارات صغيرة مستقلة، وظهور حكام مستقلين على رؤوس هذه الإمارات لا يخضعون لحاكم أو نظام معين، مع ذكر الحياة الاجتماعية والدينية والاقتصادية، ركز بصورة خاصة على الحياة الثقافية فتحدث عن اللغات واللهجات المنتشرة بينهم، قائلًا إن الناس في كل جهة من القارة الهندية يتكلمون بلسان يختلف عمن عداهم.[١]

وقد ألف المؤرخ والمحرر ابن نديم البغدادي (ت ٣٨٨هـ/٩٩٨م) كتابه الفهرست في عام ٣٧٧هـ/٩٨٧م، ويكتب حول اللغات الهندية فيقول:"هؤلاء القوم مختلفو اللغات، مختلفو المذاهب ولهم أقلام أي لغات عديدة، وقال لي بعض من يجول الهند: إن لهم مائتي قلم أي مائتي لغة".[٢] ثم يأتي العلامة أبو الريحان البيروني (ت٤٤٠هـ/ ١٠٤٨م) مع الفتوحات الغزنوية وتجول في الهند سنين عديدة وتعلم وعلم الفنون واللغات العديدة، يذكر في كتابه القيم تحقيق ما للهند حول اللغات والخطوط الهندية فيقول:"وتكتب اللغة الهندية من اليسار إلى اليمين، والخط المعروف عندهم يطلق عليه "سده ماترك"، والذي ينتمي إلى منطقة كشمير والخط نفسه مستخدم ومروج في كل من "بنارس"، و"مدهيه پرديش" أي واسطة المملكة وهي ماحول "قنوج" في جهاته ويطلق عليه آريه درت، أما في حدود "مالوه" فلها خط خاص يطلق عليه "ارده ناگري" أي نصف ناگر لأنه ممزوج منهما ويكتب به في منطقة "بهاتية" وبعض بلاد السند، ثم هناك خط "ملواري" والذي يكتب به في السند الجنوبية، و خط"كنري" في منطقة كرناتك، و

[١] المسعودي: مروج الذهب والمعادن الجوهر، جـ١، ص٩١-٩٢-٢٠٢

[٢] ابن النديم: كتاب الفهرست، تحقيق رضا تجدد، عشرة أجزاء، جـ١، ص٢٠

"آندهري" في منطقة "آندهر"، و"دراوري" في منطقة "دراور"، و"لاري" في منطقة "گجرات وما يجاورها، والبنگالي في المناطق الشرقية... وهكذا دواليك.[١]

وتفيد المصادر المعاصرة لكل من عصر سلطنة دهلي والدولة المغولية بوجود عشرات اللغات ومئات اللهجات؛ حيث يشير الشاعر الهندي أمير خسرو(٦٥١-٧٢٥هـ /١٢٥٣-١٣٢٥م) في قصيدته "نه سپهر" إلى اللغات العديدة الرائجة في المناطق الهندية[٢]، ومنها اللغة السندهية، واللاهورية، والكشميرية، والبنگالية، والگجراتية، والتلنگية، والمعبرية، والكنرية، والأودهية، والدهلوية وغيرها، وكذلك كانت هذه اللغات رائجة في عصر الدولة المغولية حيث يذكرها المؤرخ المعاصر والوزير لسلطان أكبر، أبو الفضل في كتابه آيين أكبري، بالتفصيل.[٣]

نستنتج مما في الصفحات السابقة أن اللغات العديدة كانت رائجة وسائدة في شبه القارة الهندية قبل قدوم المسلمين إليها، والتي كانت تشرف عليها

---

[١] أبو الريحان البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ط: الذخائر ، مصر عام ٢٠٠٣م، ص١٣٤-١٣٥

[٢] أمير خسرو دهلوي ابن سيف الدين أحمد من أكبر شعراء الهند، عاش وترعرع في عهد سلطنة دهلي، وكان تلميذا للصوفي نظام الدين أولياء، وعاصر سلاطين عديدة ومنهم علاء الدين الخلجي، وكان عصر الأخير بالنسبة له من أخصب المراحل التي أبدع فيه في الكتابة، وترك أمير خسرو كثيرًا من المؤلفات الشعرية والأدبية والتاريخية سطرها بالأردية والفارسية والعربية، وتمثل أعماله الشعرية والنثرية لوحة كاملة لشخصيته، كما تُظهر الحضارة الهندية الإسلامية في القرون الوسطى وما تتسم به في ذلك العصر أكثر من أي عمل أدبي أو تاريخي آخر مكتوب باللغة الفارسية أو الأردية. وتقدم آثاره الأدبية الأفكار الدينية الصوفية والأخلاقية والثقافية للقرنين السادس والسابع الهجريين (الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين). حول ترجمته راجع محمد سعيد أحمد: حيات خسرو، ط:مطبع أكبري، الهند دون تاريخ (MUHAMMAD WAHID MIRZA. "Life and Time of Amir khusraw",Calcutta 1935)

[٣] راجع أبو الفضل: آئيين أكبري، ثلاثة مجلدات، ط: كلكتا، الهند، عام ١٨٧٧م، جـ٢، ص٥٨

الإمارات المستقلة والأديان والمذاهب العديدة، وكلما توغل المسلمون في داخل الهند، تركوا أثرًا ثقافيًا وعلميًا في اللغات والثقافات المحلية، خصوصًا ولم يكن لديهم نظام تقسيم السكان إلى طبقات، بل الكل كان لديهم سواسية، ومن هنا امتزجت لدى قيام الدولة العربية في السند والپنجاب الكلمات العربية مع اللغات المحلية من السندية والپنجابية[١]، ثم جاءت دور اللغة الفارسية التي أصبحت لغة رسمية في عصر الدولة الغزنوية التي قضت على اللغة العربية وحل محلها اللغة الفارسية والثقافة الإيرانية، ومن ثم استمرت هذه اللغة الفارسية كلغة رسمية طيلة العصور الإسلامية.

هذا، وكان من الصعب للمسلمين أن يختاروا لغة إمارة ما وأن يعملوا على ترويجها كلغة رسمية على مستوى الهند، ومن هنا حدث بطبيعة الحال أنهم كانوا كلما دخلوا واستقروا في إمارة ما اختاروا لغتها المحلية مع القيام بإضافة مئات من المصطلحات العربية الدينية والسياسية والإدارية والتجارية والحرفية والثقافية والعلمية وغيرها؛ ذلك على حسب الاحتياج والضرورة، ومع الوقت اندمجت هذه المصطلحات العربية الفارسية والتركية مع اللغات المحلية، وتأتي مئات المصطلحات العربية والفارسية تحت الحياة الدينية والسياسية والاقتصادية والثقافية فمثلا:

---

[١] وهذا يدل على دخول الكلمات العربية مباشرة إلى اللغات المحلية دون واسطة أي لغة فارسية كانت أم تركية أو غيرها، وكلام بعض الباحثين مردود حول ما أكدوا على تسرب الكلمات والمصطلحات العربية إلى اللغة الأردية وغيرها من اللغات المحلية من خلال اللغة الفارسية على أساس أنها تتضمن كثيرا من الألفاظ العربية. راجع جراهام بيلي: الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية الباكستانية، ترجمة حسين مجيب المصري، ط: الدار الثقافية للنشر، القاهرة ١٤٢١هـ/٢٠٠١م، ص١٠

أمثلة عن المصطلحات الدينية: الله، إيمان، حج، زكاة، دعاء، خيرات، صدقات، رسول، وحي، كتاب، أَمانَتْ من الأمانة، خيانت من الخيانة، حرام، حلال، حد وحدود، صحيح، حديث صحيح، حديث ضعيف، ارتكاب، إرث، إرسال، أركان، روح وأرواح، نماز أي صلاة، روزه أي صيام، دوزخ أي جهنم، بهشت أي جنة وغيرها.

أمثلة عن المصطلحات السياسية والإدارية: بادشاه، وزير، مير عدل، صدر جهان، مقطع دار، صوبه دار، سپه سالار، قاضي، جاسوس، حساب، خبر، أخبار، إداره من الإدارة، أدب، وآداب، ديوان، نائب، تحصيل دار، ضلع دار، كارنده، گماشته، تحويل دار، واصل، باقي نويس، خزانچي، متصدي، پيشكار، محافظ دفتر ومحرر وغيرها.

أمثلة عن المصطلحات الزراعية: كانت الزراعة شغل شاغل للهنود، ولكن المسلمين أسهموا في تطويرها وليس هنا مجال لخوض في هذه التفصيلات الزراعية، ولكن علي أن أذكر هنا مختصرًا أنه قد جلب المسلمون مئات من الفواكه من إيران وكابل، وتركستان، والتي بقيت أسماؤها في اللغات المحلية وأصبحت جزءًا لا يتجزأ من هذه اللغات الهندية فيما بعد، مثل أنگور، أنار، سيب، بهي، انجير، نارنجي، خربوزة، بادام، منقى، كشمش، بسته، شفتالو، ناشپاتي، ابجوش، خوباني، چلغوزه، بندق وغيرها، كما جلب أنواع من الزهور مثل گلاب، سوسن، سنبل، ريحان، بنفشه، خطمي، نرگس، نسرين، نسترن، گل. وغيرها، وتفيد المصادر

المعاصرة واللاحقة بوجود ألف وخمسمائة حديقة في ضواحي دهلي في عصر سلطنة دهلي والدولة المغولية، ذلك بسبب قيام الإدارة بتطوير عملية تشييد الحدائق، وأعمال البستنة.[١]

أمثلة عن مصطلحات المأكولات والمشروبات والأدوات المنزلية:

بجانب إسهام المسلمين في تطوير الحياة الإدارية والزراعية قدموا ما عندهم من أنواع الأكلات والمشروبات، مثل "خشك پلاؤ"، "قبولي"، "بريياني"، "زرده"، "شير برنج"، "قورمه"، "قليه"، "شوربه"، "كباب"، "يخني"، "كوفته"، "مزعفر"، "مطنجن"، كما عرف الهنود طريقة صناعة الثلج والتفنن في صناعة العصائر، وكذلك طوروا الحلويات الهندية مع إعطاء الأسماء الجديدة، ولا يزال لقب "حلوائي" يطلق على كل من يصنع الحلويات وهي كلمة عربية الأصل والفصل. والجدير بالذكر أن الهنود قبل نشر الحضارة الإسلامية يأكلون في أطباق وصحون مصنوعة من الفخار التي كانت تصنع للأمراء والأغنياء أم الفقراء فكانوا يأكلون في أوراق الموز إلى أن جلب المسلمون معهم أدوات المطبخ ومن أهمها "ديگ"، " ديگچي"، "كفگير"، "چمچه"، "ركابي"، "پياله"، "باديه"، "قاب"، "دسترخوان"، "آفتابه"، "آنجوره"، "سيلابچي"، "صابون"، "خلال"، "بكاول"، "باورچي وطباخ"، وغيرها، أما ما يتعلق بالمنسوجات والأقمشة؛ فنجد الرحالة الغربيين يعبرون عن استغرابهم الشديد حول ذلك[٢]، وينبغي أن أذكر هنا بعض أسماء وأنواع الأقمشة

---

[١] راجع برني: تاريخ فيروز شاهي، وأبو الفضل: آئين أكبري، جـ١، ص٥٤-٥٨

[٢] Francois Bernier (1625–1688): Travels in the Mogul Empire: Tr. Archibald Constable, London 1891, P.439

الحريرية والقطنية، مثل: أسماء الأقمشة الحريرية: مخمل زربفت، فرنگي، گجراتي، كاشي، هردي، طاس گجراتي، داراسي، مقيش، شرداني، مشجر فرنگي، ديباۓ فرنگي، خارا، اطلس خطائي، نوار خطائي، مخمل فرنگي، خاني، سه رنگي، قطني، كتان فرنگي، تافته، انبري، مطبق. أسماء الأقمشة القطنية: چوتار، ململ، نين سكه، سري صاف، گنگاجل، بهيرون، سالور، بهادر شاهي، گريه سوتي، شيله دكني، مهركل، سهن، جبونه، اساولي، محمودي، پنجتوليه، حيوله، چهينت وغيرها.[١]، فصنع الهنود من هذه الأقمشة الملابس مثل "قميص"، "صدري"، "كرتا"، "اچكن"، "پيشواز"، "ميرزائي"، "نيم آستين"، "جامه"، "عبا"، "قبا"، "چوغه"، "فرغل"، "كلاه"، "دستار"، "كلغي"، "شال"، "دوشاله"، "چادر"، "پوستين"، "شلوار"، "إزار"، "توشك"، "لحاف"، "فرش"، "قالين مسند"، "بستر"، "رضائي"، "دولائي"، "تكيه"، "غلاف"، "روما"، "منديل"، "موزي"، "إزار بند"، "كمربند" وغيرها[٢]، فكل هذه الأسماء عربية أو فارسية الأصل والفصل، هذا، وتجدر الإشارة إلى أن الأثرياء من الهنود كانوا في الواقع يلبسون قطعا من القماش، حتى الراجوات كانوا يلبسون ملابس عبارة عن بعض القطع من القماش، ولم يكن لديهم أي تأنق في المأكل والمشرب قبل وقوعهم تحت تأثير الحضارة

---

[١] راجع العلامة شبلي النعماني: مقالات شبلي، جـ٦، تحت عنوان "تأثير حضارة الدولة الإسلامية في الهند"، ص١٩٤-٢٠٠

[٢] السيد سليمان الندوي: انتخاب مضامين، مرتبه صباح الدين عبد الرحمن، ط: الأكاديمية الأردية بلكهنؤ، ١٩٨٥م، ص١٦-١٧

الإسلامية[١]، التي أدخلت النظافة الزائدة، والأناقة في كل شيء، والتبسط في المأكل والمشرب، والبناء والاجتماع، والاحتفاظ بالأوضاع الصحية، مثل تهوية البيوت وتنويرها، والتأنق في الأواني والأدوات المنزلية. وبجانب تطوير هذه الجوانب في العصر الإسلامي للهند، فقد ساهم التجار الوافدون في إيجاد بعد ثقافي، كان يزداد مع مرور الزمن، وذلك من خلال انتشار عدة كلمات عربية تجارية في اللغات الهندية المحلية، وكان أغلب المصطلحات مختصة بالتجارة منها "عمل"، و"إقرار"، و"اتفاق"، و"قضية"، و"قرض"، و"قافلة"، و"كتاب"، و"قانون"، و"خزانه"، و"جواهر"، و"تقدير"، و"دخل"، و"نقل"، و"حال"، و"موسم"، و"رشوة"، و"وزن"، و"شرط"، و"حق" وغيرها من الكلمات ذات الجذور العربية، والتي لا تزال تستخدم في اللغات الهندية العديدة[٢]، والهدف من ذكر هذه الأمثلة هو تسليط الضوء على قدوم المسلمين إلى الهند مع اصطحاب الحضارة الإسلامية ونشرها في ربوع الهند مع تطبيق المصطلحات الحضارية في كل صغيرة وكبيرة، ولما كانت هذه الأشياء وأسماؤها جديدة تمامًا بنسبة الهند والهنود فكان من العبث بالبحث عما يقابلها في اللغات المحلية ومن هنا تم ترويج تلك المصطلحات بعينها في اللغات الهندية المحلية. وكل ما سبق يدل على أن الإسلام لم يكن يومًا ما دينًا يختص بشئون العبادة فحسب؛ ولكنه دين ومنهج للحياة والمجتمع والحضارة والثقافة والأدب، ومن هنا فإنه عندما وصل إلى الهند

---

[١] قريشي: الإدارة المغولية، ص١٧٨، حول عامة الشعب وملابسهم ومأكلهم ومشربهم راجع بابرنامه: ص٥١٩.

[٢] محمد أجمل خان: الكلمات العربية والفارسية في اللغات الهندية، ثقافة الهند، عدد ٤، عام ١٩٤٠م، ص٣١-٣٩

حمل معه أثرًا فعالًا من الحضارة والثقافة العربية الإسلامية، وكان ذلك إرهاصًا بشروق عهد جديد في تاريخ الحضارة والثقافة الهندية.

المبحث الثاني:

التعريف باللغة الأردية وآدابها، أي تاريخها ونشأتها

إن ظهور لغة كاللغة الأردية لا يمكن أن يكون قد تم فجأة أو بالطريقة السريعة التي يعرضها أصحاب النظريات المختلفة حول نشأة اللغة الأردية وآدابها، ولكن ظهور مثل هذه اللغة لابد أن يكون نتيجة حتمية لتطورات حضارية وسياسية واجتماعية على مدار المئات من السنوات[١]. ومن هنا نستطيع أن نحدد في السطور التالية أربع مراحل لنشأة اللغة الأردية وآدابها:

المرحلة الأولى: سبق أن ذكرت في الصفحات السابقة حول اللغات العديدة التي كانت سائدة في الإمارات المستقلة، بما فيها منطقة السند التي وصلت قافلة المسلمين في بداية الأمر وكانت المحطة الأولى للمسلمين الفاتحين، ومن هنا تعتبر هذه المنطقة المهد الأول الذي تعود إليه بداية هذه اللغة، وقياسًا عليه فلعل بوادر اللغة الأردية ظهرت في هذه المنطقة، ذلك على حسب بعض الباحثين.[٢]

وقد أسهم العناصر العديدة في نشأة وتكوين هذه اللغة ومن أهمها:

---

[١] سمير عبد الحميد إبراهيم: اللغة العربية وقضية التنمية اللغوية في باكستان، ص٩

[٢] السيد سليمان الندوي: انتخاب مضامين، ص١٨/ وتفيد المصادر لعصر الدولة التغلقية

١. أسفار وتنقلات التجار المسلمين ذات الأصول العربية والفارسية في سواحل بحر الهند، وذلك خروجًا من العراق والسيراف والبصرة وعدن وماجان عمان الحالية، مارًا من الموانى السندية والگجراتية.[١]
٢. الفتوحات الإسلامية ونشأة الدولة العربية في السند في القرن السابع للميلادي، علمًا أن القوات الإسلامية كانت مكونة من عناصر سكان شيراز وعراق أي أنهم كانوا ينطقون باللغة الفارسية والعربية.[٢]
٣. جلب الإدارة العربية الأسر العربية واستقرارها واستقرار الأسر التجارية في منطقة البنجاب والسند وغيرها، علمًا أن هذه الأسر كانت تتحدث باللغة العربية والفارسية.[٣]
٤. أسفار الهنود إلى المناطق العربية بما فيها العراق، خصوصًا بعد سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية ونقل العاصمة من دمشق إلى بغداد في عام ١٣٣هـ/٧٥١م، وقيام الإدارة العباسية بجلب علماء الهند من الحكماء والأطباء إلى دار الحكمة لنقل الكتب الهندية إلى العربية.[٤]

---

[١] تجدر الإشارة إلى أن أسس العلاقات التاريخية بين الجزيرة العربية وشبه القارة الهندية نشأت في نسق تطوري، وقد هيأ هذا الرصيد من العلاقات القديمة الأرضية المناسبة لدخولها مرحلة النضج والاكتمال في العصر الإسلامي، لمزيد من التفصيل راجع الكتب التالية: حمد محمد بن صراي: العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية وجنوبي شرق آسيا، ط:الجمعية التاريخية بالرياض ١٤٢٧هـ/، ص٧٠ وما بعدها، أيضًا Tara Chand: Influence of Islam on Indian Culture, P. India, 1922, P.1-29

[٢] حول الفتوحات الإسلامية ودورها في ترسيخ الصلات الحضارية بين الجزيرة العربية وشبه القارة الهندية راجع الكتب التالية: أبو العباس البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق وشرح عبد الله أنيس الطباع، ط:مؤسسة المعارف، بيروت دون تاريخ، ص٦٠٧/ أيضًا عبد الله محمد جمال الدين: التاريخ والحضارة الإسلامية في باكستان أو السند والبنجاب إلى آخر فترة الحكم العربي، ط: دار الصحوة بالقاهرة، دون تاريخ، ص٣٤-٨٣

[٣] راجع البلاذري، مصدر سابق، ص٦١٤

[٤] تفيد المصادر العربية قيام الوزير العباسي يحيى بن خالد البرمكي أطباء من الهند مثل "منكه"، و"بازيگر"، و"قلبرقل"، و"سندباد" وغيرهم، ومن أشهر الأطباء الهنود الذين نقلت أعمالهم إلى اللغة العربية خصوصًا "كنكه الهندي"، "صنجهل"، "شاناق"، "جودر"، "منكه الهندي"، "صالح بن بهلة الهندي"، راجع لترجمتهم الحافلة موفق الدين أبي

ونستطيع أن نقول من خلال ما سبق أنه كان هناك عوامل عديدة من أهمها دينية وثقافية واجتماعية وغيرها. هذا، وتجدر الإشارة إلى أنه خلال وجود الدولة العربية في السند التي استمرت في السند والملتان ثلاثمائة عام، والتي سقطت بيد السلطان محمود الغزنوي (ت٤٢١هـ/١٠٣٠م)، قد استمرت العلاقات التجارية والثقافية والدينية مع بغداد ومصر، كما كان التجار من خراسان، والعراق، واليمن ومصر وإيران يترددون إلى هذه المنطقة، وهو الأمر الذي أدى إلى اندماج واختلاط كل من اللغة العربية والفارسية والتركية مع اللغات الهندية المحلية, فكانت هذه اللغات كونت نواة وبوادر اللغة الجديدة، وهناك أدلة تؤكد على ذلك حيث استخدم الرحالة بزرگ بن شهريار، الذي مر بالسواحل الهندية في عام ٣٠٠هـ/٩١٢م، كلمات هندية في كتابه، وبجانب ذلك يذكر حدثًا تاريخيًا يتعلق بعام ٢٧٠هـ/٨٨٣م حيث يقول إن أحد الملوك، يطلق عليه مهرك بن راتك، من منطقة ألور الواقعة في السند طلب من حاكم مسلم من المنصورة بإرسال عالم مسلم يعرف لغة هذه المنطقة لتوضيح الدين الإسلامي والشريعة الإسلامية، فاختار ذلك الحاكم المسلم عالمًا عراقيًا الذي كان يجيد اللغات الهندية العديدة، فذهب ذلك العالم العراقي وقدم قصيدته باللغة الهندية ثم قام بنقل ترجمة معاني القرآن إلى اللغة الهندية.[١]

العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بـ"ابن أبي أصيبعة (٦٠٠-٦٦٨هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، طبع، دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ، الباب الثاني عشر: في طبقات الأطباء الذين كانوا من الهند، ص٤٧٣-٤٧٧/ ونظرا لبراعتهم في مجال الطب حصل كبار الأطباء الهنود على المناصب العليا، ومنهم "منكه" المشار إليه آنفا وكان مسؤولا في دار الحكمة عن التأليف والترجمة السنسكريتية، كما أصبح الطبيب "ابن داهن" الهندي رئيسا لدار الشفاء ببغداد. راجع عبد الله جمال الدين: التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان...ص١٦٢

[١] بزرگ بن شهريار: عجائب الهند، بره وبحره وجزائره، ط: القاهرة ١٩٠٨م ، ص٢٣-٣٠

وزار السند والملتان الرحالة البغدادي الآخر في عام ٣٥٨هـ/٩٦٨م، فتؤكد على وجود واستخدام اللغات العديدة، حيث يقول:"ولسان أهل المنصورة والملتان ونواحيها العربية والسندية، ولسان أهل مكران الفارسية والمكرية"،[١]، ثم جاء بعد ذلك الرحالة بشاري مقدسي إلى الملتان في عام ٣٧٥هـ/٩٦٨م، فيذكر أن مدينة ديبل تقع على ساحل البحر، وقد أحاط بها نحو من مائة قرية، أكثرهم كفار... ومعظمهم تجار يتكلمون باللغة العربية والسندية.[٢]، وتدل هذه الأخبار على اختلاط وانسجام اللغة العربية والفارسية مع كل من اللغة السندية والملتانية في بداية الأمر ثم مع اللغة البنجابية واللغة العامية التي كانت مستخدمة آنذاك في دهلي وأطرافها، ومن الطريف أن اللغة السندية لا تزال تكتب بخط النسخ العربي بجانب استخدام مئات المفردات العربية الأصيلة دون تغيير مدلولاتها، مثل كلمتي "الجبل" و" البصل"[٣].

وتجدر الإشارة إلى أن اللغة السندية والبنجابية والملتانية وجهات لعملة واحدة، لأن هناك كثيرًا من الكلمات العربية والفارسية مشتركة بينهن، مع فرق بسيط في صيغ الكلمات وتصريفها، ولابد من إماطة اللثام عن بعض أغلاط العامة حول ما يقال أن هذه اللغات محرفة من الأردية، ولكن الحقيقة أن اللغة الأردية الحالية برزت إلى حيز الوجود من خلال امتزاج اللغة العربية والفارسية مع هذه اللغات المذكورة أعلاه، ثم أدى تأسيس الدول الإسلامية وتقوية دعائمها السياسية والاجتماعية والثقافية عبر العصور في

---

[١] راجع ابن حوقل: أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت بعد سنة ٣٦٧هـ/٩٧٨م):كتاب صورة الأرض، ط:منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان ١٩٩٢م، ص٢٨٠

[٢] المقدسي: شمس الدين المقدسي (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م):أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٢: ليدن، ١٩٠٦م، ص٤٧٩

[٣] راجع السيد سليمان الندوي: انتخاب مضامين، ص٢٠-٢١

شبه القارة الهندية إلى المزيد من تأثير الفارسية والعربية والتركية فيها، ومن ثم ظهرت نتائج التفاعل الحضاري الذي نتج عنه هذه اللغة التي عرفت فيما بعد بالأردية أو الهندوستانية في منطقة دلهي وما حولها.

المرحلة الثانية: بدأت هذه المرحلة بقيام الدولة الغزنوية بالغزوات إلى المناطق الهندية الأخرى مثل الكجرات؛ حيث غزا السلطان محمود(ت٤٢١هـ/ ١٠٢٩م) هذه المنطقة وتوغل إلى داخل الهند، إلى أن تقلصت وانكمشت دولته في السند والپنجاب، واستمرت في هذه المناطق أكثر من مائتي سنة، وخلال هذه المدة نبتت بذور الأردية بصورة أوضح بالنسبة للمرحلة الأولى، كما أسهمت اللغة الفارسية في تكوينها ودخلت الكلمات والمصطلحات الفارسية لأن الأخيرة أصبحت لغة البلاط إبان تلك الفترة، وكذلك أدى قيام هذه الدولة بنقل الأسر الإيرانية والكابلية والتركستانية إلى الهند واستقرارها، بجانب قيام الدولة بتوظيف الهنود في المناصب الإدارية والمالية مما أعطى الفرصة للغة الهندية أن تمر بمرحلة التأثير والتأثر، فبجانب الأدباء الهنود نجد الأدباء الأتراك الذين قرضوا الأشعار الهندية ومنهم الشاعر المعروف مسعود سعد سلمان الذي ولد في لاهور[١]، والذي كتب عنه كل من الشاعر عوفي والأمير خسرو أنه كان يقرض الأشعار في اللغة العربية والفارسية والهندية، وترك ديواناً له باللغة الهندية، وله قصيدة توجد فيها كلمات هندية بحتة، مثل "باني"، "مارامارا"، "ميده" وغيرها.[٢]

---

[١] حول ترجمته راجع محمد عوفي: لباب الألباب، تحقيق براؤن ومرزا محمد، ط: لندن ١٩٠٦م

[٢] تجدر الإشارة إلى أن الغزنويين استخدموا الهنود على نطاق واسع في وظائف الدولة، بجانب انضمام أهالي الهند للجيش المحمودي، وقد استطاع الهنود الوصول إلى المناصب العليا مثل مناصب الكتابة والوزارة وغيرها، كما اعتمدت الإدارة الغزنوية في السلم الوظيفي على أغلبية هندية واضحة حتى اصطبغت الإدارة الغزنوية التركية بالصبغة الهندية، ومن أبرز الهنود الذين ترقوا في السلم الوظيفي حتى وصلوا لأرفع

المرحلة الثالثة: بدأ عصر الدولة الغورية في القرن السادس للهجري والتي جعلت دهلي عاصمة لها بعد بسط نفوذها على لاهور والملتان، مما دفع بوادر اللغة الأردية إلى المزيد من التقدم حيث تم توسيع نطاق هذه الدولة من بيشاور إلى الگجرات ثم البنگال، ولما لم تكن هناك لغة مشتركة بين كل هذه المنطقة أصبحت اللغة الأردية العامية (كهري بولي) لغة مشتركة خرجت من السند والپنجاب ونشرت في المناطق الشمالية الشرقية، يفيد المؤرخ قاضي سراج منهاج الذي وصل الهند عبر السند والملتان عام ٦٢٤هـ/١٢٢٦م بوجود اللغة الأردية العامية في المناطق الشرقية وانتشارها فيقول "لسان أهل هذه المنطقة مختلف عن الهندية والتبتية"، مما يفسر وصول اللغة العامية الأردية من الپنجاب إلى البنگال ونشرها بين أهالي هذه المنطقة، بعد وفاة السلطان محمد الغوري(ت٦٠٢هـ/١٢٠٥م) استقل قطب الدين أيبك(ت٦٠٧هـ/١٢١٠م) وأعلن قيام دولة المماليك في عام ٦٠٣هـ/١٢٠٦م، وذكر المؤرخون ثلاث خصال لهذا السلطان، وهي العدل، والشجاعة، والسخاء، فكان يعطي الناس أكثر مما يستحقونه، وقد أثنى عليه علماء عصره واعتبروا أنه لا يضاهيه أحد فيما يتمتع به من

المناصب "تلك الهندي" الذي كان يجيد الكتابة باللغة الهندية والفارسية، تلقى تعليمه في كشمير ثم سافر إلى أصفهان لتحصيل اللغة الفارسية، وبعد انخراطه في البلاط المحمودي أصبح كاتبًا ومترجمًا فيما يخص الهنود، وكان يقوم بعمله على خير وجه فارتفع شأنه، وكذلك كان هناك هندي آخر يطلق عليه "بيربل" الذي تولى المناصب العليا وذاع صيته في عهد السلطان مسعود الذي جلس على سرير الحكم بعد وفاة محمود الغزنوي عام ٤٢١هـ/ ١٠٢٩م. للتفصيل راجع الكتب التالية: البيهقي: تاريخ البيهقي، ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأت، ط: بيروت ١٩٨٢م، ص٤٣٠-٤٣٢/ أيضًا محمد ناظم: السلطان محمود الغزنوي، حياته وعصره، ترجمة عبد الله سالم الزليتني، ط: دار المدار الإسلامي ٢٠٠٧م بيروت، ص١٨١-١٨٤

الجود والكرم شرقًا أو غربًا[١]، حتى كان يطلق عليه "لك بخش" أي معطي مائة ألف روبية، وتحمل عملات عهده لقبه الشرفي بجانب اسمه مثل "شري الأمير" وكلمة "شري" كلمة هندية بحتة معناها "جناب" ولا تزال تستخدم في اللغة الأردية والهندية معًا.[٢] وفي عهد السلطان شمس الدين إيلتتمش(ت٦٣٣هـ/١٢٣٥م)، رسخ دعائم الحكم في المناطق التي فتحها سلفه وسيده قطب الدين أيبك، وبجانب الفتوحات الإسلامية تم التركيز أيضًا على الرعاية الخاصة بنشر العلوم والفنون والثقافة، ومن هنا حانت الفرصة لكل من الملتان ولاهور ودهلي في تطوير اللغة الأردية بسبب تبعيتها لسلطنة دهلي.

هذا، وتجدر الإشارة هنا إلى دور الصوفية الذين استقروا في المناطق الهندية شمالًا وجنوبًا شرقًا وغربًا قبل توطيد دعائم الحكومات الإسلامية؛ وذلك لنشر الدين الإسلامي وتفعيل عملية التبليغ والدعوة الإسلامية[٣]، واتخذ الصوفية اللغات المحلية سبيلًا في نشر الإسلام ولم يختاروا اللغة الرسمية أي اللغة الفارسية كما لم يرتبطوا برجال الحكم والسلطة، وإنما أقاموا

---

[١] فخر مدبر: تاريخ فخر الدين مبارك شاه، بتصحيح سردييني سن راس، ط: لندن، ١٩٢٧م، ص٥٤-٦٠

[٢] راجع فرشته: تاريخ فرشته، جـ١، ص٦٣، ط: نولكشور لكهنؤ.

[٣] لقد أسهم الصوفية في شبه القارة الهندية إسهامًا كبيرًا في نشر الإسلام والثقافة الإسلامية، فكان لهم فضل كبير في إنجاح عملية الدعوة الإسلامية في الهند خصوصًا في المناطق التي لم تدخلها القوات الإسلامية، هذا، وقد رحل إلى الهند مئات من الصوفية والعلماء خصوصًا بعد الفتوحات الغزنوية واستقروا في المدن والقرى، للاندماج مع الأهالي وتلقينهم دروس الحب والأخوة والتسامح والمساواة، ولتحقيق هذه البغية فتحوا زواياهم وتكاياهم وخوانقهم للناس كافة، والتي كانت بمثابة مراكز للتدريب الروحي والديني، وهناك مئات من هذه المباني وأضرحتهم منتشرة في جميع أنحاء الهند والتي كانت ولا تزال كعبة الناس من كل المذاهب والأديان يتدفقون إليها من كل صوب وحدب. للاستزادة راجع الكتب التالية:عبد الحليم الندوي: مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند، ط: الهند ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م، ص١٤٥ وما بعدها/ Saiyid Athar Abbas Rizvi: A History of Sufism in India, Vol.1. P.409

علاقات عميقة مع طبقات الجماهير خصوصًا من المنبوذين وأصحاب الحرف والفلاحين، ومن هنا لم يكن ممكنًا لهم الانسجام والاندماج مع هذه العناصر إلا باختيار اللغات المحلية، وبجانب ذلك حدث أن كثيرًا من الصوفية اضطروا إلى أن يدخلوا في المناقشات والمناظرات مع طبقة البراهمة المتعلمة وتفيد المصادر بنجاح الصوفية في مثل هذه المناقشات والمناظرات.[١]

هذا، ومعظم الفقرات الأردية القديمة التي نجدها في الكتب القديمة كلها كتب الملفوظات والكتب الدينية التي سطرها الصوفية بالعامية الدكنية والگجراتية والسندية وغيرها،[٢] وقائمة الصوفية طويلة جدًا ومن الصعب استيعاب سيرتهم ودورهم ولكن ينبغي هنا الإشارة إلى إسهام بعض هؤلاء الصوفية في تطوير اللغة الأردية في هذه المرحلة، ومنهم خواجة فريد شكر گنج الملتاني (ت٦٧٠هـ/١٢٧١م)، الذي أخذ البيعة من الشيخين وهما مؤسسا الطريقة الچشتية في الهند أحدهما معين الدين الچشتي(ت٦٣٣هـ/١٢٣٥م)، والثاني الشيخ قطب الدين بختيار الكعكي الذي عاصر السلطان إيلتتمش وتوفي في دهلي عام ٦٣٣هـ/١٢٣٥م.[٣]

---

[١] تفيد المصادر بهجرة الصوفية من المدن الهندية واستقرارها في القرى والمدن الصغيرة وباستخدامهم باللغة المحلية ومنها الهندوية، ومنهم على سبيل المثال الشيخ الصوفي حميد الدين الناگوري (ت٦٧٣هـ/١٢٧٦م) الذي عاش طول حياته كفلاح في قرية صغيرة "سوال" التابعة لمدينة ناگور في ولاية راجستهان. فكان الشيخ، على حسب المصادر المعاصرة، يعيش كعامة الناس في المجتمع وتعلم هو وأهله اللغة المحلية ألا وهي الهندوية للتعامل بها مع عامة الناس. للتفصيل راجع Khaliq Ahmed Nizami: Religion and Politics in India During the Thirteenth Century (Oxford Publication India 2002), P.199-200

[٢] حول تراجم الصوفية في السند وأعمالهم الدينية راجع إعجاز الحق قدسي: تذكرة صوفياء سنده.

[٣] حول تراجمهم راجع عبد الحق محدث دهلوي: أخبار الأخيار، ط: دهلي ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص٥٥-١١٦-٥٩

ويعد الشيخ فريد گنج الملتاني من الرواد الذين استخدموا فقرات الأذكار الدينية الصوفية باللغة الأردية، والتي نجدها في كتب الصوفية وملفوظاتهم و هناك بعض المخطوطات تؤكد على ذلك.[١]

ويعتبر حضرة نظام الدين أولياء[٢] (ت٧٢٥هـ/١٣٢٥م) وهو من تلامذة بابا فريد گنج شكر(ت٦٦٣هـ/١٢٦٥م)، من الصوفية الذين تركوا تراثًا لغويًا وأدبيًا، حيث قام صاحب أمير خسرو أمير حسن دهلوي بجمع ملفوظات الشيخ نظام الدين أولياء في كتابه "فوائد الفؤاد" الذي يؤكد على قيام الشيخ باستخدام الفقرات والمصطلحات الأردية العامية، بجانب استخدام أسماء هندية بحتة مثل "پياز" أي بصل، "لنگوته" أي إزار صغير، "كهات أو كهت" أي سرير، "كندوري"، أي عرس، "چهجه" أي شرفة، "لنگهن" أي فاقة، "لت" أي شعْر وغيرها من الكلمات التي تستخدم اليوم في اللغة الهندية والأردية سويًا.[٣]

وبجانب قيام الصوفية باستخدام الفقرات الأردية في كلامهم كان الناس أيضًا يستخدمونها في كلامهم وأمثالهم. وتفيد المصادر باستخدام أهالي السند والبنجاب بجمل وكلمات هندية بجانب لغتهم المحلية. وتؤكد بعض المصادر التاريخية الفارسية على نطق أول جملة كاملة في السند في عام ٧٦٠هـ/١٣٥٩م وهي موجودة في كتاب تاريخ فيروز شاهي، فذكر

---

[١] راجع رسالة الشيخ بهاء الدين بن إبراهيم عطاء القادري، نسخة خطية بدار المصنفين شبلي إكاديمية، أيضًا تاريخ أردو قديم نقلًا عن سيد محمد مبارك كرماني الملقب أمير خورد: سير الأولياء ط: مطبع محب هند دهلي ١٣٠٢هـ/ ص٢/ السيد سليمان الندوي: انتخاب مضامين، ص٢٦-٢٧

[٢] راجع ترجمته عبد الحق: أخبار الأخيار، ص١٢٣-١٣٤

[٣] راجع فوائد الفوائد، ملفوظات الشيخ نظام الدين أولياء، جمع وترتيب أمير حسن، ط:نول كشور لكهنؤ ١٣٠٢م، ص٩-٥١-٥٥-٦٧-٨٦-١٦٣

المؤرخ المعاصر لسلطان فيروز شاه إنه لما تراجع السلطان المذكور بعد الهزيمة لحقت بقواته العسكرية من حاكم السند جام بابنيه، الذي كان ينتمي إلى أسرة سمة وحكم على السند خمس عشرة سنة، فتوجه إلى الگجرات مع جيوشه فهدأ نفوس أهالي السند فأقيمت الاحتفالية يتردددون فيها كلمة أصبحت فيما بعد مثلًا شعبيًا:"بركت شيخ بتّها اک موا اک نتّها"۔ فكانوا يعتقدون أن ما حدث أنه توفى السلطان محمد بن تغلق خلال العملية العسكرية ضد السند ثم تراجع أخوه السلطان فيروز شاه كان بسبب بركات الشيخ يطلق عليه "شيخ بتّها"۔ وكلمة " اک موا" تشير إلى السلطان محمد بن تغلق، أما " اک نتّها" فتشير إلى تراجع السلطان من السند إلى الگجرات بعد الهزيمة الساحقة من جام بابنيه. وتفيد هذه الفقرة باعتقاد الناس بالشيوخ والصوفية أيضًا.[١]

هذا، ولما نقل السلطان محمد تغلق (٧٢٣-٧٥٢هـ/١٣٢٤- ١٣٥١م) عاصمته من دلهي إلى دولت آباد، ذلك في عام ٧٢٧هـ/١٣٢٧م؛ رحل معه كثير من العلماء والأدباء وعدد كبير من المتصوفين ورجال الدين[٢]، وهكذا كان لهذا العامل السياسي أعظم الأثر في انتشار اللغة الأردية في الدكن، وأدى المتصوفة ورجال الدين دورًا عظيمًا في جعل اللغة الأردية لغة أدبية[٣]

---

[١] حول المعارك العسكرية راجع شمس سراج عفيف: تاريخ فيروز شاهي، ترجمة مولوي محمد فدا علي طالب، ط: لاهور ٢٠٠٩م، ص١٢١-١٢٦حول ترجمة الشيخ پتها راجع إعجاز الحق قدوسي: تذكرة صوفياء سنده، ط: أكاديمية أردو، السند ١٩٥٩م، ص٧٢-٧٣-٧٤

[٢] لمزيد من التفاصيل راجع پيتر جاكسون: سلطنة دلهي: تاريخ سياسي وعسكري، ترجمة فاضل جتكر، ط:مكتبة العبيكان ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، تحت عنوان "إيجاد عاصمة ثانية في دولت آباد" ص٤٥١-٤٦٠

[٣] جميل جالبي: تاريخ أدب أردو ثلاثة مجلدات، ط: دلهي، جـ١، ص٧٤/ هذا وتفيد بعض المصادر استخدام ونشر اللغة الأردية في دهلي إبان تلك الفترة، حيث يقول الرحلة العربي:"أن أهل دهلي أهل

ويعد كتاب "معراج العاشقين" لخواجه بنده نواز گيسودراز الدكني (ت٧٩٣هـ/١٣٩١م) أول كتاب في النثر الأردي إبان القرن الثامن الهجري/الرابع عشر للميلادي[١]، ثم كتب أيضا كل من "ميرانجي"، و"الشيخ بيجان" في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وكذلك "شاه برهان"، و"شاه علي"، و"خوب محمد"، واشتهر الأخير بمؤلفه "نورنان" في القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي[٢]

وهكذا نجد في هذه المرحلة الدوافع العديدة التي لعبت دورًا كبيرًا في تطور اللغة الأردية، بجانب قيام بعض العلماء والصوفية بتدوين أعمالهم بهذه اللغة، ولكن استمرت خلال تلك الفترة كلغة عامية فكان من العيب إبان

ذكاء وفطنة فصحاء في اللسان الفارسي والهندي، ومنهم من ينظم الشعر بالعربي و يجيد فيه النظم..راجع شهاب الدين العمري (ت٧٤٩هـ ١٣٤٨م) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، السفر الثالث، تحقيق أحمد عبدالقادر الشاذلي، ط:المجمع الثقافي، أبو ظبي، الإمارات ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص٨٧

[١] جراهام بيلي: الأدب الإسلامي في شبه القارة، ص٤٠/ هذا ما نجده عن الأعمال النثرية أما فيما يتعلق بالشعر الأردي فتتفق كتب التراجم على أن مسعود سعد سلمان (٥١٥هـ/١١٢١م)، كان له أول ديوان باللغة الهندية؛ حيث يقول محمد عوفي:"له ثلاثة دواوين واحد بالعربية، وواحد بالفارسية، وواحد بالهندية." راجع محمد عوفي:لباب الألباب-كه در أوائل قرن سابع هجري نوشته شد، بسعي واهتمام وتصحيح ادوارد انكليسه، طبع ليدن (١٣٢١هـ/١٩٠٣م) جـ٢،ص٣٤٦/ وتميز من بين الشعراء الأوائل في نظم الأردية أمير خسرو الذي ولد عام ٦٥٣هـ/١٢٥٥م، بأحد أطراف أكره في عهد السلطان غياث الدين، وكان من مريدي الصوفي الشهير نظام الدين أولياء، فقد استطاع بمكانته في الشعر الفارسي وجمعه بين الثقافة الفارسية والثقافة الهندية أن يسهم في تقريب الأدب الهندي والأدب الفارسي، ويمهد للغة جديدة كانت الأساس في نشأة الشعر الأردي، ومن أمثلة أشعار خسرو هذه البيت الذي يشتمل على مصرع فارسي وآخر هندي: (شبان هجراں دراز چوں زلف وروز وصلت چو عمر كوتاه: سكهى پياكو جو ميں نہ ديكهوں تو كيسے كاٹوں اندهيرى رتياں، أي (إن ليالي الهجر طويلة كالخصلات، وأيام الوصل قصيرة كالعمر: فخبرني أيها الرفيق كيف أمضي الليالي المظلمة لو لم أر الحبيب) راجع لمزيد من التفصيل مسعود حسين خان: تاريخ زبان أردو أي تاريخ اللغة الأردية، ط، لاهور، أكاديمية أردو ١٩٤٦م، ص٧٩-١٠٠

[٢] جراهام بيلي: الأدب الإسلامي في شبه القارة، ص٤٠

تلك الفترة تدوين الأعمال الأدبية والتاريخية وغيرها باللغة الأردية العامية[١]، إلى أن بادرت الإمارات الجنوبية والگجراتية بتدوين أعمالهم الدينية والتاريخية والأدبية، وذلك بسبب اهتمام الملوك المحليين في جنوب الهند وفرط عنايتهم ببسط الرعاية الكاملة على اللغة الأردية وآدابها منذ قيام الدولة البهمنية وحتى بعد زوالها حيث أصبحت هذه اللغة لغة رسمية لهذه الإمارات المستقلة[٢].

المرحلة الرابعة: لما قامت إمارتا القطب شاهي في گولكنده (٩١٨-١٠٩٧هـ/١٥١٢-١٦٨٦م)، والعادل شاهي في بيجاپور (٨٩٥-١٠٩٨هـ/١٤٨٩-١٦٨٧م)، كان لهما اهتمامات خاصة باللغة الأردية حيث كان ملوكهما على درجة كبيرة من التحضر والثقافة، كما كان العديد منهم شعراء يكتبون الشعر باللغتين الفارسية والدكنية؛ فجعلوا بلاطهم مجمعًا علميًا للعلماء والشعراء، ثم حدث أنه نزل كثير من الكتاب والأدباء من ولاية غوجرات، بعد دخولها في حوزة الدولة المغولية في عام

[١] راجع السيد سليمان الندوي: انتخاب مضامين، ص٣٩/ وتجدر الإشارة هنا إلى أن ما تم في هذه المرحلة من المجهودات له قيمة لغوية مهمة، لأننا نرى فيها اللغة ماثلة في صورتها الأولى المعروفة لدينا اليوم، وقد كتب العلماء والصوفية عفو الخاطر صادرين عما يشعرون ولهم غاية مشتركة وخاصة هي تلقين الروح الدينية، وكانت غالبية من حملوا قلمهم من الصوفية، ولقد ذهب معظم ما كتبوه سدى، إلا أن ما أبقى الدهر عليه منه يتضمن المنظوم والمنثور ومعظمه بالدكنية.

[٢] وقد ظلت تحكم هذه الدولة حوالي مائتي عام شجع خلالهما سلاطين هذه الدولة العلوم والفنون ورفعوا مكانة أهلها، راجع محمد نصير الدين هاشمي: دكني كلچر أي الثقافة الدكنية، لاهوري مجلس ترقي أدب، ١٩٦٣م، ص٦٩/ ومن أشهر شعراء العهد البهمني: سعدي الدكني، وخواجه بنده نواز گيسو دراز، ونظامي، راجع لمزيد من التفصيل، عبد السلام الندوي: شعر الهند، مجلدان، طبع أكاديمية شبلي أعظم گره، جـ١، ص١٦/ أيضا محمد جميل أحمد: أردو شاعري پر ايك نظر أي نظرة على الشعر الأردي، طبع كراتشي، ١٩٨٥م ص٥٠

٩٨٠هـ/١٥٧٥م أي في عهد السلطان أكبر[١]، إلى هذه الإمارات الجنوبية حيث وجدوا مركزين مهمين للعناية باللغة الأردية هما: گولكنده، وبيجاپور، ففي عصر مؤسسي الإمارة القطبية (في گولكنده) نجد شعراء كثيرين من بينهم محمد قلي قطب شاه ملك گولكنده (٩٨٧-١٠١٩هـ/١٥٨٠-١٦١١م)[٢]، وابنه عبد الله قطب شاه، الذي نبغ في عهده كثير من أدباء اللغة الأردية ومنهم علي أكبر أحمد جنيدي، وله منظومة بعنوان "مابيكر" نظمها عام ١٠٦٤هـ/١٦٥٤م[٣].

ويعد حفيد ملك قلي قطب شاه وهو ملك محمد قطب شاه (ت١٠٣٥هـ/١٦٢٥م) من الأدباء والشعراء المعروفين آنذاك، فكان له مؤلفات عديدة في اللغة والشعر والأدب، ومنها "روح القدس"، "ظفر القلوب"، "قدرت نامه"، "مصباح الأرواح"، وكان يقرض الشعر الفارسي

---

[١] See for more details: Ali Mohammed Khan: The Political and statistical History of Gujarat, London, 1834, P.301-304

[٢] وهو رابع سلاطين القطب شاهيه في گولكنده، وتولى العرش بعد وفاة والده إبراهيم قطب شاه، وكان معاصرا للبادشاه أكبر في الدولة المغولية، وكان محمد قلي قطب شاه متميزا، له كليات ضخمة باللغة الأردية والفارسية، وأشعاره تشمل المثنوي والقصيدة والمراثي والرباعيات، وقد تخلص (لقب شعري) في الفارسية بـقطب شاه، وفي الأردية بـ(معاني)، وبلغ عدد أبيات أشعاره حوالي خمسين ألف بيت من الشعر. ومن نماذج أشعاره: کرتے ہیں دعوی شعر کا سب اپنی طبع سوں: بخشا فصیح شعر معانی کے تئیں خدا ، أي يدعى الجميع أنهم من الشعراء: ولكن الله قد منحني الشعر الفصيح ذا المعاني: راجع عبد السلام الندوي: شعر الهند، جـ١، ص١٧/ أيضا عبد الحي: گل رعنا، ص٢٣-٢٤/ أيضا رام بابو سكسينه: تاريخ أدب أردو، ترجمة مرزا عسكري، طبع أكاديمية غضنفر، كراتشي، باكستان، دون تاريخ، ص٦٢-٦٥

[٣] لمزيد من التفاصيل حول اهتمامهم باللغة الأردية، راجع عبد المجيد صديقي: تاريخ گولكنده، تحت عنوان "الإشراف على اللغة الأردية"، ص٢٨٨-٣٠٣/ أيضا عبد الحي الحسني: گل رعنا، ص٣٩

والأردي سويا، وكان "تخلصه" أي لقبه الشعري، ظل الله، وسلطان[١]. وفي عهد الملك محمد قطب شاه ظهر كل من ملا وجهي صاحب "سب رس"، وغواصي صاحب "سيف الملوك بديع الجمال وطوطي نامه[٢]"، وابن نشاطي صاحب "پهول نامه"، وكان كل من هؤلاء قد لقب بأمير الشعراء في البلاط الملكي[٣]، ثم لما جاء عصر أبو الحسن قطب شاه المعروف بـ "تانا شاه" آخر ملوك القطب شاهيه في گولكنده، والذي استمر إلى أن سقط بيد السلطان أورنگ زيب، وقد نبغ في عصره كثير من الشعراء والأدباء ومن أشهرهم "نوري"، و"فائز"، و"شاهي"، و"ميرزا" وغيرهم[٤].

وأما في بلاط علي عادل شاه البيجاپوري وابنه علي عادل شاه فقد ذاع صيت الشاعر "نصرتي" بين عامي ١٠٧٥-١٠٨٣هـ/١٦٦٥-١٦٧٣م، وله ثلاث قصص منظومة في اللغة الأردية، وتقع فيما يقرب من ثمانية آلاف بيت، منها "گلشن عشق"، و"علي نامه"، و"معراج نامه"[٥].

وبعد أن تم للسلطان أورنگ زيب(ت١١١٨هـ/١٧٠٧م) فتح جميع أجزاء الدكن، أقام لنفسه عاصمة هناك أطلق عليها اسمه وهي "أورنگ

---

[١] عبد المجيد صديقي: تاريخ گولكنده، ص٢٩٤-٢٩٥-٢٩٦/ ومن أمثلة أشعاره: سكهى تو برگز مجه پر نه كر غيظ: محبت پر نظر ركه بسر غيظ. أي لا تغضب مني كل لحظة أيها الحبيب، فضع المحبة نصب عينك واترك الغضب، رام بابو سكسينه: تاريخ أدب أردو، ص٦٦

[٢] لمزيد من التفصيل حول ترجمته الحافلة راجع، غلام حسين ذو الفقار خان: أردو شاعري پر سياسي اور سماجي پس منظر أي الخلفية السياسية والاجتماعية حول الشعر الأردي، طبع لاهور، باكستان، سلسلة نشريات جامعة بنجاب، ١٩٦٦م، ص١٢٢

[٣] عبد المجيد صديقي: تاريخ گولگنده، ص٣٠٤/ أيضا جراهام بيلي: الأدب الإسلامي في شبه القارة، ص٤٥-٥١

[٤] لمزيد من التفصيل حول الشعراء في عصر تانا شاه راجع مير حسن دهلوي: تذكرة شعراء أردو، طبع انجمن ترقي أردو، دلهي، دون تاريخ، ص١٢٣

[٥] راجع لمزيد من التفاصيل، عبد الحي: گل رعنا، ص٨٤-٨٥-٨٦

آباد"، والتي صارت في عهده مركزًا مهمًا للغاية للعلماء وللأدباء والشعراء لفترة طويلة، فقد توجه إليها سكان گولكنده وبيجاپور، بعد الاستيلاء عليهما، كما رحل إليها كثير من العلماء والمشايخ بدهلي في ركاب السلطان أورنگ زيب وبرز آنذاك عدد من الشعراء في البلاط المغولي.[١]

وفي نهاية المطاف علي أن أذكر بعض الحقائق المهمة حول اسم هذه اللغة، فالحقيقة أن الأردية كانت تسمى بأسمائها المحلية فكلما ذهبت إلى مقام انتسبت إليه، وذلك بسبب اختلاط المسلمين وانسجامهم في الثقافات المحلية، فكانت تسمى البنجابية، والدكنية، والگجراتية، والدهلوية، بينما هي في الحقيقة (أردية)، ولعل ذلك أن لهجات تلك المناطق وكلماتها أيضًا دخلت فيها فسميت كذلك، وعلى قول البعض أن علاقة الأردية من حيث انتسابها إلى المقامات المذكورة أعلاه إنما يرجع إلى انتشار اللغة الأردية فيها، ونستنتج أن المسميات المختلفة للغة الأردية تظهر الحالات التطورية التي تعرضت لها اللغة عبر العصور إلى أن أصبحت لغة الأدب وسميت أخيرًا بـ"زبان اردوئ معلى" أي لغة البلاط الملكي[٢]، ويؤكد بعض الباحثين على أنها توجد بهذا الاسم في أعمال الشعراء في نهاية القرن الثاني عشر للهجرة، إلا أن هذا الاسم بدأ ينكمش منذ بداية القرن الثالث عشر للهجرة ثم بدأ يطلق عليها بـ "أردو" فقط[٣]، وبعد سقوط الدولة المغولية في عام

---

[١] لمزيد من التفاصيل راجع عبدا الحي الحسني، المصدر نفسه، ص٩٠-٩٨/أيضًا جراهام بيلي، الأدب الإسلامي، ص٤٤-٤٥

[٢] الأردو كلمة تركية معناها "المعسكر"، وقد أطلقت تلك الكلمة على جيش المسلمين المرابط في دلهي، لمزيد من التفاصيل راجع شوكت سبزاوري: أردو زبان كا ارتقاء أي ارتقاء اللغة الأردية، ط: لاهور، باكستان، ص٧

[٣] راجع السيد سليمان الندوي: انتخاب مضامين، ص٣٩-٤٠-٤١

١٨٥٧هـ/ ١٢٧٣م وخراب دهلي هاجر الأدباء والعلماء إلى الولايات العديدة بما فيها مدينة لكهنؤ، وعظيم آباد، ومرشد آباد وأسهموا في تطوير هذه اللغة وآدابها تحت إشراف الإدارات المحلية.

وتجدر الإشارة إلى أنه لم يكن هناك أي تفريق بين اللغة الهندية والأردية خلال العصور الإسلامية ولكن ما أن قام الاستعمار الإنجليزي بإنشاء كلية فورت وليم في كلكتا عام ١٢١٤هـ/١٨٠٠م، واحتاج إلى تدريس وتعليم العناصر الأجنبية والمستشرقين للاطلاع على التراث الإسلامي الهندي، فاهتم بهذه اللغة للتعامل الإداري والثقافي مع الهنود، ولتطبيق سياسة "فرق تسد" في إطار تفريق قوة الهنود أي مسلمين وهندوس، قام الإنجليز بفتح شعبتين مختلفتين سميت إحداهما "شعبة هندية" مع استخدام الأبجدية السنسكريتية كما تم توظيف العلماء السنسكريتيين لإدخال المفردات والمصطلحات السنسكريتية وأخرى "شعبة أردية" باستخدام الأبجدية العربية والفارسية وتوظيف العلماء والأدباء المسلمين، وذلك تحت حجة تطوير اللغتين وآدابهما ولكن الهدف الأساسي كان يكمن في أن يصبح الهنود أقل قوة علميًا وثقافيًا وغير متحدين مع بعضهم البعض مما يسهل للاستعمار التعامل معهم، ومن هنا أصبحت هاتان اللغتان الشقيقتان مشتركتين في الكلام والقواعد ومختلفتين في الكتابة.[١]

[١] عبد الحي الحسني: الثقافة الإسلامية في الهند، ص٣٢٦-٣٢٧

المبحث الثالث:

كيفية عملية تهنيد الألفاظ العربية في اللغة الأردية مع تقديم أمثلة عديدة

قبل أن أناقش عملية "تهنيد" كلمات العربية ينبغي أن أذكر هنا أن المفردات العربية الدخيلة في الأردية لا تعد ولا تحصى، وكانت الكلمات العربية المستعملة في الماضي أكبر بكثير نظرًا لعدم وجود مزاحمة من جانب اللغات الأوربية والغزو الفكري.

والكلمات الدخيلة من العربية كلها من الأسماء والأفعال ولكن بعد دخولها إلى الأردية استخدمت بعضها في المدلول العربي نفسه أو خضعت لنظام الصرف والنحو الأردي فلحقت بها السوابق واللواحق والإضافات وغيرها لتؤدي المعاني المطلوبة من أحوال مختلفة لكل كلمة، ويطلق عليها كلمة "تهنيد" ما تقابل "تعريب" في العربية و"تفريس" في الفارسية، وهي قاعدة عامة لتطوير لغة ما وتخضع اللغات العالمية لهذا النظام، وتجدر الإشارة إلى أن الإنسان حينما يتخذ كلمات من لغات أخرى فتجبره سليقته اللغوية على تغيير شكلها أو مدلولها دون تعمد وإرادة، لأن اللغة مخلوق يشكل المجتمع الذي يعيش فيه، ومن هنا نستطيع أن نقول إن الشخص العربي مهما يحاول في نطق بعض الكلمات الهندية لن تفلح في ذلك، بل يغيرها بشكل أو بآخر، وسيمر الهندي على المرحلة نفسها لدى نطق بعض الكلمات العربية، مثل ألف، ع، ث، ص، س، ت، ط، أي تصير هذه الكلمات "ع" همزة، والصاد سينًا، والطاء تاءً، وهلم جرا، فمن الصعب أن يفرق بينهما عند النطق الصحيح، ومن هنا حدث تاريخيًا أن آلافًا من

الكلمات العربية بعد دخولها إلى اللغة الأردية اضطرت إلى اتخاذ الأشكال الهندية، وعلينا أن نذكر بعض الأمثلة حول ذلك:

هناك كلمة "راج" أردية تستخدم بمعنى "معمار" وهي مشتقة من كلمة "راز" عربية فصيحة تمامًا[١]، وكلمة "تمنى" هي كلمة عربية ولكن لدى دخولها إلى الأردية والفارسية أصبحت "تمنا"، وكلمة "تماشي" أصبحت في الأردية "تماشا"، هناك كلمة أردية "تبادله" مشتقة من كلمة "تبادل"، وكلمة "محاذ" تستخدم بمعنى "الحرب أو ميدان الحرب" وهي مشتقة من كلمة محاذي عربية[٢]، وكذلك كلمة "ورے" مشتقة من كلمة "وراء" عربية، وكلمة "سهي" الأردية محرفة عن كلمة "صحيح" العربية، وكلمة "أحوال" تستخدم في اللغة العربية كجمع ولكنها تستخدم في الأردية كمفرد، وكلمة ستون مشتقة من كلمة "استطوانة" العربية الفصيحة وتستخدم في الأردبية في جميع المعاني مثل العربية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن التغيرات المعنوية أكبر من التغيرات الشكلية في الكلمات والمفردات، فهناك آلاف من المفردات العربية والفارسية والتي تؤتي معنًى أرديًا خالصًا والتي لم ولن تستخدم في المعنى نفسه لا في اللغة العربية والفارسية، ومن هنا حدث بعد تهنيد المفردات العربية بدأت تفهم تلك المفردات في المعنى الذي جاء في اللغة الأردية قياسًا من المعنى الأصلي أو بسبب آخر، مثلًا كلمة "وجه" عربية تستخدم بمعنى "جهة"

---

[١] راجع كلمة "رأز" و"الرَّاز" ومعناها "من آلات البنائين، والجمع "رأزة، ابن منظور: لسان العرب، ط: دار المعارف مصر دون تاريخ، ص١٥٣٣/والرَّازُ: رَئيسُ البَنَّائينَ ج: الرَّازَةُ.، راجع قاموس المحيط، كلمة "راز".

[٢] محاذ، المحاذي - مُحَاذٍ، الْمُحَاذِي: جمع: ـون، ـات. [ح ذ و]. (فاعل مِنْ حَاذَى). "صَارَ مُحَاذِيًا لَهُ" : مُقَابِلًا لَهُ، إِزَاءهُ. "هُوَ مُحَاذَاكَ". راجع لسان العرب، ص٨١٤

و"سبب" في اللغة الأردية، أما كلمة "سبب" فتستخدم في الأردية بمعنى "علة" و"المتاع والعدة"، وهناك كلمة " النقْدُ والتَّنْقادُ أي تمييزُ الدراهِم وإخراجُ الزَّيْفِ منها[١]، تستخدم في الأردية بمعنى "انتقاد"، و "سكة أي عملة"، ثمة كلمة "الخير[٢]" تستخدم ضد الشر، وجمعه خُيور، ركبها الهنود مع اللاحقة"ي" و"ت" المفتوحة أي "خيريت" بمعنى "بخير" العربية، وبحذف اللاحقة "ي" وإضافة اللاحقة "ألف" أي "خيرات" تستخدم بمعنى "صدقة"، وبالمناسبة من المعلوم أن جمع المؤنث السالم علامته "ات" في نهاية اسم مثل "مسلمات"، "طيبات" وغيرها، القاعدة نفسها تستخدم في اللغة الأردية فتقال مثلًا "كاغذات" أي الأوراق، "دستاويزات" أي السجلات، "ديهات" أي القرى، ثمة كلمة "علاقة" أي الهوى والحُبُّ، تستخدم في الأردية بمعنى "منطقة" أما كلمة "غدر" أي ضدُّ الوفاء بالعهد، فتستخدم في الأردية بمعنى "الفوضى" وهكذا دواليك.

ومنذ كم يوم وأنا كنت أبحث عن بعض الكلمات وأصلها وفصلها في لسان العرب. فاطلعت على كلمة "راشن" ولها معاني عديدة في اللغة العربية. فيقول لسان العرب:"الرشن، بسكون الشين: الفُرضة من الماء، والراشن بكسرة السين: الداخل على القوم ليأكل، أي يأتي الوليمة ولم يُدع إليها. وهو الذي يسمي "الطفيلي" ويقال:"رشن الرجل إذا تطفل ودخل بغير إذن.[٣] وتستخدم كلمة "راشن" في اللغة الأردية بمعني تموين المطبخ من المواد الغذائية. ومن الغريب أنها تستعمل في الهندية أكثر من الأردية في

---

[١] راجع لسان العرب، ص٤٥١٧

[٢] مصدر نفسه، ص١٢٩٨

[٣] مصدر نفسه، ص١٦٥٢

المعنى نفسه. ويقال أيضًا "راشن كارد" أي بطاقة التموين تصدر من جانب الإدارة المحلية للحصول على المواد الغذائية المدعمة.

ومن الصعب استيعاب المفردات العربية التي دخلت إلى اللغة الأردية بسبب كثرتها وتنوعها في المعنى والقياس مع تغيير مدلولاتها، ونستطيع أن نذكر كنماذج بعض الكلمات الدخيلة التي تنقسم إلى مجموعتين: المجموعة الأولى تضم الكلمات العربية الدخيلة التي بقيت وحافظت على معانيها الأصلية أو أحد معانيها، أما المجموعة الثانية فهي تضم الكلمات العربية الدخيلة التي تغيرت مدلولاتها، ومثال ذلك ما يلي:

المجموعة الأولى:

الكلمة العربية	معناها العربي	معناها الأردي
سؤال	طلب الإجابة	سوال كرنا
الشرح	البسط والتوسيع	شرح كرنا
الصبر	التجلد وحسن الاحتمال	صبر كرنا
الاعتراض	إنكار القول والفعل	اعتراض كرنا
الصحن	الساحة	صحن
البلغم	خِلْطٌ من أَخلاط الجسَد	بلغم
حلوة	الحلو	حلوه
جائز	ممكن	جائز
شك	ريبة	شك
شفقة	عطف وحنان	شفقت

المجموعة الثانية:

الكلمة العربية	معناها العربي	معناها الأردي
متين	قوة وشدة	مهذب
ميــزان	الآلة التي تــوزن بهــا الأشياء	جمع
مذاق	الحاسة التي يمــيز بها طعم الأشياء	مــزاح، هــزل
ظروف	الحال	الأواني
غصة	ما اعترض في الحلــق من طعام وشراب	غيظ وغضب
محنة	البلاء والشدة	جهد، اجتهــاد، كــدح، مشقة
انكسار	تحطم	التواضع
ضبط	الحفظ والتصحيح	التجميد والقبض
أدبار	الظهر	الانحطاط والسقوط
خراب	ضِدُّ العُمْرانِ، والجمــع أَخْرِبةٌ	ســيئ، رديء، فاســد، تلف
دقة	لطافة، ويقال دقة النظر ودقة الملاحظة	المشاكل
أميــر	حاكم	غني أو ثري
غريب	مسافر	فقيــر

بخار	الدخان	الحمى
دهشة	العجب والحيرة	الخوف والرعب والذعر والهيبة
رحلة	السفر والانتقال	الموت والوفات

المبحث الرابع:

تحقيق بعض الكلمات الأردية ذات الجذور العربية وتاريخها

مهما تقم الأمم بالتغيير في تاريخها ووقائعها الأصلية من خلال السجلات التاريخية والأوراق الإدارية، ولكن اللغة وكلماتها ومفرداتها دائمًا تلعب الدور المحوري لتفريق الغث من السمين والحقيقي من الزائف في صفحات التاريخ، وهو الأمر الذي يساعد المحققين والباحثين على الوصول إلى الحقائق التاريخية عند الضرورة، فمثلًا لو أردنا أن نحقق مدى العلاقات التجارية والاقتصادية بين الشعوب في التاريخ الإنساني نستطيع أن نعلم ذلك من خلال تحقيق الكلمات والمفردات التاريخية والتي ستوفر معلومات هائلة حول ذلك، وهذا ما نجده في اللغة الأردية وفي بعض مفرداتها ومصطلحاتها التاريخية التي أصبحت مع الوقت كنزًا خاصًا لهذه اللغة مع أنها عربية بحتة، وهي توفر لنا معلومات جيدة حول العلاقات العربية والهندية عبر العصور. وعلي أن أذكر بعض الأمثلة لتوضيح ذلك.

١. دام: تستخدم هذه الكلمة كاسم العملة في العهد الإسلامي الهندي، واليوم هي تستخدم بمعنى "الثمن"، ولكي نعلم حقيقة هذه الكلمة، علينا أن نعود إلى ألفي عام حيث إن منطقة اليونان كانت تلعب دورًا تجاريًا

واقتصاديًا في المناطق الشرقية، مما جعل كلاً من مصر، والشام، والعراق وإيران والهند تقوي علاقاتها التجارية والاقتصادية مع بعضها ، وكانت العملات اليونانية هي السائدة إبان تلك الفترة من التاريخ في المناطق المذكورة أعلاه، وكانت عملة "درهم" أي أصغر عملة فضية دخلت باسمها من خلال الفارسية إلى العربية، حيث يقول صاحب لسان العرب:" والدِّرْهَمُ والدِّرْهِمُ: لغتان، فارِسِيّ مُعَرَّبٌ مُلْحَقٌ ببناء كلامهم..[١]" والكلمة الفارسية هي "درم" لما دخلت إلى الأردية أصبحت "دام" التي كانت من العملات الهندية النحاسية الشهيرة، وقد أخذت هذه العملة مكان "تنكه النحاسية" التي كانت مستعملة في عصر سلطنة دهلي وفي العصر المغولي[٢]، وهي تساوي نصف ثمن "تنكه النحاسية"[٣]. وكان يطلق على "دام" "پيسه" وعلى "نصف دام" ادهيلا[٤].

٢. كيرانت: هي كلمة أردية محرفة عن كلمة "قيراط"، وتستخدم في عملية الوزن الخفيف، يقول صاحب لسان العرب:" والقِرَّاط والقِيراط من الوزن: معروف، وهو نصف دانِق، وأَصله قِرّاط بالتشديد لأَن جمعه قَراريط فأُبدل من إِحدى حرفي تضعيفه ياء على ما ذكر في دينار كما قالوا ديباج وجمعوه دَبابيج[٥]، وقد دخلت هذه الكلمة من اليونانية إلى العربية التي بدورها وصلتها إلى الأردية.

---

[١] راجع لسان العرب، ص١٣٧٠

[٢] راجع ضياء بربي: تاريخ فيروز شاهي، ص٣١٩

[٣] See Hodivala: JASB, NS, XXVIII, P.80-98

[٤] أبو الفضل: آئين أكبري، جـ١، ص٢٧

[٥] راجع لسان العرب، ص٣٥٩١ وما بعدها

٣. عملة "أشرفي": هي أكبر عملة ذهبية كانت تستخدم في الهند الإسلامي، وأحياناً كان يطلق عليها "طلائي مهر أو مهر زر"[١]، و انتشر اسم "أشرفي" في بداية القرن السابع عشر للميلاد، أي في عهد السلطان المغولي جهانگير(١٠١٤-١٠٣٧هـ/١٦٠٥-١٦٢٧م)[٢]، حيث قبل ذلك كانت تستخدم كلمة "تنكه" في عصر سلطنة دهلي[٣]، وفي بداية العصر المغولي أي إلى عهد السلطان أكبر كانت كلمة "مهر" مستخدمة للدينار الذهبي[٤]، وقد أخذ اسم "أشرفي" رحلة طويلة إلى أن انتشر في الهند، ذلك أنه كان هناك سلطان چركسي في مصر يطلق عليه "برسبائي"، الذي حكم في مصر منذ عام ٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢٩-١٤٣٧م، وكان يلقب بـ الملك الأشرف[٥]، ذكر الرحالة العربي المعروف ابن ماجد أسد البحر في كتابه "الفوائد في أصول علم البحر والقواعد والأراجيز والقصائد"، اسم أشرفي من ضمن من تناول من أسماء سلاطين مصر، قائلًا:"والحادي عشر برسبي الأشرف ضارب سكة الأشرفي"[٦].

٤. سوتي أو سوسي: يوجد في الهند نوع من القماش يطلق عليه "سوسي" في اللغة الأردية والذي يرجع تاريخه إلى مدينة سوسة الواقعة في

---

١ Stanly Lane poole: The Coins of the Mughal Emperors of Hindustan in British Museum, Calcutta, Vol.3

٢ راجع فرشته، تاريخ فرشته، ص٢٧٤

٣ راجع برني: تاريخ فيروز شاهي، ص٣١٤-٣١٥-٣١٩-٤٩٦-٤٩٢-

٤ راجع أبو الفضل: آيين أكبري، ص١٧

٥ تفيد المصادر أنه أمر بمنع التعامل بالنقود الإفرنجية المشخصة (التي تسك في بلاد الفرنج وعليها صورة)، وسك نقوداً ذهبية باسمه عرفت بالأشرفية والبرسباهية، وكانت من أجود الأنواع ودام تداولها زماناً طويلاً من بعده، حول ترجمته، راجع جمال الدين يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧١)

٦ ابن ماجد أسد البحر: كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد والأراجيز والقصائد، ط: فرنسا ١٩٢١-١٩٢٣م، ص٤٠

المغرب الحالية، يقول صاحب معجم البلدان:"والصحيح أن سوسة مدينة صغيرة بنواحي إفريقية...أكثر أهلها حاكة ينسجون الثياب السوسية الرفيعة، وما صنع في غيرها فمشبه بها، يكون ثمن الثوب منها في بلدها عشرة دنانير.."[١]، وفي العصر الحالي صار يطلق على القماش القطني الفاخر كلمة "سوتي" وهي محرفة عن كلمة سوسي الذي كان يطلق على الثياب الفاخر في العصر الإسلامي في الهند.

٥. **رقم:** وتدل هذه الكلمة في العربية على خط وكتابة وما أشبه ذلك، جاء في اللسان الرقم والترقيم أي تعجيم الكتاب، والثوب: خططه، وتستخدم هذه الكلمة في اللغة الأردية بمعنى "المال والفلوس".

٦. **بس:** بمعنى فقط أو حسب وهي تسخدم في اللغة العربية الدارجة، وهي كلمة تستخدم في ثلاث أو أربع لغات هندية بما فيها الأردية في المعنى نفسه. و كلمة "بَس" أي فقط هي كلمة فصيحة حسب لسان العرب – فإن بَسٌ " بالبناء علي اَلضَّمِّ بمعنى حَسْبُ فقل: أكلت خبزًا وشربت ماء، وبس.[٢]

٧. **قاب:** هي كلمة محرفة عن كلمة "قعب" العربية، تستخدم بمعنى القدح الكبير يوضع فيه الطعام ويقدم على المائدة، جاء في اللسان:" القَعْبُ: القَدَح الضَّخْمُ، الغلِيظُ، الجافي.."

٨. **راجگير:** تستخدم هذه الكلمة لرئيس البنائين، وهي جاءت من كلمة "رأز" العربية، جاء في اللسان:" الرَّأْزُ: من آلات البنائين، والجمع رَأْزَةٌ.."

٩. **مستري:** أي البناء الماهر في الأردية، وأصلها "سطر" العربية، وهي تستخدم في الأردية بمعنى سطر الجدران قبل بنائها، والشخص الذي

---

[١] راجع شهاب الدين الحموي: معجم البلدان، أربع مجلدات، ط: دار صادر بيروت دون تاريخ، جـ٣، ص٢٨١-٢٨٢

[٢] راجع لسان العرب، كلمة بس، ص٢٨٢

يقوم بذلك يطلق عليه "مستري أو مسطري"، جاء في اللسان "السَّطْرُ والسَّطَرُ: الصَّفُّ من الكتاب والشجر والنخل ونحوها.."

١٠. خراد: يطلق على إحدى أدوات النجارين الذين يستخدمونها لتقشير وتسوية الخشب، وهي كلمة عربية تمامًا حرفت عن كلمة "خرط"، جاء في القواميس العربية:" خرطتُ العود أخرطه وأخرطه خرطاً..خَرَطَ الشجرَ يَخْرِطُهُ ويخْرُطُه: انْتَزَعَ الوَرَقَ منه اجْتِذابًا..

١١. ساحول وساهول: يطلق على إحدى أدوات البناءين، حيث يشد في طرف الحبل الطويل شيء ثقيل مثل الحديد أو ما شابه ذلك، ثم يدلى ذلك بالحبل إلى أسفل الجدار للنظر في استقامة الجدار عند إنشائه، وهي كلمة محرفة عن كلمة عربية "شاقول" ذكرها العالم المسلم الخوارزمي في كتابه "مفاتيح العلوم" فيقول:"الشاقول، هو ثقل يشد في طرف حبل يمد سفلًا، يحتاج إليه النجارون، والبناءون."[١]

١٢. نستعليق: اسم خاص لإحدى الخطوط الفارسية والأردية، وهو في الأصل تركيب هندي مكون من كلمتي "نسخ" و"تعليق"؛ ذلك من خصائص تراكيب اللغة الهندية إنه تحذف كلمة أو كلمتان من وسط اللفظ المكون من اللفظين، فهكذا تم تركيب نستعليق من نسخ وتعليق، وقد وصل هذا الخط إلى درجة عالية من الإتقان والجودة.[٢]

---

[١] محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي: مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الإبياري، ط٢: دار الكتاب العربي، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، الباب الثامن، الفصل الثاني، ص٢٧٤

[٢] راجع السيد سليمان الندوي: انتخاب مضامين، ص٩٣

هذا، وفي نهاية المطاف أستطيع أن أقول إن اللغة الأردية لـم تسـتعر فقط الكلمات العربية ومصطلحاتها ومفرداتها في المجالات كافة، بل اتخذت أيضًا القواعد والقوالب العربية لمعالجة آدابها من الفنون اللغوية والبلاغيـة ونحن سنرى في المبحث التالي كيف كان الإسلام واللغـة العربيـة عاملًـا أساسيًا في نشأة هذه اللغة وآدابها وتطورها عبر العصور.

المبحث الخامس:

تأثير البلاغة العربية في البلاغة الأردية

تؤكد الكتب الأردية البلاغية على أن اللغة العربية تركت أثرًا كبيرًا في الآداب الأردية؛ التي استعارت لدى تكوينها وتدوينها فنون البلاغة العربية؛ من علوم البيان والمعاني والبديع، ذلك أن علماء المسلمين لعبوا دورًا محوريًا في تكوينها وهم كانوا على إلمام تام باللغة العربية ولم يكن لديهم بديل ومن ثم نقلوا كل ما يتعلق بالآداب العربية من البلاغة وجـزئياتها إلى الأردية. فكان الغرض من وضع علم البلاغة هو العلم بالتـراكيب الواقعة في الكلام وهي الغاية نفسها التي توجد في البلاغة العربية.

أما الكتب الأردية المتداولة الآن في مجال علم البلاغة الأردية فمعظمها مترجم من كتب علم البلاغة العربية، وتم ترتيبها على حسب الموضوعات الموجودة في الكتب العربية. فلا شك أن علماء الهند قلدوا تقليدا كاملًا تدوين وترتيب علم البلاغة الأردية. ولمـزيد من التوضيح أذكر هنا أن الكتب البلاغية في الأردية القديمة جلها تبدأ بذكر الفصاحة والبلاغة ثم يأتي ذكر كل من البيان والمعاني والبديع مثلما ذكرت في الكتب العربية. ولدينا كتب

عديدة تم تصنيفها على المنوال نفسه مثل "بحر فصاحت" لصاحبه نجم الغني رامپوري،[١] و"تسهيل البلاغت" لمحمد سجاد مرزا بيگ الدهلوي[٢]، و"معيار بلاغت" لصاحبه ديبي پرساد سحر بدايوني[٣].

وتفيد بعض المصادر الأردية أن البلاغة الأردية بكل تفاصيلها وجـــزئياتها نسخة ثانية طبق الأصل من العربية، وهناك بعض العناصر الموجودة في علم البديع الأردي جاءت من اللغة الفارسية أو وضعها الهنود.[٤] وعند الاطلاع على كتب البلاغة الأردية نعرف أن جلها متأثر بالكتب العربية البلاغية، فنجد مثلا تعريف علم البلاغة لغويًا في الأردية هو نفس التعريف الموجود في اللغة العربية، حيث كتب السيد هاشمي في كتابه جواهر البلاغة فيقول :"البلاغة في اللغة الوصول والانتهاء، يقال بلغ فلان مراده إذا وصل إليه وبلغ الراكب المدينة إذا انتهى إليها ومبلغ الشيء منتهاه[٥].

وهذا المفهوم يوجد أيضًا في اللغة الأردية حيث الكلمات المستعملة لتعريف علم البلاغة في اللغة الأردية تؤتي المعنى نفسه من خلال استخدام الكلمات، مثل بالغ، تبليغ، إبلاغ، بلوغ، ومبلغ وغيرها.[٦]

---

[١] نجم الغني رامبوري: بحر فصاحت، ط: مطبع نول كشور، لكهنؤ دون تاريخ

[٢] محمد سجاد ميرزا بيك: تسهيل البلاغت، ط: محبوب المطابع دهلي الهند دون تاريخ.

[٣] ديبي برساد: معيار بلاغت، ط٥: مطبع نول كشور لكهنؤ ١٩٤٧م.

[٤] راجع حمد عسكري: آئينة بلاغت، ط: مكتبة صديق لكهنؤ الهند ١٩٣٧م

[٥] السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط: مطبعة السعادة، مصـــر العربيـــة عـــام ١٩٦٠م، ص٣١

[٦] راجع الدكتور السيد عليم أشرف جائسي: اردو بلاغت بر عربي كي اثرات، مقالة نشرت في مجلة معارف الأردية، عدد ديسمبر عام ٢٠١٢م، ص٤٤٧

والشروط التي وضعت في اللغة العربية للتأكيد على كلام فصيح نجد الشروط نفسها في اللغة الأردية. والكتب الأردية في مجال البلاغة تؤكد على وجود تأثير اللغة العربية القوية حيث ذكرت في بعض الكتب العربية القديمة بعض العناصر من البلاغة والتي ذكرت من ضمن علم البلاغة مثل الدلالة التي نجدها عند علماء علم اللغة الأردية فمثلا عرف سحر بدايوني في كتابه "معيار بلاغت" علم الدلالة معتمدًا على الكتب العربية القديمة فقسم علم الدلالة في اللغة الأردية إلى "دلالت لفظي وغير لفظي، عقلي وطبيعي ووضعي ومطابقى وتضمني والتزامي" وغيرها، وهي الدلالة اللفظية، والعقلية والطبيعية والوضعية ودلالة تضمن ومطابقة ودلالة الالـــتزام وغيرها.[١]

أما علم البيان وهو عنصر مهم من علم البلاغة العربية اتخذ كما هو، ونستطيع أن نقول وبكل تأكيد أن علم البيان في الأردية نسخة من الأصل العربي ما عدا الأمثلة. ويعرف نجم الغني رامبوري علم البيان في الأردية فيقول:"علم بیان ایسیه قاعدوں کا نام ہے که اگر کوئي ان کو جانیه اور یاد رکھیه تو ایک معنی کو کئي طریق سیه عبارت مختلفه مین ادا کرسکتا ہے- جن مین سیه بعض طریق کی دلالت معنی پر بعض سیه زیاده واضح هوتی ہے-[٢]" وليس هناك فرق بين هذا التعريف الأردي وما

[١] معيار بلاغت، ص٣٢
[٢] نجم الغني: مفتاح البلاغت، ص١١٦

جاء عند الخطيب القزويني حيث يقول:"هو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه"[١].

أما أركان التشبيه في علم البيان فهي هي في اللغة الأردية أي "مشبه، مشبه به، وجه تشبيه وأداة تشبيه أي حرف تشبيه، ويتم تعريفها مثل اللغة العربية ويطلق على مجموعة مشبه ومشبه به "طرفا تشبيه" في اللغة الأردية وهي كلمة مستعارة من العربية.[٢] ومثل اللغة العربية يكون مشبه ومشبه به حسيًا وعقليًا والعكس. والهدف من التشبيه واحد فيهما، والغريب أن علماء اللغة الأردية عرضوا في كتابهم هذه الأركان وغيرها بنفس الترتيب ذكرها القزويني في كتابه وهذا يدل على وجود تأثير اللغة العربية ومظهرها في اللغة الأردية.[٣]

ومثل التشبيه نجد أن المؤلفات الأردية البلاغية تبدأ بتعريف بيان الاستعارة مقتسبًا من اللغة العربية كل ما يتعلق بتعريفها وأقسامها وترتيبها متخذا الأسماء نفسها مثل: مستعار له، مستعار منه، وجه جامع، أي الجامع، وطرفا استعارة وغيرها. وأسماء أقسام الاستعارة وأنواعها في الأردية عربية الأصل والفصل، مثلا:"أصلية، تبعية، مطلقة، مجردة، مرشحة، تمثيلية تصريحية ومكنية وغيرها.[٤]

---

[١] راجع جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني(ت٧٣٩هـ): تلخيص المفتاح في المعاني والبيان، ط:دار إحياء التراث العربي، مصر دون تاريخ، ص٦٦

[٢] راجع تسهيل البلاغت، ص١٣١-١٣٨/ آئينة بلاغت، ص١٦٥-١٦٩

[٣] مفتاح البلاغت، ص١٢٧-١٢٨/ معيار البلاغت، ص٣٨/ آئينة بلاغت، ص٦٣-٦٤/ درس بلاغت، ص٢٥

[٤] راجع مفتاح البلاغت، ص١٤٤-١٥١/ معيار البلاغت، ص٣٩-٤٠/ تسهيل البلاغت، ص١٣٥/ درس بلاغت، ص٣٠-٣١

وبعد ذكر الاستعارة يأتي بيان المجاز بنفس الترتيب العربي. وكل ما يتعلق بأقسام المجاز الحقيقي والمعنوي ووجود العلاقات مع بعضهما البعض وما يتعلق بالمصطلحات المستخدمة في العربية جلها تستخدم في الأردية.[١]

ومثل اللغة العربية يأتي ذكر "الكناية" في اللغة الأردية، والتي تم تعريفها بـــ" لفظ لا يُرادُ به الظاهر من معناه، وإنما هي لفظٌ أُطْلِقَ وَأُريد به معنىً آخر"[٢]، ويعرفها محمد سجاد مرزا فيقول:"كنايه: اصطلاح علم بىان مين اىسيه كلمه كو كهتيه هين جس كيه لازمى معنى مراد هوں اور اگر حقىقى معنى مراد لئيه جائين تو بهى جائز هو"[٣].

ومثلما تم تقسيم الكناية في اللغة العربية إلى ثلاثة أقسام تم ذلك في الأردية أيضًا، أي الكناية عن الصفة، والكناية عن الموصوف، والكناية عن النسبة، أي "موصوف سيه كنايه، صفت سيه كنايه اور نسبت سيه كنايه". وبجانب ذلك مثلما تم تقسيم الكناية على حسب قلة وكثرة الوسائط في معنى اللازم والحقيقي وإبراز المعنى الضروري أو إخفائه إلى الأقسام العديدة التي اتخذتها اللغة الأردية لنفسها بنفس الاسم والفعل الموجود في اللغة العربية.[٤]

وبعد ذكر الطرق في علم البيان تتناول الكتب الأردية وجوه البلاغة في هذه الطرق ويتم تعيين درجاتها مثلما تتناولها الكتب العربية أي أن المجاز

---

[١] راجع مفتاح البلاغت، ص١٥٢-١٥٣/ آئينة بلاغت، ص١٧٤/ درس بلاغت، ص٣٥-٣٦

[٢] تلخيص المفتاح، ص٩١

[٣] تسهيل البلاغت، ص١٤٥

[٤] آئينة بلاغت، ص١٧٤-١٧٥/ مفتاح البلاغت، ص١٥٧-١٥٨

أبلغ تعبيرًا من الحقيقة وأن الكناية أكثر تأثيرًا من التصريح بالكلام والاستعارة أقوى من التشبيه.[١]

والفرع الثاني من فروع علم البلاغة هو علم المعاني وهو ليس بأقل في الأهمية من البيان والبديع، بل في الواقع هو أهم منهما لأنهما يؤديان إلى ازدياد التأثير في الكلام أما علم المعاني فمن خلاله يصل الكلام إلى أبلغ ما يكون فهو يرشدنا إلى اختيار التركيب اللغوي المناسب للموقف، كما يرشدنا إلى جعل الصورة اللفظية أقرب ما تكون دلالة على الفكرة التي تخطر في أذهاننا. ونظرًا لأهميته نرى أن الكتب القديمة في العربية والأردية في البلاغة تبدأ من هذا الفرع.

يعرف السيد الهاشمي علم المعاني فيقول: أصول وقواعد يعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مطابقًا لمقتضى الحال بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له"[٢].

والتعريف نفسه لعلم المعاني نجده في اللغة الأردية كأنه مترجم من التعريف العربي نفسه، جاء في كتاب "بحر فصاحت":علم معانى اىسيه قواعد كا نام ہے جن سيه ىه بات معلوم هوجاتى ہے كه يه لفظ مقتضاء حال كيه مطابق ہے ىا نهين اور اگر ان قواعد كا لحاظ ركهين تو كسى لفظ كيه معنى مراد لىنى مين خطا و غلطى واقع نه هوگى"-[٣]

وموضوعات علم المعاني هي في اللغة الأردية بأسمائها دون ألف لام، فمثلًا جاء التعريف في كتاب "مفتاح البلاغت" الأردي:علم معانى آٹه

[١] تلخيص المفتاح، ص٩٣/ مفتاح البلاغت، ص١٥٨-١٥٩
[٢] السيد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص٤٦
[٣] راجع نجم الغني: بحر فصاحت، ص٣٤٧

چیزوں سیه بحث کی جاتی ہے: اسناد خبری، مسند الیه، مسند متعلقات فعل، قصر، انشاء، فصل، وصل، ایجاز واطناب ومساوات"[١]

وذكر خطيب القزويني الموضوعات نفسها بنفس الترتيب مع زيادة الألف واللام، فيقول:" وينحصر "أي علم المعاني" في ثمانية أبواب: أحوال الإسناد الخبري، أحوال المسند إليه، أحوال المسند، أحوال متعلقات الفعل، القصر، الإنشاء، الفصل والوصل، والإيجاز والإطناب والمساواة"[٢].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الكتب الأردية التي تتناول علم المعاني وتعريفه وأقسامه تتبع في ذلك نفس المنهج العربي وأسلوبه، فنجد مثلا نفس الطريقة التي تم استخدامها لدى تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء وتقسيم الإنشاء إلى طلبي وغير طلبي، وفي التعريف عن المسند والمسند إليه والغرض من إلقاء الخبر، وخروج الخبر عن مُقتَضَى الظاهر وغيرها جاءت من علم المعاني العربية. وفي الواقع أن الكتب الأردية القديمة في البلاغة أشبه بالكتب العربية البلاغية من الكتب الأردية الحديثة، فمثلا نجد المجاز العقلي مذكور في فن البيان في الكتب العربية الحديثة بينما نجده في الكتب الأردية من ضمن أبواب علم المعاني على منوال الكتب العربية القديمة[٣].

أما علم البديع فهو يأتي تحت الرقم الثالث من حيث الفن البلاغي. ويعرفه القزويني فيقول:" علم يعرف به تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة."[٤]

---

[١] راجع مفتاح البلاغت، ص٤٧

[٢] تلخيص المفتاح، ص٨

[٣] راجع علي الجارم: البلاغة الواضحة، ط: مكتبة دانش، دهلي الهند دون تاريخ، ص١١١

[٤] تلخيص المفتاح، ص٩٣

وجاء تعريف علم البديع في الكتب الأردية:"بدیع ایک ایسا علم یعنی ملکه ہے جس سیه چند ایسیه امور معلوم هوتیه هین جو خوبی کلام کا باعث هوتیه هین مگر اول اس بات کی رعایت ضروری ہے که کلام مقتضائ حال کیه مطابق هو اور اس کی دلالت مقصود پر خوب واضح هو"[١].

ولدى ذكر الموضوعات المتعلقة بالمحسنات المعنوية واللفظية اتبعت الكتبُ الأردية الكتبَ العربية بتقديم المحسنات المعنوية على المحسنات اللفظية.[٢]

وجل أقسام المحسنات المعنوية واللفظية دخلت إلى الأردية بنفس الاسم مثل "مطابقت، تورية، مراعاة النظير، مقابلة، حسن تعليل، تأكيد المدح بما يشبه الذم، جناس أو تجنيس وسجع وغيرها. وهناك فن التلميح أو التمليح وهو فن من فنون البديع وهو أن يشار في فحوى الكلام إلى مثل سائر أو شعر نادر أو قصة معروفة أو ما يجري مجرى المثل. ودخل هذا الفن أيضًا مع فنون البديع الأخرى إلى الأردية. وهناك بعض الباحثين في اللغة الأردية يؤكدون على أن هذا الفن لم يدخل إلى الأردية من العربية بل من الفارسية.[٣] ولكن في الواقع أنه جاء من العربية إلى الفارسية والأردية على السواء. ومن المعلوم أن فن التلميح يوجد في كل لغات العالم ولكن لم يعتبر في بعض اللغات كفن في لغة ما وهذا ما حدث في العربية أيضًا حيث ما كان علماء اللغة يعتبرونه كفن إلى القرن الثامن الهجري إلى أن جاء السيد شريف الجرجاني المتوفى في ٨١٦هـ في بداية القرن التاسع الهجري فذكر

---

[١] مفتاح البلاغت، ص١٥٩

[٢] حول التفصيل راجع سجاد ميرزا: تسهيل البلاغت، ص١٤٩/ سحر بديواني: معيار البلاغت٤٤/ درس بلاغت، ص٣٩

[٣] راجع على سبيل المثال ظهير رحمتي: غزل كي تنقيد كي اصطلاحات، ط: دهلي ٢٠٠٥م، ص١٨٧

فن التلميح في كتابه المعروف "التعريفات".[١] ومنذ ذلك الوقت يتردد هذا الفن في كل الكتب البلاغية في العربية والأردية والفارسية.

هذا، وما ذكرت أعلاه حول تأثير البلاغة العربية في البلاغة الأردية يدل على مدى تأثيـــر اللغة العربية وآدابها في اللغة الأردية وآدابها والتي ماكان ممكنًا دون تغلل الثقافة الإسلامية ونشرها في شبه القارة الهندية التي أصبحت بعد الفتوحات الإسلامية لها جزأ لا يتجزأ من الدول الإسلامية حكم فيها المسلمون قرون عديدة، اتخذوها المسلمون الفاتحون وطنًا وسكنًا ومعاشًا ومدفنًا، ووهبوا لهذا البلد أفضل ما عندهم من عقيدة ورسالة وأخلاق وسجايا ومقدرة وكفاية وتنظيم وإدارة، فنقلوها من طور البداوة إلى طور الحضارة.

نتائج عامة:

١. ناقش المبحث الأول دخول ونشر الإسلام فـــي الهنـــد مشـــيرًا إلـــى مصادفة المسلمين اللغات واللهجات العديدة، ثم تناول قضية انـــدماج المسلمين مع الأهالي مع الإشارة إلى كيفية دخول الكلمـــات العربيـــة ومصطلحاتها ومفرداتها إلى اللغات واللهجات المحلية، مؤكدًا على أن اللغة العربية هي العنصر الأساسي في تمهيد الطريق لنشـــأة اللغـــة الأردية فيما بعد.

٢. ناقش المبحث الثاني تاريخ نشأة الأردية وآدابها عبر العصور، فتناول كيفية وصول اللغة الأردية مع المسلمين أينما حلوا مشيرًا إلى تكوينها من خلال نتائج التفاعل الحضاري وتأثيرات المنطقة اللسانية عليهـــا،

[١] راجع السيد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ/١٤١٣م): التعريفات، ط: عالم الكتب، بيروت ١٩٨٧م، ص٩٥

مؤكدًا على أنها تكونت في السند والملتان، ثم ارتقت قليلًا في البنجاب إلى أن وصلت إلى دهلي وأطرافها وهناك اختلطت باللغات المحلية ثم بدأت تنتشر إلى أن وصلت مع نقل العاصمة إلى الدكن التي أشرفت عليها رسميًا وأعطتها الرعاية الرسمية الكاملة وجعلتها لغة الأدب، ثم تناول عودة اللغة الأردية إلى المناطق الشمالية ونشرها في دهلي وأطرافها، مؤكدًا على أن هذه اللغة اكتسب فيضها من جميع المناطق واللغات السائدة فيها، مشيرًا إلى قيام الاحتلال بتقسيم اللغة الأردية إلى اللغتين؛ الهندية والأردية مع استخدام الحروف الأبجدية السنسكريتية في الهندية.

٣. ناقش المبحث الثالث قضية تهنيد الكلمات العربية والفارسية وغيرها من اللغات الشرقية عبر العصور، فأشارت إلى الكلمات العربية الدخيلة وكيفية استخدامها في اللغة الأردية، مع ذكر تقسيم هذه الكلمات إلى المجموعتين، تضم المجموعة الأولى الكلمات العربية الدخيلة التي بقيت وحافظت على معانيها الأصلية أو أحد معانيها، وتطرقت المجموعة الثانية للكلمات العربية الدخيلة التي تغيرت مدلولاتها، مشيرًا إلى هذه الكلمات في القوائم لمزيد من التوضيح والتشريح.

٤. تناول المبحث الرابع والأخير تاريخ بعض الكلمات الأردية ذات الجذور العربية، مشيرًا إلى كيفية وصول هذه الكلمات التاريخية إلى شبه القارة الهندية ودخولها واستخدامها في المجالات العديدة، ثم

تعرض للأمثلة العديدة لمثل هذه الكلمات مع شرحها وتوضيحها من خلال استخدام المعاجم العربية التراثية.

٥. وتعرض المبحث الخامس لتأثير البلاغة العربية في البلاغة الأردية، ناقشًا الموضوعات البلاغية العربية الدخيلة إلى الأردية وكيفية استخدامها وترتيبها في اللغة الأردية. مشيرًا إلى الدوافع الدينية والثقافية التي جعلت علماء الهند أن يتخذوا البلاغة العربية كأداة لتطوير هذه اللغة التراثية الإسلامية لمسلمي شبه القارة الهندية.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر العربية:

١. ابن النديم: كتاب الفهرست، تحقيق رضا تجدد، عشرة أجزاء

٢. ابن حوقل: أبو القاسم بن حوقل النصيبي (ت بعد سنة ٣٦٧هـ/٩٧٨م):كتاب صورة الأرض، ط:منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان ١٩٩٢م

٣. ابن ماجد أسد البحر: كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد والأراجيز والقصائد، ط: فرنسا ١٩٢١-١٩٢٣م

٤. ابن منظور: لسان العرب، ط: دار المعارف مصر دون تاريخ

٥. أبو الريحان البيروني: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، ط: الذخائر ، مصر عام ٢٠٠٣م،

٦. أبو العباس البلاذري: فتوح البلدان، تحقيق وشرح عبد الله أنيس الطباع، ط:مؤسسة المعارف، بيروت دون تاريخ

٧. بزرگ بن شهريار: عجائب الهند، بره وبحره وجزائره، ط: القاهرة ١٩٠٨م
٨. البيهقي: تاريخ البيهقي، ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأت، ط: بيروت ١٩٨٢م
٩. پيتر جاكسون: سلطنة دلهي: تاريخ سياسي وعسكري، ترجمة فاضل جتكر، ط:مكتبة العبيكان ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م
١٠. جراهام بيلي: الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية الباكستانية، ترجمة حسين مجيب المصري، ط: الدار الثقافية للنشر، القاهرة ١٤٢١هـ/٢٠٠١م
١١. جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني(ت٧٣٩هـ): تلخيص المفتاح في المعاني والبيان، ط:دار إحياء التراث العربي، مصر دون تاريخ
١٢. جمال الدين يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧١)
١٣. حمد محمد بن صراي: العلاقات الحضارية بين منطقة الخليج العربي وشبه القارة الهندية وجنوبي شرق آسيا، ط: الجمعية التاريخية بالرياض ١٤٢٧هـ
١٤. سمير عبد الحميد إبراهيم: اللغة العربية وقضية التنمية اللغوية في باكستان
١٥. السيد أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ط: مطبعة السعادة، مصر العربية عام ١٩٦٠م
١٦. السيد الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ/١٤١٣م): التعريفات، ط: عالم الكتب، بيروت ١٩٨٧م
١٧. شهاب الدين الحموي: معجم البلدان، أربع مجلدات، ط: دار صادر بيروت دون تاريخ

١٨. عبد الحليم الندوي: مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند، ط: الهند ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م
١٩. عبد الله محمد جمال الدين: التاريخ والحضارة الإسلامية في الباكستان أو السند والبنجاب إلى آخر فترة الحكم العربي، ط: دار الصحوة دون تاريخ
٢٠. علي الجارم: البلاغة الواضحة، ط: مكتبة دانش، دهلي الهند دون تاريخ
٢١. محمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي: مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الإبياري، ط٢: دار الكتاب العربي، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م
٢٢. محمد ناظم: السلطان محمود الغزنوي، حياته وعصره، ترجمة عبد الله سالم الزليتني، ط: دار المدار الإسلامي ٢٠٠٧م بيروت
٢٣. المقدسي: شمس الدين المقدسي (ت ٣٨٠هـ/٩٩٠م):أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٢: ليدن، ١٩٠٦م
٢٤. موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي المعروف بـ"ابن أبي أصيبعة (٦٠٠-٦٦٨هـ): عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق نزار رضا، طبع، دار مكتبة الحياة، بيروت، دون تاريخ

المصادر الفارسية والأردية:

١. أبو الفضل: آئيين أكبري، ثلاثة مجلدات، ط: كلكتا، الهند، عام ١٨٧٧م
٢. إعجاز الحق قدوسي: تاريخ سند، ط:مركزي أردو بورد، لاهور ١٩٧٤م
٣. جميل جالبي: تاريخ أدب أردو ثلاثة مجلدات، ط: دلهي
٤. رام بابو سكسينه: تاريخ أدب أردو، ترجمة مرزا عسكري، طبع أكاديمية غضنفر، كراتشي، باكستان، دون تاريخ
٥. السيد أبو ظفر ندوي: تاريخ سند، ط٢: أكاديمية شبلي النعماني، الهند ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م

٦. السيد سليمان الندوي: انتخاب مضامين، مرتبه صباح الدين عبد الرحمن، ط: الأكاديمية الأردية بلكهنؤ، ١٩٨٥م
٧. سيد محمد مبارك كرماني الملقب أمير خورد: سير الأولياء ط: مطبع محب هند دهلي ١٣٠٢هـ
٨. شوكت سبزاوري: أردو زبان كا ارتقاء أي ارتقاء اللغة الأردية، ط: لاهور، باكستان
٩. ضياء الدين برني(ت ٧٥٧هـ/١٣٥٧م): تاريخ فيروز شاهي، تحقيق سيد أحمد خان، ط: الجمعية الآسوية، ببنگال، ١٨٦٢م
١٠. عبد الحق محدث دهلوي: أخبار الأخيار، ط: دهلي ١٤١٤هـ/١٩٩٤م
١١. عبد السلام الندوي: شعر الهند، مجلدان، طبع أكاديمية شبلي أعظم گره
١٢. عظيم الحق جنيدي: تاريخ أدب أردو، ط: دهلي الهند ١٩٨٠م
١٣. غلام حسين ذو الفقار خان: أردو شاعري پر سياسي اور سماجي پس منظر أي الخلفية السياسية والاجتماعية حول الشعر الأردي، طبع لاهور، باكستان، سلسلة نشريات جامعة بنجاب، ١٩٦٦م
١٤. فخر مدبر: تاريخ فخر الدين مبارك شاه، بتصحيح سرديني سن راس، ط: لندن عام ١٩٢٧م
١٥. فرشته: تاريخ فرشته، ط: نولكشور لكهنؤ
١٦. فوائد الفؤاد، ملفوظات الشيخ نظام الدين أولياء، جمع وترتيب أمير حسن، ط:نول كشور لكهنؤ ١٣٠٢م
١٧. محمد جميل أحمد: أردو شاعري پر ايك نظر أي نظرة على الشعر الأردي، طبع كراتشي، ١٩٨٥م
١٨. محمد سعيد أحمد: حيات خسرو، ط:مطبع أكبري، الهند دون تاريخ

١٩. محمد عوفي: لباب الألباب، تحقيق براؤن ومرزا محمد، ط: لندن ١٩٠٦م
٢٠. محمد نصير الدين هاشمي: دكني كلچر أي الثقافة الدكنية، لاهوري مجلس ترقي أدب، ١٩٦٣م
٢١. مسعود حسين خان: تاريخ زبان أردو أي تاريخ اللغة الأردية، ط، لاهور، أكاديمية أردو ١٩٤٦م
٢٢. منهاج سراج: طبقات ناصري، ط: كلكتا
٢٣. مير حسن دهلوي: تذكرة شعراء أردو، طبع انجمن ترقي أردو، دلهي، دون
٢٤. شمس سراج عفيف: تاريخ فيروز شاهي، ترجمة مولوي محمد فدا علي طالب، ط: لاهور ٢٠٠٩م
٢٥. إعجاز الحق قدوسي: تذكرة صوفياء سنده، ط: أكاديمية أردو، السند ١٩٥٩م
٢٦. نجم الغني رامپوري: بحر فصاحت، ط: مطبع نول كشور، لكهنؤ دون تاريخ
٢٧. محمد سجاد ميرزا بيگ: تسهيل البلاغت، ط: محبوب المطابع دهلي الهند دون تاريخ
٢٨. ديبي برساد: معيار بلاغت، ط٥: مطبع نول كشور لكهنؤ ١٩٤٧م
٢٩. حمد عسكري: آئينة بلاغت، ط: مكتبة صديق لكهنؤ الهند ١٩٣٧م
٣٠. ظهير رحمتي: غزل كي تنقيد كي اصطلاحات، ط: دهلي ٢٠٠٥م
٣١. ملا عبد القادر البدايوني: منتخب التواريخ، ترجمة أردية الدكتور عليم أشرف خان، ثلاث مجلدات، ط:قومي كونسل أردو زبان، دهلي ٢٠٠٨م

المجلات والدوريات:

١. محمد أجمل خان: الكلمات العربية والفارسية في اللغات الهندية، ثقافة الهند، عدد ٤، عام ١٩٤٠م

٢. الدكتور السيد عليم أشرف جائسي: اردو بلاغت بر عربي كي اثرات، مقالة نشرت في مجلة معارف الأردية، عدد ديسمبر عام ٢٠١٢م

المصادر الإنجليزية

1. *Ali Mohammed Khan: The Political and statistical History of Gujarat, London, 1834*
2. *Francois Bernier (1625–1688): Travels in the Mogul Empire: Tr. Archibald Constable, London 1891, P.439*
3. *Saiyid Athar Abbas Rizvi: A History of Sufism in India*
4. *Stanly Lane poole: The Coins of the Mughal Emperors of Hindustan in British Museum, Calcutta*
5. *Tara Chand: Influence of Islam on Indian Culture, P. India, 1922, P.1-29*
6. *UHAMMAD WAHID MIRZA. Life and Time of Amir khusraw,Calcutta 1935*
7. *Jawaharlal Nehru: The Discovery of India, (Oxford University Press, Sixth Impression 1988, India)*
8. *Khaliq Ahmed Nizami: Religion and Politics in India During the Thirteenth Century (Oxford University Press India 2002)*

***

محمد زكريا الكاندهلوي
أحد المحدّثين العباقرة في الهند
(١٣١٥-١٤٠٢هـ/١٨٩٨-١٩٨٢م)

الدكتور محمد أكرم نواز*

هو محمد زكريا بن محمد يحيى الكاندهلوي من المحدّثين الجهابذة والعلماء الأفذاذ، ولد في ١١ من رمضان ١٣١٥هـ/٢ من فبراير ١٨٩٨م في بلدة كاندهله من محافظة مظفر نكر بأترا براديش الغربية، وسُمي بمحمد زكريا ومحمد موسى واشتُهر بالأول، ولما بلغ من العمر سنتين ونصف انتقل من كاندهله إلى كنكوه حيث كان يقيم والده مولانا محمد يحيى الكاندهلوي عند مولانا رشيد أحمد الكنكوهي لتلقي علم الحديث من لدنه، وأدرك الشيخ الكنكوهي وسعد بحنانه وعطفه الأبوي لما بينه وبين والده اختصاص، ولما بلغ الثامنة من العمر لحق الشيخ الكنكوهي برفيقه الأعلى في ٢٣ من جمادى الأولى ١٣٢٣هـ/١١ من أغسطس ١٩٠٥م، وبقي في بلدة كنكوه إلى أن بلغ الثامنة عشرة من العمر، وأثناء إقامته بها قرأ "بهشتي

* أستاذ ضيف، جامعة جواهر لال نهرو، نيو دلهي

زيور"، ومبادئ اللغتين الأردية والفارسية على مولانا محمد إلياس، وقرأ كتبا عديدة في النحو والأدب على والده وحفظ القرآن.[١]

وبعد وفاة الشيخ الكنكوهي بدأ أبوه مولانا محمد يحيى الكاندهلوي يدرِّس في زاوية كنكوه، وكان آنذاك يدرُس هناك ٨٠ طالبا، ومن بينهم كان من يدرُس "القاعدة البغدادية" ومن يدرُس "ديوان الحماسة"، والجزئين الأولين من "الهداية".[٢]

وكان يجلس الأطفال في أسرته للقراءة عامة في السنة الخامسة من عمرهم، ولكن محمد زكريا شرع في القراءة في حدود السنة الثامنة من عمره، وبدأ قراءته بالقاعدة البغدادية،[٣] وبدأ حروف الهجاء على قرينة الدكتور عبد الرحمن المظفر نكري وحفظ القرآن على والده.[٤]

ثم انتقل في شهر رجب ١٣٢٨هـ/يوليو ١٩١٠م مع والده إلى مدينة سهارنبور المركز العلمي الديني الكبير، لأن والده كان قد انتقل إلى المدينة المذكورة من بلدة كنكوه وكان ينوي أن يقيم بها إقامة دائمة قبل شهرين أو ثلثة أشهر، وبدأ في سهارنبور تحصيل العلوم العربية بصورة منتظمة، وكان قد وُفِّق له قبل ذلك أن يقرأ الدروس العربية والفارسة الابتدائية على عمه مولانا محمد إلياس ووالده، وعكف على تلقي العلوم الدينية المتداولة في غاية العكوف.[٥]

---

[١] محمد شاهد السهارنبوري،"حياتِ شيخ"،١/٢٩-٣٠ و٦٠٥؛ محمد شاهد السهارنبوري،"علماے مظاهر علوم سهارنپور اور انكي علمي وتصنيفي خدمات"،٣/١١٩

[٢] محمد زكريا الكاندهلوي، "آپ بيتي"، ١/٤٤

[٣] نفس المصدر، ١/٨٩-٩٠

[٤] نفس المصدر، ١/٩٢-٩٥

[٥] محمد زكريا الكاندهلوي، "آپ بيتي"، ١/٩٨-٩٩

وفي ١٣٢٨هـ/١٩١٠م التحق الشيخ محمد زكريا بمدرسة مظاهر علوم وقرأ "الكافية"، و"هداية النحو"، و"شرح مائة عامل"، وما إلى ذلك من الكتب، وبدأ قراءة الحديث على والده، ففي السابع من محرم الحرام ١٣٣٢هـ/الخامس من ديسمبر ١٩١٣م بعد صلوة الظهر بدأ يدرس "مشكوة المصابيح" على والده، ومن ذلك اليوم الذي شرع فيه في قراءة "مشكوة المصابيح" أصبح الحديث شغله الشاغل وغاية أمانيه،[١] ومن أجل ذلك اشتهر في آخر الأمر بلقب "شيخ الحديث" وغلب هذا اللقب على اسمه.

وتخرج منها في ١٣٣٤هـ/١٩١٦م، فقرأ في الحديث "سنن أبي داؤد"، و"جامع الترمذي"، و"صحيح البخاري"، و"سنن النسائي" من الصحاح الستة ما عدا "صحيح مسلم"، و"سنن ابن ماجة" على والده[٢]، وقرأ "صحيح البخاري"، و"جامع الترمذي" مرة أخرى في العام الدراسي ١٣٣٤-١٣٣٥هـ/١٩١٦-١٩١٧م ــ فإنه كان قد قرأهما على والده من قبل ــ على أستاذه ومرشده ومربيه المحدّث الكبير الشيخ خليل أحمد السهارنبوري، وكان ذلك على طلب من الشيخ السهارنبوري نفسه لما توسم فيه من النجابة وصدق الطلب ولما بينه وبين والده علاقات وطيدة ودية وعميقة.[٣]

وأما أساتذته الكرام ففي الحديث الشريف له أستاذان فقط؛ والده مولانا محمد يحيى الكاندهلوي، ومولانا خليل أحمد السهارنفوري، فقرأ على والده "مشكوة المصابيح"، و"شرح معاني الآثار" للإمام الطحاوي، و من الصحاح

---

[١] محمد زكريا الكاندهلوي،"آپ بيتي"،١/١٠١ و ١١٤

[٢] نفس المصدر،١/١١٥-١١٦ و١١٨

[٣] محمد شاهد السهارنبوري،"حياتِ شيخ"،١/٧٠ ؛محمد زكريا الكاندهلوي، "آپ بيتي"،١/ ١١٩

الستة ماعدا "صحيح مسلم"، و"سنن ابن ماجة"، و"سنن أبي داؤد"، و"جامع الترمذي"، و"صحيح البخاري"، و"سنن النسائي"، وقرأ على مرشده ومربيه مولانا خليل أحمد "صحيح مسلم"، و"موطأ الإمام محمد"، و"شرح سنن الآثار" للإمام الطحاوي، و"سنن أبي داؤد"، و"سنن النسائي"، وقرأ "صحيح البخاري"، و"سنن الترمذي" عليه مرة أخرى فإنه كان قد قرأهما على والده من قبل.[١] وكان قد شرع في قراءة "سنن ابن ماجة" على مولانا خليل أحمد السهارنفوري في المدينة المنورة بعد أن انتهى مولانا السهارنفوري من تأليف "بذل المجهول في شرح سنن أبي داؤد" وقرأ دروسا منها ولكن لم يتمكن من إتمامها وذلك لأنه جاء شهر رمضان المبارك وأصيب مولانا السهارنفوري بالمرض وقرأ مجلدا ونصف من "شرح معاني الآثار" للإمام الطحاوي على أبيه وبقيتها على مولانا خليل أحمد على سبيل التبرك،[٢] وقرأ دروسا من "نفحة اليمن" في الأدب العربي، ودروسا من كتب الفقه الابتدائية من "القدوري"، وما إلى ذلك على عمه مولانا محمد إلياس الكاندهلوي مؤسس حركة الدعوة والإصلاح والكتب العليا من الفقه على والده، وقرأ كتب الأدب على والده، وقرأ دروسا من "نحو مير" على الشيخ ظفر أحمد التهانوي[٣].

وله ثلة أساتذة في فن المنطق (١) درس كتب المنطق إلى "قطبي مير" من عمه الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس، و(٢) الشيخ عبد الوحيد

---

[١] محمد زكريا الكاندهلوي، "آپ بيتي"،١/١٠٢ و١٠٧ و١١١ و١١٩و١٢٢-١٢٣

[٢] نفس المصدر، ١/١٢٣-١٢٤

[٣] محمد زكريا الكاندهلوي، "آپ بيتي"،١/١٠٠ و١٠٢-١٠٣ و ١٠٧ و١١٢ ؛محمد شاهد السهارنبوري،"حياتِ شيخ"،١/٣٣

السنبهلي، وقرأ على الأخير "سلم العلوم"، و"الميبذي"، و"مير زاهد"، و"أمور عامة"، و(٣) الشيخ عبد اللطيف ناظم المدرسة سابقا، وقرأ عليه بقية المنطق (ماعدا الكتب المذكورة) من "شرح التهذيب"، و"مير زاهد"، و"ملا جلال"، و"ملا حسن"، و"حمد الله"[١]، وقرأ كذلك "إقليدس"، و"الشمس البازغة"، وشيئا من "تصريح شرح چُغميني" عليه أي على مولانا عبد اللطيف ناظم المدرسة سابقا.[٢]

ومن حسن حظه أن شيخه مولانا خليل أحمد طلب منه أن يتعاون معه في تأليف "بذل المجهود في شرح سنن أبي داؤد" عندما أراد تأليفه، وساعده مولانا محمد زكريا كل المساعدة في هذا الشأن، وفتح ذلك قريحته في التصنيف والتأليف والشرح ووسع نظره في فن الحديث، فكان الشيخ خليل أحمد يوجِّهُه إلى المصادر العلمية التي يلتقط منها مواد شرحه لـــ"سنن أبي داؤد"، فيجمعها محمد زكريا ويعرضها على شيخه، فيأخذ منها ما يحتاج إليه في الشرح، ثم يملي عليه فيكتبه وهكذا تم إعداد "بذل المجهود في شرح سنن أبي داؤد" بفضل الله وعونه في خمسة أجزاء كبار، وهو الآنه طُبع في ٢٠ مجلدا من مصر.[٣]

وفي أوائل محرم ١٣٣٥هـــ/نومبر ١٩١٦م تم تعيينه مدرسا في مدرسة مظاهر علوم على راتب شهري مبلغه ١٥ روبية وعُهِد إليه تدريسُ الكتب الابتدائية من "علم الصيغة"، و"شرح مائة عامل"، و"نحو مير"، و"نفحة اليمن"، و"أصول الشاشي"، وما إلى ذلك من الكتب، فدرّس الكتب في الفنون

[١] محمد زكريا الكاندهلوي، "آپ بيتي"،١/١٠٤-١٠٧ و١٠٨ و١١٢
[٢] نفس المصدر، ١/١٠٧
[٣] محمد ثاني الحسني، "حياتِ خليل"، ص ٦٠٥-٦٠٦

المختلفة حقبة من الدهر من "المرقاة"، و"مسلم الثبوت"، و"الكافية"، و"شرح الجامي"، و"المقامات الحريرية"، و"سبع معلقات"، و"ديوان الحماسة"، و"القدوري"، و"كنز الدقائق"، والأجزاء الأربعة من "الهداية"، و"الدر المختار"، و"تفسير البيضاوي"، و"تفسير المدارك، و"تفسير الكشاف"، وما إلى ذلك،[١] وفي شهر رجب ١٣٤١هـ/فبراير ١٩٢٣م عُيِّن أستاذا للحديث في المدرسة وعُهِدَ إليه تدريسُ عدة أجزاء من "صحيح البخاري"، وفي شوال ١٣٤١هـ/مايو ١٩٢٣م قام بتدريس "مشكوة المصابيح" لأول مرة في حياته التدريسية إلى أن تبوأ رئاسة تدريس الحديث في ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م،[٢] ودرّس كتب الحديث طوال مدة تدريسه بالمدرسة، فقام بتدريس "مشكوة المصابيح"، و"سنن أبي داؤد"، والمجلد الأول من "صحيح البخاري"، والمجلدين من "صحيح البخاري"، و"سنن النسائي"، و"موطأ الإمام محمد"، و"شمائل الترمذي"، ودرّس "جامع الترمذي"، و"صحيح مسلم" من حين لآخر كلما أصيب أساتذة دورة الحديث بمرض أو إذا قاموا برحلات طويلة[٣]، وكان معظم اشتغاله وأعظم ولعه بـ"سنن أبي داؤد"، وكذلك درَّس "صحيح البخاري" مرات وكرات، واستمر عمله للتدريس والإفادة مدة ٤٨ سنة إلى أن توقف في ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م بعوارض مختلفة وخاصة بسبب نزول الماء، وأثناء هذه الفترة الطويلة تتلمذ عليه ١٨٢١ طالب من طلاب الحديث

[١] محمد زكريا الكاندهلوي، "آپ بيتي"،١/١٢٧-١٢٨

[٢] محمد زكريا الكاندهلوي، "آپ بيتي"،١/١٢٨؛محمد ثاني الحسني، "حياتِ خليل"،ص ٦٠٦-٦٠٧؛محمد شاهد السهارنبوري،"حياتِ شيخ"،١/٢١٠-٢١١، ١٠٩-١١٠

[٣] محمد زكريا الكاندهلوي، "آپ بيتي"،١/١٢٨-١٣٠؛محمد شاهد السهارنبوري، "علمائے مظاهرِ علوم سهارنپور اور اُنكي علمي وتصنيفي خدمات"، ٣/١١٩-١٢٠

الشريف.[١] وفي ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م زار الحجاز لأداء مناسك الحج والعمرة للمرة الثانية مع شيخه الأستاذ خليل أحمد وعمه الشيخ محمد إلياس ودرّس "سنن أبي داؤد" في "المدرسة الشرعية" أثناء إقامته في ١٣٤٥هـ/١٩٢٦م بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم.[٢]

وفي ٦ من صفر ١٣٤٦هـ الموافق ٩ من أغسطس ١٩٢٧م تم انتخابه كمستشار ناظم المدرسة[٣]، ثم انتُخِب في سلخ ذي الحجة ١٣٧٣هـ/٢٩ من أغسطس ١٩٥٤م رئيس المجلس الاستشاري للمدرسة، وظل عضوا للمجلس الاستشاري لدار العلوم بديوبند لمدة ١٢ سنة من ١٣٧٠هـ/١٩٥١م حتى ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م،[٤] وفي السابع من ذي القعدة ١٣٤٥هـ الموافق ١٠ من مايو ١٩٢٧م أجازه شيخه ومربيه العلامة المحدّث خليل أحمد السهارنبوري بأخذ البيعة.[٥]

وزار الشيخ الكاندهلوي الحجاز لأداء مناسك الحج والعمرة سبع مرات، ونهائيا رحل إلى مدينة الرسول صلوات الله عليه في ٢٦ من ربيع الأول ١٣٩٣هـ الموافق الأول من أبريل ١٩٧٣م، وكان يتمنى أن يموت

---

[١] محمد زكريا الكاندهلوي، "آپ بيتي"،١/١٢٩-١٣٠؛محمد ثاني الحسني، "حياتِ خليل"،ص ٦٠٧؛محمد شاهد السهارنبوري، "علمائے مظاهرِ علوم سهارنپور اور اُنكي علمي وتصنيفي خدمات"،٣/١١٩-١٢٠

[٢] محمد زكريا الكاندهلوي، "آپ بيتي"،١/١٢٩

[٣] محمد شاهد السهارنبوري،"حياتِ شيخ"،١/٢١١

[٤] محمد شاهد السهارنبوري، "علمائے مظاهرِ علوم سهارنپور اور اُنكي علمي وتصنيفي خدمات"،٣/١٢٠

[٥] محمد شاهد السهارنبوري،"حياتِ شيخ"،١/١٩٨-١٩٩/ محمد شاهد السهارنبوري،"علمائے مظاهرِ علوم سهارنپور اور اُنكي علمي وتصنيفي خدمات"،٣/١٢٠

بأرضها، فحقق الله أمنيته، وتوفي بأرضها في ٢ من شعبان ١٤٠٢هـ الموافق ٢٥ من مايو ١٩٨٢م، ودفن في البقيع.[١] (رحمه الله رحمة واسعة)

وفي ٢٣ من جمادى الأخرى ١٣٩٣هـ حصل على إجازة الإقامة بالمدينة المنورة، والآن كانت إقامته بالهند مؤقتة، وذلك لأنه لم يكن يسمح لحامل إجازة الإقامة أن يقيم خارج المملكة العربية السعودية أكثر من ٦ أشهر، وإلا يتم إلغاء الإقامة[٢]، وفي ذي القعدة ١٣٩٧هـ الموافق أكتوبر ١٩٧٧م توجه إلى الحجاز ولم يعد بعده إلى الهند، فإنه في الفترة ما بين ربيع الأول ١٣٩٣هـ - ذي القعدة ١٣٩٧هـ رحل مرات عديدة إلى الهند[٣] منذ أن حصل على إجازة الإقامة بالمدينة المنورة.[٤]

آثاره العلمية:

قدر الله عزوجل أن يكمل الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي ما شرعه والده الشيخ محمد يحيى الكاندهلوي وأن ينشر ما دونه من أمالي شيخه وعلومه وأن يزيدها تنقيحا وتهذيبا، ويضيف إليها الشيء الكثير من تحقيقاته

---

[١] محمد زكريا الكاندهلوي، "آپ بيتي"،٢/١١٥٢؛محمد شاهد السهارنبوري، "علمائے مظاهرِ علوم سهارنپور اور اُنكي علمي وتصنيفي خدمات"،٣/١٢٠

[٢] محمد زكريا الكاندهلوي، "آپ بيتي"،٢/١١٧٨

[٣] فسافر في الفترة المذكورة أعلاه إلى الهند من الحجاز في ١٣٩٤هـ (آب بيتي ٢/١١٧٨)، وفي ١٣٩٥هـ (آب بيتي ٢/١٢٤٠ و١٢٩٧-١٣٠٢)، وفي ١٣٩٦هـ (آب بيتي ٢/١٣٠٩)، وفي جمادى الأخرى ١٣٩٧هـ للمرة النهائية فإنه لم يرجع إلى الهند بعدما عاد إلى الحجاز في ذي القعدة ١٣٩٧هـ (آب بيتي ٢/١٣٢٧ و١٣٣٧)

[٤] محمد زكريا الكاندهلوي، "آپ بيتي"،٢/١١٥٢ و١١٧٨ و١٣٣٧؛ راجع للتفصيل أيضا أبو الحسن علي الندوي، "حضرت شيخ الحديث مولانا محمد زكريا كاندهلوي"، مكتبهء اسلام، ٣٧ گوئن روڈ، لكناؤ، الهند، ربيع الثاني ١٤٢٣هـ/يونيو ٢٠٠٣م.

وحصيلة دراسته ومطالعته ونتيجة فكره وتأملاته، وأن يكون ركنا من أركان علم الحديث في البلاد الهندية وفي هذا العصر الأخير.

وكان كاتبا كثير الإنتاج، وهذه هي الميزة التي فاق بها أقرانه من العلماء المعاصرين، وعزز المؤلف أواصره مع عامة الناس وكذلك الأوساط العلمية بواسطة كتاباته القيمة، وهذا هو الشيء الذي جعله مقبولا في كافة أرجاء العالم الإسلامي، إنه ألف أكثر من مائة كتاب بما فيها الكتب العربية العديدة:

"أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك":

شرع في تأليف "أوجز المسالك إلى موطأ الإمام مالك" في الأول من ربيع الأول ١٣٤٥هـ/٩ من سبتمبر ١٩٢٦م يوم الجمعة أثناء إقامته بالمدينة المنورة حينما زار الحجاز لأداء مناسك الحج للمرة الثانية في ١٣٤٤هـ/١٩٢٦، وكان عمره آنذاك ٢٩ سنة، فقد رجع إلى الهند بعدما ألّف إلى باب الصلوة، واستمر على تأليفه في الهند إلى أن أكمله في (٦) مجلدات كبار في ٢٨ من ذي الحجة ١٣٧٥هـ/٦ من أغسطس ١٩٥٦م،[1] والآن طُبِع في (١٥) مجلدا في حلل قشيبة من الطباعة من مصر.

يعرف كل من له أدنى إلمام بعلم الحديث أن الموطأ للإمام مالك أول كتاب دُوّن في الحديث وهو من الكتب المقررة في جميع المدارس الدينية والرسمية وقد كانت الحاجة ماسة إلى شرح أقوال الإمام التي تتعلق بالمذهب

[1] محمد شاهد السهارنبوري،"علمائے مظاهرِ علوم سهارنپور اور اُنکي علمي وتصنيفي خدمات"،٣/١٢١؛محمد شاهد السهارنبوري،"حياتِ شيخ"،١/ ٢٠١؛محمد شاهد السهارنبوري،"فهرستِ تأليفات شيخ،١/٢٧؛محمد ثاني الحسني، "حياتِ خليل"،ص ٦٠٧-٦٠٨

المالكي وقد يستدعي اطلاعا واسعا على كتب المالكية وقد جاء هذا الكتاب وافيا في هذا الباب ولا يعرف فضل هذا الكتاب إلا من درسه دراسة كاملة.

إن هذا الشرح أوفى شرح للموطأ حديثا وفقها ولغة بقول وسط، وإنه شرح ممزوج مع متن الحديث ولفظ السند، فهو شرح واف.

خصائص هذا الشرح:

- حل المفردات وغريب الكلمات وشرح العبارات والمطالب في غاية الشرح وتحقيق الرواة باختصار.
- إنه يستوفي شرح أسماء الرجال بكلام موجز منقح مع جرح تعديل كي يتعرف القارئ على درجة الحديث.
- نقل المذاهب الأئمة الأربعة وماعداها في المسائل الخلافية عن الكتب الفقهية الموثوقة عند أهلها مع إحالة إلى المراجع، بل ويستقصي الأقوال والروايات المختلفة المروية في كتب المذاهب عن الأئمة، ولاسيما في مذهب الإمام مالك.
- إنه يأتي بأدلة المذاهب تارة بالاستقصاء وتارة بالتلخيص حسب ما اقتضاه المقام.
- إنه يعتمد على شرح الحديث على جهابذة شارحي الموطأ كالقاضي أبي الوليد الباجي، والقاضي عياض وأمثالهما، وطورا ينتقي من كلام المتأخرين من الشارحين.
- إيضاح المذهب الحنفي بالتفصيل وإيراد الدلائل المتعددة في تأييده.
- الكلام المبرهن على جميع المباحث الفقهية والأصولية المهمة في كل باب.

- يشرحه بأسلوب واضح غير معقد بعبارة فصيحة سهلة وبكلام رائع ووسط بين الإيجاز وبين الإسهاب المخل والإطناب الممل.
- من أبرز خصائص هذا الكتاب أن المؤلف قد اعتنى في هذا الشرح بإيراد مذاهب الأئمة المجتهدين في كل باب وقد عول في ذلك على كتب الفتاوى غير مقتصر في ذلك على ما نقله الشراح الآخرون وقد اعتنى بجمع الروايات التي تؤيد المذهب الحنفي، وذلك لأن الشارحين، كما يقول المؤلف، يختلفون في نقل مذهب إمام من الأئمة المجتهدين طورا، ويخطئون طورا في نقل مذهب من مذاهب الأئمة المجتهدين.
- وقام بتخريج الأحاديث التي ذكرها الإمام مالك مرسلا أو تعليقا بقدر المستطاع.

"لامع الدراري على جامع البخاري":

شرع الشيخ الكاندهلوي في التعليق على هذا الشرح والتحقيق فيه في ٧ من محرم الحرام ١٣٧٦هـ/١٤ من أغسطس ١٩٥٦م، واستغرق هذا العمل الجليل مدة ١٢ سنة، فتم في ١٠ من ربيع الأول ١٣٨٨هـ/٧ من يونيو ١٩٦٨م،[١] ويقع في ٣ مجلدات.

وهذا الكتاب مجموع إفادات أفاد بها الشيخ المحدّث مولانا رشيد أحمد الكنكوهي أثناء تدريسه للجامع الصحيح للبخاري وكان تلميذه الرشيد العالم الجليل مولانا محمد يحيى (م١٣٣٤هـ) الكاندهلوي يقيدها على إثر الدرس باللغة العربية بعناية بالغة حين حضر هذا الدرس سنة ١٣١١هـ/١٨٩٤م،[٢]

[١] محمد شاهد السهارنبوري،"فهرستِ تأليفات شيخ،٢٩٣/٣

[٢] محمد مسعود عزيزي الندوي، "سيرت حضرت مولانا محمد يحيى صاحب كاندهلوي" ص ٩٨

وكانت عبارته السهلة الوجيزة تشبه المتون فاحتاج لذلك نجله الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي إلى حل الغريب وشرح الغامض وتوضيح المجمل وإلى تعليق حواش وتوضيحات. وكان من عادة الشيخ الكنكوهي أن يدرّس الصحاح الستة، وكان يقدم الجامع للترمذي ثم السنن لأبي داؤد ثم صحيحي البخاري ومسلم، فالنسائي، فابن ماجة سردا مع بحث قليل فيما يتعلق بالكتاب،[١] ولذلك لم يفض في الأبحاث التي سبقت في جامع الترمذي وفي سنن أبي داؤد، ولم يسهب فيها، ولكنه عني بصفة خاصة بالأبحاث التي تختص بالجامع الصحيح للبخاري كاستدلال للإمام البخاري في التراجم وهو دليل على براعته وإمامته في فن الحديث.

فعلق عليه الشيخ زكريا الكاندهلوي وحققه بعد جهد جهيد، والأصح أن يقال إنه ألف كتابا مستقلا في صورة الحواشي والتعليقات عليه.

"الكوكب الدري على جامع الترمذي":

تم تأليف هذا الشرح في ١٦ من رجب ١٣٥٣هـ/٢٦ من أكتوبر ١٩٣٤م.[٢]

وهو مجموع إفادات وتحقيقات للإمام الهمام المحدّث الكبير مولانا رشيد أحمد الكنكوهي أفاد بها خلال تدريسه لسنن الترمذي وهي التي كان كبار الطلبة والعلماء يشدون إليها الرحال من أقاصي البلدان ويقيمون في قريته كنكوه (مقر الشيخ الكنكوهي) حرصا عليها وتنافسا فيها وكان كبار المحدّثين يكبون على انتساخها ويعضون عليها بالنواجذ وقد جمعها أحد

[١] عبد الحي الحسني، "الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام"، الجزء الثالث/المجلد الثامن ص ١٢٣٠

[٢] محمد شاهد السهارنبوري،"فهرستِ تأليفات شيخ،٣/٢٦٧-٢٦٨

تلاميذه العالم الكبير والمحدّث الجليل مولانا محمد يحيى الكاندهلوي باللغة العربية وعلق عليها نجله الفاضل مولانا محمد زكريا الكاندهلوي شيخ الحديث بمدرسة مظاهر علوم بسهارنفور تعليقات قيمة وتحقيقات أنيقة وبديعة فيها تفصيل للإجمال وحل للمغلقات وإحالة على المراجع وتعضيد لإفادات الشيخ بأقوال السلف، وقد أصبح بذلك تعليقه هذا على أمالي تدريس الشيخ الكنكوهي لـــ"الجامع الصحيح" للترمذي شرحا مستقلا لـــ"الجامع الصحيح" للترمذي، ويقع في مجلدين.

إن كتاب "الكوكب الدري" شرح ضاف وواف لـــ"الجامع الصحيح" للإمام الترمذي، ويشتمل على فوائد كثيرة لا يعرف قيمتها إلا من اشتغل بتدريس الجامع طويلا، لا فضول فيه ولا تقصير، هذا بالإضافة إلى فوائد في اللغة وغريب الحديث وعلم الرجال والأصول، ومقاصد الشريعة. ويتجلى الذوق الأدبي في بعض المواضع من الشرح، وتظهر طلاوة العبارة وحلاوة التعبير، لأن الشارح كانت له قدم في الأدب، وقد تأتي العبارات مقفاة مسجوعة على عادة الكتاب في ذلك العصر من دون تكلف وركاكة. فقد علق الشارح على الكتاب تعليقا مفيدا منيرا يرفع القناع عن الغامض، ويفصل المجمل، ويوضح المبهم، وضمه تحقيقات استخرجها من كتب أخرى، وعني بتنقيح الأقوال، وتحرير المذاهب، معتمدا في ذلك على ما توصل إليه من كتب المذاهب الأربعة التي لم يتفق نشرها في حياة الشارح، ولم يتسن الاطلاع عليها فزاد في قيمة الكتاب العلمية.

"الأبواب والتراجم للبخاري":

إن "الأبواب والتراجم" في "الجامع الصحيح" لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري من أدق البحوث والمطالب ومن أعمقها غورا، وأبعدها مدى، وليس هناك مؤلف من مؤلفات العلماء أو الحكماء عُني به رجال ذلك الفن وعكفوا على حل غوامضه ومشكلاته، مثل ما عُني علماء الحديث بالجامع الصحيح، وذلك يدل على أهمية الكتاب. فـ"الأبواب والتراجم" لـ"صحيح البخاري" تحتل أهمية قصوى لدى العلماء المحدّثين، وحقق فيها المتقدمون والمتأخرون من العلماء غاية التحقيق بعد إمعان بالغ فيها لسنوات طوال، وعُدت "الأبواب والتراجم" معقدة وعسيرة الحل في كل عصر، ونظرا للتعقدات الكثيرة فيها اعتنى العلماء المحدّثون به أشد اعتناء بعد كتاب الله، وألفوا في تراجم البخاري تأليفات كثيرة، ولم تكن لديه إلا رسالتين فقط إحداهما تأليف الشاه ولي الله الدهلوي (١١١٤-١١٧٦هـ/١٧٠٣-١٧٦٢م) رسالة وجيزة مسماة بـ"شرح تراجم أبواب صحيح البخاري"، والرسالة الثانية من تأليف شيخ الهند مولانا محمود حسن الديوبندي (١٢٦٨-١٣٣٩هـ/١٨٥١-١٩٢٠م) المسماة بـ"الأبواب والتراجم".[١]

وكان شيخ الهند مولانا محمود حسن الديوبندي قد شرع في تأليف رسالة وجيزة على تراجم الأبواب للبخاري، وللأسف الشديد أنه لم يستطع إتمامه،[٢]وفي هذه الرسالة ذكر شيخ الهند ١٥ من أصول التراجم، وكذلك ألف حضرة الشاه ولي الله الدهلوي رسالة وجيزة حول هذا الموضوع، ذكر

[١] محمد زكريا الكاندهلوي،"الأبواب والتراجم لصحيح البخاري"، ص ٢

[٢] محمد شاهد السهارنبوري، "فهرست تأليفاتِ شيخ"،الجزء الأول،(من ملاحظات مولانا تقي الدين الندوي المظاهري) ص ٩٧-٩٨

فيها ١٤ من أصول التراجم، فاستوعب مولانا محمد زكريا الكاندهلوي أصول تراجم الشيخ ولي الله الدهلوي، والقواعد الكلية للتطبيق بين الأبواب والتراجم، وأبواب لا ترجمة لها، وأصول تراجم شيخ الهند، وفوائد في دروس الشيخ رشيد أحمد الكنكوهي، وأصول وقواعد في كلام الحافظ ابن حجر العسقلاني، والقسطلاني، والحافظ العيني، وزاد عليها ما وجده مفيدا، حتى بلغ عدد هذه الأصول والقواعد الكلية إلى ٧٠ أصلا وقاعدة، بتحقيقه وتنقيحه وتفحصه، فاحتوى على علم غزير لا يوجد في كتاب واحد. ثم أوضح في ضوء هذه الأصول مدى ترابط تراجم الأبواب في صحيح البخاري، والتطبيق بين الأبواب والكتب بالتفصيل. والحق يقال إن هذا الكتاب موسوعة شروح لـــ"صحيح البخاري".

فقد تناول المؤلف فيه كل كتاب من كتب الجامع الصحيح وتكلم على أبوابها وتراجمها بابا بابا، وترجمة ترجمة، فجاء هذا الكتاب وافيا بالغرض مسعفا بالحاجة، وذكر اختلاف مذاهب الأئمة الأربعة في كل مسألة متواجدة في ترجمة الباب مع التفضيل للمذهب الحنفي على المذاهب الفقهية الأخرى، وقد طبع في أربعة أجزاء، ولا يعرف قيمة هذا الكتاب الجليل وما فتح الله على مؤلفه من الرأي السديد والقول الصائب إلا من مارس هذه الصناعة.

"جزء حجة الوداع والعمرات":

في هذا الكتاب تاريخ كامل لسفر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ لحجة الوداع وتفصيل تام لعمراته. تم إعداد جزء حجة الوداع الجزء الأول من هذا الكتاب في شهر ربيع الأول ١٣٤١هـــ/نوفمبر ١٩٢٢م في يوم وليلة ونصف ليلة، وأما جزء عمرات النبي صلى الله عليه وسلم أي الجزء الثاني

من هذا الكتاب فشرع في تأليفه في ١٧ من جمادى الأخرى ١٣٩٠هـ الموافق ٢٢ من يوليو ١٩٧٠م، وانتهى من تأليفه في ١٥ من رجب ١٣٩٠هـ/١٥ من سبتمبر ١٩٧٠م.

طبع الكتاب مع إضافات كثيرة من المكتبة اليحيوية بسهارنفور لأول مرة في شعبان ١٣٩٠هـ/أكتوبر ١٩٧٠م، وفي نفس السنة طبع الكتاب طبعة ثانية من دار العلوم لندوة العلماء بلكناؤ وكتب عليه مقدمة قيمة سماحة العلامة أبو الحسن علي الندوي، وطبعت طبعته الثالثة من دار القلم ببيروت (لبنان) في حلل قشيبة من الطباعة، وطبعت طبعته الرابعة من المجلس العلمي بدابهيل من ولاية كجرات الهندية في ١٣٩١هـ/١٩٧١م، وكتب عليه مقدمة علمية وتحقيقية مولانا محمد يوسف البنوري وطبعت هذه المقدمة باسم "الإلماع إلى خصائص حجة الوداع"، تحتوي المقدمة على ٢٠ صفحة. ونقل هذا الكتاب إلى الأردية أحد العلماء البارزين في باكستان مولانا محمد يوسف اللدهيانوي الشهيد، وطبع هذا الكتاب أيضا.[١]

أما أسلوب الكتاب ونهج المؤلف في بحثه هذا فهو استيعاب شامل واستقصاء كامل وتحر للصواب وبحث عن الحقيقة العلمية وتقرير للحق، وأمانة في النقل. إن الكتاب قد يبدو جافا ولكنه في الحقيقة كالبحر الزاخر من حيث احتوائه المعلومات، والكتاب حقا بمثابة موسوعة صغيرة فيما يتعلق بحجة النبي صلى الله عليه وسلم وعمراته.

---

[١] محمد زكريا الكاندهلوي، ""جزء حجة الوداع والعمرات"؛ محمد شاهد السهارنبوري، "علمائے مظاهرِ علوم سهارنپور اور اُنكي علمي وتصنيفي خدمات"،٣/١٢٤-١٢٥؛ محمد شاهد السهارنبوري، "فهرست تاليفاتِ شيخ"، ١/٢٩٠،٢٨٣

يقع الكتاب في جزأين، تناول في الأول منه حجته ــ صلى الله عليه وسلم ــ ففيه مباحث عن الإحرام وما يتعلق به من أمور واجبة أو مستحبة مع ذكر لمواقيت الإحرام في مختلف الجهات، ثم ينتقل إلى أنواع الحج وأيها أفضل، القِران أو التمتع أو الإفراد؟

بينما بحث في الثاني في عمراته وعددها وتحديدها وتفاصيلها وما اشتملت عليه من أحكام فقهية وبحوث تاريخية وفوائد علمية وتحقيقات حديثة. فيتناول فيه عمرات النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ ابتداء من عمرة الحديبية ثم عمرة القضاء، وأخيرا عمرة الجعرانة، فالعمرة التي قرنها مع حجته الأخيرة. وفي حديثه عن العمرة الأولى يتكلم بإسهاب عن صلح الحديبية مع ذكر لعدد المسلمين الذين رافقوا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلى النتائج التي ترتبت لصالح المسلمين فيما بعد. وأثناء العرض يطلعنا العلامة المؤلف على كثير من الأحكام الفقهية بغية تحقيق النصر للمسلمين وإظهار قوتهم حتى يخافهم عدوهم ويرهَبهم.[١]

"جزء الاختلاف في صفة الصلوة":

قد وضع المؤلف في كتابه هذا عناوين مستقلة ذكر تحتها أعمال الصلوة من التحريمة إلى التسليمة، كما أودعه أقوال الأئمة المجتهدين المختلفة وتعامل الصحابة وصفة الصلوة في شرح وبسط.

وكان سماحته يهدف من وراء التأليف لهذا الكتاب أن يؤكد أننا لم نجد أقوال الأئمة المجتهدين متضاربة في أعمال الصلوة كلها، فما هي الميزة

---

[١] محمد زكريا الكاندهلوي، "جزء حجة الوداع والعمرات"

التي جعلت رفع اليدين وقراءة الفاتحة خلف الإمام والتأمين بالجهر والسر تحتل أهمية فائقة من بين هذه المسائل حتى صارت بمثابة المعتقدات ودفعت الأمة بأسرها تقوم بالجدال والمناظرة فيها؟،[١] وقد وضع صاحب هذا الكتاب هوامش كثيرة عليها.

وطُبع هذا الكتاب سنة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م من مكتبة الشيخ التذكارية بسهارنبور.[٢]

"جزء ما جاء في شرح ألفاظ الاستعاذة وجزء حديث "إنما الأعمال بالنيات":

قد وردت في كتب الأحاديث الشريفة أدعية للحفظ والسلامة من المصائب والبلايا مشتملة على كلمات متنوعة للاستعاذة، منها دعاء طويل أوله: "اللهم إني أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء (البخاري ٩٧٩/٢ رقم ٦٣٤٧، ٦٦١٦ ومسلم ٣٤٧/٢ رقم ٢٧٠٧)" وأن الشيخ الكاندهلوي قد جمع في هذه الرسالة هذا الدعاء وما إلى ذلك من الأدعية الكثيرة للاستعاذة التي يبلغ عددها إلى ٣٠ فأكثر، وشرح ما ورد فيه من كلمات أو أجزاء.

إن متن هذا الحديث من أعظم الأحاديث نفعا وأشملها معنى، استخرج منها العلماء مسائل مهمة ونكات دينية في كل عهد، فجمع الشيخ في هذه الرسالة معلومات علمية وتحقيقية بعد مواصلة المطالعة لهذا الحديث

---

[١] محمد زكريا الكاندهلوي، "آپ بيتي"،١/١٨١-١٨٢/ محمد شاهد السهارنبوري،"فهرست تأليفاتِ شيخ"،١/٢٥٥

[٢] محمد زكريا الكاندهلوي، "جزء الاختلاف في صفة الصلوة"، مكتبة الشيخ التذكارية، سهارنبور، ١٤٢٧هـ.

الشريف، فأولا وقبل كل شيء ذكر فيها أهمية هذا الحديث الشريف ومكانته السامية في الإسلام مع ذكر الأسانيد والتحليل اللغوي المبسوط، كما قام بجمع أقوال العلماء والشارحين فيه مع النكات العلمية.

وطُبِعت الرسالتان في كتاب واحد في ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م من مكتبة الشيخ التذكارية بسهارنفور، وتشتمل الكتاب على ٦٨ صفحة.[١]

"جزء صلوة الخوف وجزء صلوة الاستسقاء":

أما "جزء صلوة الخوف" فتعرض فيه المؤلف لتعيين المواضع التي صلى فيها النبي صلى الله عليه وسلم صلوة الخوف، كما عني بجمع أقوال المشايخ وأئمة الفن في الحديث وفقهه، وكذلك ذكر الأحاديث المختلفة الواردة في هذا الباب، ورجّح المؤلف بعض الروايات منها بناء على تفحصه العميق وبحثه الدقيق، فجاء الكتاب وافيا في مقصده وكافيا في مطلبه، فذكر فيه المؤلف المناسبات التي فيها صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلوة الخوف بالتفصيل ومن مناسباتها التي ذكر المؤلف في هذه الرسالة؛ غزوة ذات الرقاق، وغزوة عُسفان، ويوم محارب وثعلبة، وغزوة نجد، وغزوة جهينة، وغزوة الطائف، وغزوة الحديبية، وغزوة بنو نضير، وغزوة بطن نخل، وغزوة يوم بني سليم، وغزوة ذي قرد، وغزوة ذي أمر وغيرها من الغزوات.

---

[١] محمد زكريا الكاندهلوي، "جزء ما جاء في شرح ألفاظ الاستعاذة وجزء حديث "إنما الأعمال بالنيات"، مكتبة الشيخ التذكارية، سهارنبور، ١٤٢٨هـ.

وأما "جزء صلوة الاستسقاء" فتكلم فيه المؤلف عن حقيقة صلوة الاستسقاء وكيفيتها وشروطها مع تعيين وقتها، وذكر الأحاديث الواردة في الموضوع بجانب أقوال الأئمة الأربعة والأئمة المجتهدين الآخرين في هذا الباب بشيء من التفصيل.

وطُبِعت الرسالتان في كتاب واحد في ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م من مكتبة الشيخ التذكارية بسهارنفور، وتشتمل الأولى منهما على ١٠٦ صفحة والأخرى على ٣٥ صفحة.[١]

"جزء وفاة النبي صلى الله عليه وسلم":

قد أتى المؤلف في هذه الرسالة بالإسهاب بما روي عن مرض وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وابتدائه ويومه وتاريخه، ودخوله على أزواجه أمهات المؤمنين، وإقامته في غرفة عائشة الصديقية رضي الله عنها في آخر حياته المباركة، وأما منهجه في التأليف فهو أنه وضع عناوين يبلغ عددها ٧٨، لكل ما جاء عن مرض وفاته في دواوين الأحاديث والسيرة، ثم جمع الروايات بأسرها والقصص التاريخية مع مراجعها.

ألقى فيها الضوء التام على ما يتعلق بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم من الأحداث والأمراض، وكم يوما قضى في حالة المرض، كما تعرض المؤلف لاختلاف العلماء في تاريخ وفاته مفصلا، ونبه بالبراهين والدلائل على ما ترجح عنده مع تغليط بعض الأقوال. وطبعت هذه الرسالة ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م من مكتبة الشيخ التذكارية، وتشتمل على ١٢٧ صفحة.[٢]

---

[١] محمد زكريا الكاندهلوي، "جزء صلوة الخوف وجزء صلوة الاستسقاء"، مكتبة الشيخ التذكارية، سهارنبور، ١٤٢٩هـ.

[٢] محمد زكريا الكاندهلوي، جزء "جزء وفاة النبي صلى الله عليه وسلم"، مكتبة الشيخ التذكارية، سهارنبور، ١٤٢٩هـ.

Registered with the Registrar of Newspapers of India: Regd No. 14387/57

Indian Council for Cultural Relations
भारतीय सांस्कृतिक संबंध परिषद